
الشهرة
أو "عالم الأضواء"
في ميزان شريعة الرحمن

الشهرة

أو

عالم الأضواء

في ميزان شريعة الرحمن

فضيلة الشيخ

سعيد عبد العظيم

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

دار الإيمان

للطبع والنشر والتوزيع

١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل

إسكندرية ت: ٥٤٥٧٧٦٩ ـ ٥٤٤٦٤٩٦



بسم الله الرحمن الرحيم

• الطبعة الأولى •
دار الإيمان - إسكندرية

رقم الإيداع ٧١٢٦ / ١٩٩٠

الترقيم الدولى

977 - 5191 - 79 - 3

البريد الإلكترونى
E-Mail:DAR_ALEMAN@hotmail.com

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ ش خليل الخياط - مصطفى كامل
إسكندرية ت:٥٤٥٧٧٦٩ - ٥٤٤٦٤٩٦

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إلاله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامنوا اتقو اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِه ، ولاَتَموتُنَّ إلا وَ أنتم مسلمون ﴾(١) ﴿ يَأيُّهَا النَّاسُ اتَّقوا ربكُمُ الَّذى خلقكُم مِّن نَّفسٍ وَاحدَةٍ وَخلَقَ منها زَوْجَهَا وبَثَّ منهُمَا رجَالاً كثيراً ونساءً واتقوا اللَّهَ الَّذى تَسَاءلُون بِهِ وَالأَرْحَام إِنَّ اللَّه كَانَ عَلَيْكُم رَقِيباً ﴾(٢) ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً يُصلحِ لَكُمْ أَعمالَكُمْ وَيَغفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسولَهُ فَقَد فَازَ فَوْزاً عَظِيمًا ﴾(٣) .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

الشهرة لها بريق ولمعان يكاد يخطف بأبصار الكثيرين من الناس الأمر الذى يجعلهم يتهافتون على مصاحبة المشهورين ومجالستهم والاستماع إليهم وتناقل كلماتهم حتى ولو كانت فاسدة ومؤذية مما ينطوى على خطر عظيم ولذلك قالوا ذلة عالم يضرب بها الطبل وذلك بعكس من لا يؤبه له ولا يلتفت إليه فالمشهورون عادة هم القدوة والأسوة فى نظر الناس . وقد أصبحت الشهرة صناعة وحرفة تقوم على أسس وضوابط ويبذل فى سبيلها الكثير من المال والجهد وهى تتفاوت تفاوتاً عظيماً من مجال لآخر وهذه الشهرة لاتقتصر على الرجال دون النساء ولا على الكبار دون الصغار ولا على الصالحين دون المفسدين

---

(١) آل عمران : ١٠٢ . (٢) النســاء : ١ . (٣) الأحزاب : ٧٠ : ٧١ .

في الأرض فإبليس من أكثر الخلق شهرة ، وهي أيضاً قد تعدت عالم البشر إلى عالم الملائكة الأبرار وعالم الجن والشياطين ولم تقتصر على الأشخاص وإنما تعدتهم إلى الأماكن والأشياء كعجائب الدنيا السبعة وغيرها . وحيث إننا نعيش عالماً مادياً افتتن بالزخارف والنقوش والزينة وتباعد عن دين الله وعن المقاييس الحقة فعاش حياة أشبه بالسراب يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب ، وأصبحت حالة قطاعات كبيرة من البشر كما وصفها رب العزة جل وعلا ﴿ **يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنَ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ** ﴾(١) لذا وجب علينا جميعاً أن نكون على بصيرة من أمرنا وأمر الناس بل والكون من حولنا وذلك لقوله تعالى ﴿ **قُلْ هذه سَبِيلي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أنا وَمَنِ اتَّبَعَني وسُبْحَانَ اللهِ وما أَنا مِنَ المُشْرِكِينَ** ﴾(٢) وهذه البصيرة تستلزم العلم والعمل والدعوة إلى الله تعالى والصبر على ذلك كله وقد بايع النبي ﷺ بعض صحابته على النصح لكل مسلم ، وروى مسلم عن تميم الداري رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الدين النصيحة ثلاثا قلنا لمن يارسول الله قال لله عز وجل ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » وهذه الكلمة نصيحة واجبة خصوصاً والشهرة لها سطوة كبيرة على النفوس والناس هنا وهناك يتابعون حياة النجوم - هكذا سموهم - حتى وإن كانوا فسقة وفجرة وأصبحت أسماء الشهرة تباع وتشترى وقد دخلت الشهرة إلى كل ميدان كالعلم والرياضة والفن بأنواعه والسياسة والجمال والمال وكل هذه المجالات لها مشاهيرها الذين يتطلع الناس إليهم بشغف بل ويحاولون السير في ركابهم واللحاق بهم وإذا كان هذا هو شأن الكثيرين من الناس فالمسلم له شأن آخر فالشهرة وذيوع الصيت لاتصلح ضابطاً وميزاناً عنده للقبول والرفض وهو قد أخضع قوله وفعله ورأيه وهواه ومشاعره لكتاب ربه وسنة نبيه ﷺ وذلك هو الميزان الذي يجب على الدنيا بأسرها أن تتحاكم إليه والحق مقبول من كل من جاء به كائنًا من كان والباطل والشر والفساد مردود على صاحبه أيضًا كائنًا من كان ، فالخلق خلقه والعبد عبده والأمر أمره والحلال ما أحل والحرام ماحرم والدين ماشرع قال تعالى

(١) الروم : ٧ .

(٢) يوسف : ١٠٨ .

﴿ ألاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِير ﴾(١) وقال سبحانه وتعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾(٢) وقال جل وعلا ﴿ اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِين ﴾(٣) ومجرد انتشار الأمر وذيوعه لا يجعل الأمر مقبولاً بالحتمية واللزوم حتى وإن تناقلته الألسنة وصار عرفاً وعادة وأمراً واقعاً بل حتى وإن رضيه الناس فالرضى بالمنكر منكر كالتراضى الذى يحدث بين الزناة وشاربى الخمروالذين يتعاملون بالربا فكل هذا حرام حتى وإن واقعته الكثرة الكاثرة من الناس فالمسلم الصادق هو الذى يتحاكم لإسلامه فى كل صغيرة وكبيرة بل ويسعى لتحكيمه في واقعه وواقع الناس فلا يقدم على دين الله قولاً ولا عملاً ولا عرفاً ولارأياً ولا واقعاً وقد ورد الأمر بطاعة الله ورسوله والتحذير من المخالفة قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُّبِيناً ﴾(٤) وقال سبحانه ﴿ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾(٥) وقال تعالى ﴿ وَمَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾(٦) قال الإمام الشافعى فى الرسالة « وشهد له جل ثناؤه باستمساكه بما أمره به والهدى فى نفسه وهداية من اتبعه فقال : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَاكُنتَ تَدْرِى مَاالكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ ، وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِى بِهِ مَن نَّشَاءُ مِن عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِى إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيم ﴾(٧) وقال ﷺ « تركتكم على بيضاء نقية ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك » رواه أحمد وابن ماجه . وقال فى حجة الوداع اللهم قد بلغت اللهم فاشهد . ولا يخفى على العاقل أن فى أمر الله نبيه باتباع ماأوحى إليه أمراً لنا » . أ.هـ وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(٨) قال الإمام ابن كثير : وقوله : « فليحذر الذين يخالفون عن أمره » أى عن أمر

---

(١) الملك : ١٤ .
(٢) الجاثية : ١٨ .
(٣) الأنعام : ١٠٦ .
(٤) الأحزاب : ٣٦ .
(٥) النساء : ١٠٣ .
(٦) النساء : ٨٠ .
(٧) الشورى : ٢٢ .
(٨) النور : ٦٣ .

رسول الله ﷺ وهو سبيله ومنهاجه وطريقته وسنته وشريعته فتوزن الأقوال والأعمال بأقواله وأعماله فما وافق ذلك قبل وما خالفه فهو مردود على قائله وفاعله كائناً من كان كما ثبت في الصحيحين وغيرهما عن رسول الله ﷺ أنه قال « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » أى فليحذر وليخش من خالف شريعة الرسول ﷺ باطناً أو ظاهراً « أن تصيبهم فتنة » أى في قلوبهم من كفر أو نفاق أو بدعة « أو يصيبهم عذاب أليم » أى في الدنيا بقتل أو حد أو حبس أو نحو ذلك أ .هـ والفتنة هنا القتل قاله ابن عباس وقيل الطبع على القلوب بشؤم مخالفة الرسول ﷺ ولما أتى رجل للإمام مالك رحمه الله فقال يا أبا عبد الله من أين أحرم قال من ذى الحليفة من حيث أحرم رسول الله ﷺ فقال إنى أريد أن أحرم من المسجد (أى من أبعد من الميقات) فقال الإمام لا تفعل فقال الرجل ولما ؟ قال فإني أخاف عليك الفتنة فقال وأى فتنة هذه إنما هي أميال أزيدها قال الإمام وأى فتنة أعظم من أن ترى أنك سبقت إلى فضيلة قصر عنها رسول الله ﷺ ؟ إنى سمعت الله يقول ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ (١) وقد قال ﷺ « من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى » رواه البخارى وقال أيضاً « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدى أبداً كتاب الله وسنتى » . فيجب على المسلمين في أقطار الأرض مشارقها ومغاربها أن يردوا حكم ما تنازعوا فيه لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (٢) وقد أقسم ربنا جل وعلا قسماً يعرف مضمونه أولوا الأحلام والنهى فقال سبحانه ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (٣) فأقسم سبحانه بنفسه وأضاف اسم الربوبية لرسول الله ﷺ تشريفا له ثم نفى اسم الإيمان عمن لم يحكم شرع الله وينقد لأمر رسول الله فما حكم به فهو الحق الذى يجب الانقياد له

---

(١) النور : ٦٣ .
(٢) النساء : ٥٩ .
(٣) النساء : ٦٥ .

باطناً وظاهراً ولهذا قال ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً أى إذا حكموك يطيعونك فى بواطنهم فلا يجدون فى أنفسهم حرجاً مما حكمت به وينقادون له فى الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليماً كلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد فى الحديث « والذى نفسى بيده لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به » رواه البغوى فى شرح السنة والنووى فى الأربعين وضعفه الألبانى ومعناه صحيح إذا اتضح ذلك فالواجب علينا أن نحكم هذا الضابط ونتحاكم له فى كل ناحية من نواحى الحياة وزاوية من زواياها سواء تعلقت بالفرد أم بالجماعة وسواء أكانت سياسية أو اقتصادية أواجتماعية أو أخلاقية وسواء أكانت بالمسجد أم بالسوق ﴿ **وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا** ﴾(١) بل هذا أيضاً هوضابطنا فى الحكم على المشاعر والأحاسيس والعواطف والوجدانات . وفى ضوء هذا الميزان سنميز بين الغث والسمين وبين ما هو نافع أو ضار وبين ما هو مقبول من الشهرة وما يذم منها . ونسأل الله أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم وأن يثيبنا عليه جنات النعيم مع الذين أنعم عليهم من النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . فاللهم احملنا على فضلك وعاملنا بلطفك وأحسن عاقبتنا فى الأمور كلها وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة . وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) مريم : ٦٤ .

الشهرة ومشتقاتها

الشهرة معناها الانتشار والظهور وهى ضد الاستتار والإخفاء قال فى المصباح المنير وشهرت الحديث شهراً وشهرة أفشيته فاشتهر . وقال فى مختار الصحاح الشهرة وضوح الأمر ويقال لفلان فضيلة اشتهرها الناس ويكثر على ألسنة الناس قولهم « فلان أشهر من نار على علم » ويقولون فلان شهّر بفلان إذا أشاع عليه قالة السوء ونسب النقائص له ، وقيل عن الشهر شهراً لاشتهاره بين الناس قال شيخ الإسلام ابن تيمية « فالشهر ما اشتهر بين الناس وسمى به الهلال لوضوحه وشهرته . وجمعه شهور وأشهر قال تعالى ﴿ الحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ﴾(١) وهى شوال وذو القعدة وذو الحجة ، وقال تعالى ﴿ **وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشرة شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم** ﴾(٢) وهذه الأشهر الأربعة هى رجب وذو القعدة وذو الحجة والمحرم . وأشهرنا أى أتى علينا شهر قال ابن السكيت أشهرنا فى هذا المكان أقمنا فيه شهراً وقال ثعلب أشهرنا دخلنا فى الشهر ومن شروط صحة عقد الزواج الإشهار ويقصد به الإعلان بحيث يخرج عن أن يكون نكاح سر ويكفى هذا عند مالك وأصحابه وقد اشترط الشافعى وأبو حنيفة شهادة الرجلين على الزواج فصاعداً وإلا فُسخ العقد ويخرج بذلك أيضاً عن حد السر ويشتهر أمر الزواج وفى كتاب تلبيس ابليس : أن ابن عمر رأى على ولده ثوبا قبيحاً دوناً فقال لا تلبس هذا فإن هذا الثوب شهرة . ونقل عن بريدة أنه قال شهدت مع رسول الله فتح خيبر وكنت فيمن صعد الثلمة فقال حتى رأى مكانى وأتيت وعلى ثوب أحمر فما علمت أنى ركبت فى الإسلام ذنباً أعظم منه للشهرة . وقال سفيان الثورى كانوا

---

(١) البقرة : ١٩٧ . (٢) التوبة : ٣٦ .

يكرهون الشهرتين الثياب الجياد التى يشتهر بها ويرفع الناس إليه فيها أبصارهم والثياب الرديئة التى يحتقر فيها ويستذل وقال معمر عاتبت أيوب على طول قميصه فقال إن الشهرة فيما مضى كانت فى طوله وهى اليوم فى تشميره . فصل قال المصنف وقد كان السلف يلبسون الثياب المتوسطة لا المرتفعة ولا الدون ويتخيرون أجودها للجمعة والعيدين ولقاء الإخوان ولم يكن غير الأجود عندهم قبيحاً وقد أخرج مسلم فى صحيحه من حديث عمر بن الخطاب أنه رأى حلة سنيراء تباع عند باب المسجد فقال لرسول الله ﷺ لو اشتريتها ليوم الجمعة وللوفود إذا قدموا عليك فقال رسول الله ﷺ إنما يلبس هذه من لا خلاق له فى الآخرة فما أنكر عليه ذكر التجمل بها وإنما أنكر عليه لكونها حريراً أ . هـ . أخرج أبو داود والنسائى وابن ماجه عن ابن عمر مرفوعا « من لبس ثوب شهرة فى الدنيا ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة « وفى رواية » ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله ـ وزاد أبو عوانة ثم تلهب فيه النار » قال ابن رسلان : إنما كان الوعيد لأنه ليس ثوب شهرة فى الدنيا يتعزز به ويفتخر على غيره فيلبسه الله يوم القيامة ثوبا تشتهر به مذلته واحتقاره بينهم عقوبة له والعقوبة من جنس العمل أ. هـ . والإنسان قد يشتهر بحيث يتميز على أقرانه ويسبق أمثاله مما يؤدى لظهور أمره وانتشاره وهذا قد يحدث بصفة خلقية أودعها الله فيه كالقوة والطول والجمال أو بأمر كسبى كأساليب الغش والخداع السياسىَ والمعانى التى يشتهر بها الناس منها ما هو صالح ومنها ما هو قبيح .

السبق والمنافسة

المنافسة فى اللغة مشتقة من النفاسة والذى يدل على مشروعيتها قوله تعالى ﴿ **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **سابقوا إلى مغفرة من ربكم** ﴾ وإنما المسابقة عند خوف الفوت وهو كالعبدين يتسابقان إلى خدمة مولاهما إذ يجزع كل واحد أن يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها . والمنافسة قد تكون واجبة أو مندوبة أو مباحة وقد يستعمل لفظ الحسد بدل المنافسة والمنافسة بدل الحسد قال الفضل بن العباس لما أراد هو والمطلب بن ربيعة أن يأتيا النبى ﷺ فيسألاه أن يؤمرهما على الصدقة فقال لهما على رضى الله عنه لا تذهبا إليه فإنه لا يؤمركما عليها فقال له ما هذا منك إلا نفاسة والله لقد زوجك ابنته فما نفسنا ذلك عليك (رواه مسلم) أى هذا منك حسد وماحسدناك على تزويجه إياك وفى الحديث لاحسد إلا فى اثنتين ، رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس » متفق عليه . وفى حديث أبى كبشة الأنمارى قال « مثل هذه الأمة مثل أربعة رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء » رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح - فذمه النبى ﷺ من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه أن يكون له من النعمة مثل ماله ثم إن كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالإيمان والصلاة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وإن كانت من الفضائل كإنفاق المال فى المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب إليها وإن كانت نعمة يتنعم بها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباحة . والحسد المشروع كما فى الحديث « لا حسد إلا فى اثنتين » يطلق عليه اسم الغبطة إذ ليس فيه تمنى زوال النعمة ولا كراهتها ويرجع إلى إرادة المساواة واللحوق به فى النعمة كمن يحب الدار الحسنة أو المرأة الجميلةأو ولاية نافذة أو سعة نالها غيره » والسبق يحدث فى معنى يتعلق بالصفات أوالزمان أو المكان فقد يحدث فى علم أو سن أو مكانة أو رياضة

ويقول النبى ﷺ « لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل » والمراد من السَّبق فى الحديث هنا ما يوضع رهناً ويأخذه الفائز فى سباق أو رماية وهذا الرهن يضعه أحد المتسابقين أو تضعه الحكومة أو جمعية خيرية أو بعض الأفراد المحسنين وذلك ليخلو من كل شبهة ويتمحض للتشجيع الخالص الذى لا يراد به إلا الترغيب فى الإعداد للجهاد . وفى الاختيارات الفقهية من فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية « ويجوز اللعب بما قد يكون فيه مصلحة بلا مغرة وظاهر كلام أبى العباس لا يجوز اللعب المعروف بالطاب والمنقلة وكل ما أفضى كثيره إلى حرمة إذا لم يكن فيه مصلحة راجحةالأنه يكون سببا للشر والفساد وما ألهى وشغل عن ما أمر الله به فهو منهى عنه وإن لم يحرم جنسه كالبيع والتجارة وسائر ما يتلهى به البطالون من أنواع اللهو وسائر ضروب اللعب مما لا يستعان به على حق شرعى فكله حرام وروى الإمام أحمد والبخارى ومسلم « أن عائشة رضى الله عنها وجوار كُنَّ معها يلعبن بالبنات - وهن اللعب والنبى ﷺ يراهن - فيرخص فيه للصغار مالا يرخص فيه للكبار . والصراع والسبق بالأقدام ونحوهما طاعة إذا قصد به نصر الإسلام وأخذ السبق عليه أخذ بالحق فالمغالبة الجائزة تحل بالعوض إذا كانت مما ينتفع به فى الدين كما فى مراهنة أبى بكر رضى الله عنه وهو أحد الوجهين فى المذهب قلت وظاهر ذلك : جواز الرهان فى العلم وفاقاً للحنفية لقيام الدين بالجهاد والعلم والله أعلم . ا. هـ.

﴿ وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ ..... ﴾ (١)

قال أبو منصور البغدادى التميمى : أصحابنا مجمعون على أن أفضلهم الخلفاء الأربعة ثم الستة الباقون إلى تمام العشرة ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية وقال القرطبى فى تفسيره « لا خلاف أن أول السابقين من المهاجرين أبو بكر الصديق قال ابن العربى : السبق يكون بثلاثة أشياء الصفة وهو الإيمان والزمان والمكان وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات والدليل عليه قوله ﷺ فى الصحيح « نحن الآخرون الأولون بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدنا فهذا يومهم الذى

---

(١) التوبة : ١٠٠ .

اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد » فأخبر النبي ﷺ أن من سبقنا من الأمم بالزمان سبقناهم بالإيمان والامتثال لأمر الله تعالى والانقياد إليه والاستسلام لأمره والرضا بتكليفه والإحتمال لوظائفه لا نعترض عليه ولانختار معه ولا نبدل بالرأى شريعته كما فعل أهل الكتاب وذلك بتوفيق الله لما قضاه وبتيسيره لما يرضاه وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله . ثم نقل عن ابن خويز منداد قال : « تضمنت هذه الآية تفضيل السابقين إلى كل منقبة من مناقب الشريعة فى علم أو دين أو شجاعة أو غير ذلك فى العطاء فى المال والرتبة فى الإكرام وفى هذه المسألة خلاف بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما واختلف العلماء فى تفضيل السابقين بالعطاء على غيرهم فروى عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أنه كان لا يفضل بين الناس فى العطاء بعضهم على بعض بحسب السابقة وكان عمر يقول له أتجعل ذا السابقة كمن لا سابقة له ؟ فقال أبو بكر : إنما عملوا لله وأجرهم عليه وكان عمر يفضل فى خلافته ثم قال عند وفاته لئن عشت إلى غد لألحق أسفل الناس بأعلاهم فمات من ليلته والخلاف إلى يومنا هذا على هذا الخلاف ا . هـ .

« لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » . ﷺ

وهذا الحديث الذى رواه البخارى ومسلم عن أنس بن مالك عن رسول الله ﷺ يرد على شبهة قوية تتعلق بالأخوة الإيمانية وتحقيقها ونحتاج فى ذات الوقت إلى الجمع بينه وبين ما ذكرناه عن السبق والمنافسة ففى هذا الحديث يبين النبى ﷺ أن من جملة خصال الإيمان الواجبة أن يحب المرء لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من المحامد الدينية والدنيوية ويكره له ما يكره لنفسه قال عبد الله بن رواحة وأبو الدرداء الإيمان كالقميص يلبسه الإنسان تارة ويخلعه تارة أخرى وفى صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبى ﷺ قال « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى إلى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه وفيه أيضا عن أبى ذر رضى الله عنه قال « قال رسول الله ﷺ « يا أبا ذر إنى أراك ضعيفاً وإنى أحب لك ما أحب لنفسى لاتتأمرن على اثنين ولاتولين مال يتيم » وإنما نهاه عن ذلك لما رأى من ضعفه وهو ﷺ يحب هذا لكل ضعيف وإنما كان يتولى أمور الناس لأن الله قواه على ذلك

وأمره بدعاء الخلق كلهم إلى طاعته وأن يتولى سياسة دينهم ودنياهم وكان محمد ابن واسع يبيع حماراً له فقال له رجل أترضاه لي ؟ قال لو رضيته لم أبعه. وهذه إشارة منه إلى أنه لا يرضى لأخيه إلا ما يرضى لنفسه وفي حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسدبالحمى والسهر» خرجاه في الصحيحين « قال ابن رجب » وهذا يدل على أن المؤمن يسوءه مايسوء أخاه المؤمن ويحزنه ما يحزنه وحديث أنس الذى نتكلم الآن فيه يدل على أن المؤمن يسره ما يسر أخاه المؤمن ويريد لأخيه المؤمن ما يريد لنفسه من الخير وهذا كله إنما يأتي من كمال سلامة الصدر من الغش والغل والحسد فإن الحسد يقتضي أن يكره الحاسد أن يفوقه أحد في خير أو يساويه فيه لأنه يحب أن يمتاز على الناس بفضائله وينفرد بها عنهم والإيمان يقتضي خلاف ذلك وهو أن يشركه المؤمنون كلهم فيما أعطاه الله من الخير من غير أن ينقص عليه منه شيء وقد مدح الله تعالى في كتابه من لا يريد العلو في الأرض ولا الفساد فقال ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً ﴾(١) إلى أن قال عكرمة وغيره من المفسرين في هذه الآية : العلو في الأرض التكبر وطلب الشرف والمنزلة عند ذى سلطانها والفساد والعمل بالمعاصي ثم قال وقد ورد ما يدل على أنه لا يأثم من كره أن يفوقه من الناس أحد في الجمال فخرج الإمام أحمد رحمه الله والحاكم في صحيحه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال « أتيت النبي ﷺ وعنده مالك بن مرارة الرهاوى فأدركته وهو يقول « يا رسول الله قد قسم لي من الجمال ما ترى فما أحب أحداً من الناس فضلني بشراكين فما فوقهما أليس ذلك هو البغي ؟ فقال لا ليس ذلك بالبغي ولكن البغي من بطر أوقال سفه الحق وغمط الناس » قال « ومن هنا قال بعض السلف التواضع أن تقبل الحق من كل ما جاء به وإن كان صغيراً فمن قبل الحق ممن جاء به سواء كان صغيراً أو كبيراً وسواء كان يحبه أو لا يحبه فهو متواضع ومن أبى قبول الحق تعاظماً عليه فهو متكبر وغمط الناس هو احتقارهم وازدراؤهم وذلك يحصل من النظر إلى النفس

---

(١) القصص : ٨٣ .

بعين الكمال وإلى غيره بعين النقص قال بعض الصالحين من السلف : أهل المحبة لله نظروا بنور الله وعطفوا على أهل معاصى الله مقتوا أعمالهم وعطفوا عليهم ليزيلوهم بالمواعظ عن أفعالهم وأشفقوا على أبدانهم من النار . وأما قوله عز وجل ﴿ وَلاَ تَتَمَنَّوْا مَافَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعضٍ ﴾(١) فقد فسر ذلك بالحسد وهو تمنى الرجل نفس ما أعطى أخوه من أهل ومال وأن ينتقل ذلك إليه وفسر بتمنى ما هو ممتنع شرعاً أو قدراً كتمنى النساء أن يكن رجالاً أو يكون لهن مثل ماللرجال من الفضائل الدينية كالجهاد والدنيوية كالميراث والعقل والشهادة ونحو ذلك وقيل إن الآية تشمل ذلك كله ومع هذا كله فينبغى للمؤمن أن يحزن لفوات الفضائل الدينية ولهذا أمر أن ينظر فى الدين إلى من هو فوقه وأن ينافس فى طلب ذلك جهده وطاقته كما قال تعالى ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنافِسُونَ ﴾ ولا يكره أن أحداً يشاركه فى ذلك بل يحب للناس كلهم المنافسة فيه ويحثهم على ذلك وهو من تمام أداء النصيحة للإخوان ا . هـ .

---

(١) النساء : ٣٢ .

(١) المطففين : ٢٦ .

بعض صور الشهرة

أولا : الشهرة بالعلم والصلاح

أودع ربنا جل وعلا فى العباد عقولاً وركب فيهم فطراً ولم يكتف سبحانه بذلك بل أنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ليحيى من حيى عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة وقد قام الصراع منذ اليوم الأول الذى خلق فيه آدم بين آدم وإبليس من جهة ثم بين بني آدم وبين إبليس بعد ذلك من جهة أخرى وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُم عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عدُوًّا إِنَّما يدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِير ﴾ (١) وافترق العباد إلى مؤمن وكافر وقد قام بإزاء الطريق المستقيم الذى سار فيه الأنبياء والمرسلون وعباد الله الصالحين جاهليات كثيرة ومتنوعة وكلها تلتقى فى الكفر برب العالمين والمخالفة لهذا الصراط المستقيم ولذلك خط النبى ﷺ خطاً وخطا عن يمينه وشماله خطوطاً وأشار للخط الذى فى الوسط وقال هذا الصراط المستقيم وللخطوط التى عن اليمين والشمال وقال هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه ثم قرأ الآية ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ولاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتفرَّق بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُون ﴾(٢) واقتضت حكمة الله جل وعلا أن يحدث تدافع وأن يتم صراع بين الحق والباطل قال تعالى ﴿ وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ ﴾ (٣) وقال ﴿ ولوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَر فِيهَا اسْمُ اللَّه كَثِيراً وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٤) وكتب سبحانه النصر لعباده المؤمنين فقال ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاة الدُّنْيا وَيَوْمَ

(١) فاطر : ٦ .
(١) الأنعام : ١٥٣ .
(١) البقرة : ٢٥١ .
(١) الحج : ٤٠ .

يَقُومُ الأَشْهَادُ ﴾(١) وقال ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ﴾ (٢) وقال أيضا ﴿ والْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ وقد ابتدأت البشرية بنبى مكلم فلم تتطور العقيدة والدين الذى ارتضاه ربنا للعالمين من لدن آدم حتى قيام الساعة هو الإسلام ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ، وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الأَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (٣) ومرتبة النبوة التى كان عليها آدم هى من أعلى مراتب الهداية وقد أوصلها الإمام ابن القيم إلى عشر مراتب .

---

(١) غافر : ٥١ .   (١) المجادلة : ٢١ .

(١) آل عمران : ١٩ .

مراتب الهداية

المرتبة الأولى :

مرتبة تكليم الله عز وجل لعبده يقظة بلا واسطة بل منه إليه وهذه أعلى مراتبها كما كلم موسى بن عمران صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه قال الله تعالى ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ (١) وقد أخبر سبحانه فى كتابه أنه ناداه وناجاه وقال له أبوه آدم فى محاجته « أنت موسى الذى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده . وكذلك يقول له أهل الموقف إذا طلبوا منه الشفاعة إلى ربه ولذلك يسمى « بكليم الرحمن » وقال تعالى ﴿ وَمَاكَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَايَشَاءُ ﴾ (٢) ففرق بين تكليم الوحى والتكليم بإرسال الرسول والتكليم من وراء حجاب .

المرتبة الثانية :

مرتبة الوحى المختص بالأنبياء قال الله تعالى ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ ﴾ (٣) وقال ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللهُ إلا وَحْيًا أو من وَرَاءِ حِجَابٍ ﴾ فجعل الوحى فى هذه الآية قسمًا من أقسام التكليم وجعله فى آية النساء قسيما للتكليم (أى نظيرا له) .

المرتبة الثالثة :

إرسال الرسول الملكى إلى الرسول البشرى فيوحى إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه . فهذه المراتب الثلاث خاصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم ثم هذا الرسول الملكى قد يتمثل للرسول البشرى رجلاً يراه عيانًا ويخاطبه وقد يراه على صورته التى خلق عليها

---

(١) النساء (١٦٤) .
(٢) الشورى : ٥١ .
(٣) النساء : ١٦٣ .

وقد يدخل فيه الملك ويوحي إليه ما يوحيه ثم يفصم عنه أي يقلع والثلاثة حصلت لنبينا ﷺ .

المرتبة الرابعة:

مرتبة التحديث (أي الإلهام الخاص) وهذه دون مرتبة الوحي الخاص.وتكون دون مرتبة الصديقين كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه كما قال النبي ﷺ . أنه كان في الأمم قبلكم محدثون فإن يكن في هذه الأمة فعمر بن الخطاب . قال ابن القيم « وسمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية رحمه الله يقول : جزم بأنهم كائنون في الأمم قبلنا وعلق وجودهم في هذه الأمة بأن الشرطية مع أنها أفضل الأمم لاحتياج الأمم قبلنا إليهم واستغناء هذه الأمة عنهم بكمال نبيها ورسالته فلم يحوج الله الأمة بعده إلى محدث ولا ملهم ولا صاحب كشف ولا منام فهذا التعليق لكمال الأمة واستغنائها لا لنقصها . والمُحدَّث (بتشديد وفتح الدال . إسم مفعول) هو الذي يحدث في سره وقلبه بالشيء فيكون كما يحدث به قال ابن تيمية والصديق أكمل من المحدث لأنه استغنى بكمال صِدِّيقِيَّتِه ومتابعته عن التحديث والإلهام والكشف فإنه قد سلم قلبه كله وسره وظاهره وباطنه للرسول فاستغنى به عما فيه (أي عن الإلهام النفسي الذاتي) قال : وكان هذا المحدث يعرض ما يحدث به على ما جاء به الرسول فإن وافقه قبله وإلا رده فعلم أن مرتبة الصديقية فوق مرتبة التحديث قال : وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات : حدثني قلبي عن ربي : فصحيح أن قلبه حدثه ولكن عن من ؟ عن شيطانه أو عن ربه ؟ فإذا قال : حدثني قلبي عن ربي كان مسنداً الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به وذلك كذب . وقال : ومحدث الأمة لم يكن يقول ذلك ولا تفوه به يوماً من الدهر وقد أعاذه الله من أن يقول ذلك بل كتب كاتبه يوماً « هذا ما أرى الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فقال لا . امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب فإن كان صواباً فمن الله وإن كان خطأ فمن عمر والله ورسوله منه بريء » وقال في الكلالة (هو الميت الذي لا والد له ولا ولد) « أقول فيها برأيي فإن يكن صواباً فمن الله وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان » فهذا قول المحدث بشهادة الرسول وأنت ترى الاتحادي والحلولي

والإباحى الشطاح والسماعى : مجاهر بالقحة والفرية يقول : حدثنى قلبى عن ربى فانظر إلى ما بين القائلين والمرتبتين والقولين والحالين . واعط كل ذى حق حقه ولا تجعل الزغل والخالص شيئاً واحداً ا .هـ .

المرتبة الخامسة :

مرتبة الإفهام قال الله تعالى ﴿ **وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكماً وعلماً** ﴾[1] فذكر هذين النبيين الكريمين : فأثنى عليهما بالعلم والحكم وخص سليمان بالفهم فى هذه الواقعة المعينة وقال على بن أبى طالب وقد سئل « هل خصكم رسول الله ﷺ بشىء دون الناس ؟ فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة إلا فهما يؤتيه الله عبداً فى كتابه وما فى هذه الصحيفة وكان فيها العقل وهو الديات وفكاك الأسير وأن لا يقتل مسلم بكافر وفى كتاب عمر بن الخطاب لأبى موسى الأشعرى رضى الله عنهما والفهم فيما أوتى إليك « فالفهم نعمة من الله على عبده ونور يقذفه الله فى قلبه يعرف به ويدرك ما لايدركه غيره ولا يعرفه فيفهم من النص مالا يفهمه غيره مع استوائهما فى حفظه وفهم أصل معناه فالفهم عن الله ورسوله عنوان الصديقية ومنشور الولاية النبوية وفيه تفاوتت مراتب العلماء حتى عد ألف بواحد فانظر إلى فهم ابن عباس وقد سأله عمر ومن حضر من أهل بدر وغيرهم عن سورة ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾[2] وما خص به ابن عباس من فهمه منها : أنها نعى الله سبحانه نبيه إلى نفسه وإعلامه بحضور أجله وموافقة عمر له على ذلك وخفائه عن غيرهما من الصحابة وابن عباس إذ ذاك أحدثهم سناً وأين تجد فى هذه السورة الإعلام بأجله لولا الفهم الخاص ؟ ويدق هذا حتى يصل إلى مراتب تتقاصر عنها أفهام أكثر الناس فيحتاج مع النص إلى غيره ولا يقع الاستغناء بالنصوص فى حقه وأما فى حق صاحب الفهم فلا يحتاج مع النصوص إلى غيرها .

---

(١) الأنبياء : ٧٨ . (٢) النصر : ١ .

المرتبة السادسة:

مرتبة البيان العام وهوتبيين الحق وتمييزه من الباطل بأدلته وشواهده وأعلامه وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحداً ولا يضله إلا بعد وصوله إليها قال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ﴾(١) فهذا الإضلال عقوبة منه لهم حين بين لهم فلم يقبلوا ما بينه لهم ولم يعملوا به فعاقبهم بأن أضلهم عن الهدى وما أضل الله سبحانه أحداً قط إلا بعد هذا البيان وإذا عرفت هذا عرفت سر القدر وزالت عنك شكوك كثيرة وشبهات في هذا الباب وعلمت حكمة الله في إضلاله من يضله من عباده والقرآن يصرح بهذا في غير موضع كقوله ﴿ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾(٢) وهذا البيان نوعان : بيان بالآيات المسموعة المتلوة وبيان بالآيات المشهودة المرئية وكلاهما أدلة وآيات على توحيد الله وأسمائه وصفاته وكماله وصدق ما أخبرت به عنه ولهذا يدعوعباده بآياته المتلوة إلى التفكر في آياته المشهودة عليهم ويحضهم على التفكر في هذه وهذه . وهذا البيان هو الذي بعثت به الرسل وجعل إليهم وإلى العلماء بعدهم وبعد ذلك يضل الله من يشاء قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(٣) فالرسل تبين والله هو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء بعزته وحكمته .

المرتبة السابعة:

البيان الخاص : وهو البيان المستلزم للهداية الخاصة وهو بيان تقارنه العناية والتوفيق والاجتباء وقطع أسباب الخذلان وموادها عن القلب فلا تتخلف عنه الهداية البتة قال تعالى : ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ وقال ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾(٤) .

---

(١) التوبة : ١١٥ .
(٢) الصف : ٥ .
(٣) إبراهيم : ٤ .
(٤) القصص : ٥٦ .

المرتبة الثامنة:

مرتبة الإسماع : قال الله تعالى ﴿ وَلَوْ عَلِمَ فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(١) وقال ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ إِنْ أَنتَ إِلا نَذِيرٌ ﴾ (٢) وهذا الإسماع أخص من إسماع الحجة والتبليغ فإن ذلك حاصل لهم وبه قامت الحجة عليهم لكن ذاك إسماع الآذان وهذا إسماع القلوب . فإنه سبحانه نفى عن الكفار سماع المقصود والمراد الذى هو حظ القلب وأثبت لهم سماع الألفاظ الذى هو حظ الأذن فى قوله ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم ﴾ (٣) وهذا السماع لا يفيد السامع إلا قيام الحجة عليه أو تمكنه منها وأما مقصود السماع وثمرته والمطلوب منه فلا يحصل مع لهو القلب وغفلته وإعراضه بل يخرج السامع قائلاً للحاضر معه ﴿ ماذا قال آنفا ؟ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾(٤) والسماع ثلاث مراتب : سماع الأذن وسماع القلب وسماع القبول والإجابة .

المرتبة التاسعة:

مرتبة الإلهام : قال تعالى ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾(٥) وقال النبى ﷺ لحصين بن الخزاعى لما أسلم « قل : اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى » قال . ابن القيم : التحديث أخص من الإلهام : عام للمؤمنين بحسب إيمانهم فكل مؤمن فقد ألهمه الله رشده الذى حصل له به الإيمان فأما التحديث فالنبى ﷺ قال فيه « إن يكن فى هذه الأمة أحد فعمر » يعنى من المحدثين فالتحديث هو إلهام خاص وهو الوحى إلى غير الأنبياء . أما من المكلفين كقوله تعالى ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ (٦) وقوله ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي ﴾(٧) وأما من غير المكلفين كقوله تعالى ﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما

---

(١) الأنفال : ٢٣ .
(٢) فاطر : ٢٢ - ٢٣ .
(٣) الأنبياء : ٢ .
(٤) محمد : ١٦ .
(٥) الشمس : ٧ - ٨ .
(٦) القصص : ٧ .
(٧) المائدة : ١١١ .

يعرشون ﴾[1] فهذا كله وحى إلهام وكل واحد من الفراسة والإلهام ينقسم إلى عام وخاص ، وخاص كل واحد منهما فوق عام الآخر وعام كل واحد قد يقع كثيراً وخاصه قد يقع نادراً والفراسة تتعلق بنوع الكسب والتحصيل (أى بتعليم وتدريب وخبرة) وأما الإلهام فموهبة مجردة (أى هبة من الله تعالى) لا تنال بكسب البتة .

المرتبة العاشرة :

من مراتب الهداية : الرؤيا الصالحة وهى من أجزاء النبوة كما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » وفى رواية أنها جزء من سبعين جزءاً . ا.هـ . باختصار من كلام ابن القيم .

أسماء الأنبياء والرسل مرتبة حسب تواريخ نزولهم

أول الأنبياء آدم ثم إدريس ثم نوح ثم هود ثم صالح ثم إبراهيم ثم ولداه إسماعيل وإسحاق ولوط ابن أخي إبراهيم ثم يعقوب بن إسحق ثم يوسف بن يعقوب ثم موسى وهارون ثم إلياس من ذرية هارون وشعيب في قول كثير من المفسرين كان معاصراً لموسى وهو صهره ثم داود وسليمان ابنه ثم زكريا ثم ابنه يحيى وابن خالته عيسى ، أما أيوب فهو من بني إسرائيل واختلف فيه هل كان قبل موسى أو بعده على قولين واليسع من بني إسرائيل أيضاً وقيل هو إلياس نفسه وذو الكفل من بني إسرائيل خلف اليسع بعد موته واختلف فيه فقيل كان نبياً وقيل كان صالحاً وليس بنبي وأما يونس فلا يعرف عنه أكثر من أنه يونس بن متى وأن الله أرسله إلى أهل نينوى من أرض الموصل ولا يعرف تاريخه بالضبط إلا أن الحافظ ابن حجر قال في شرح البخاري : يقال أنه كان في زمان ملوك الطوائف من الفرس وملوك الطوائف كانوا قبيل إبراهيم وممن اختلف في نبوته الخضر ومريم والصحيح أن الخضر كان نبيا لقوله تعالى ﴿ **وما فعلته عن أمرى** ﴾ أما مريم فليست بنبية إذ النبوة لا تكون إلا في الرجال ﴿ **وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً** ﴾ .

ثم من هؤلاء من كان نبياً ملكاً كداود وسليمان ومنهم من كان عبداً رسولاً كمحمد ﷺ . وسليمان عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام أحد الذين امتلكوا الدنيا فقد دعا ربه وقال ﴿ **رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب** ﴾ وقد امتلك الدنيا مؤمنان وكافران . والمؤمنان سليمان وذو القرنين المذكور في سورة الكهف وهو عبد صالح طاف المشارق والمغارب وهو غير الإسكندر المقدوني (الذى بنى الأسكندرية) فقد كان كافراً من عباد الشمس والكافران بختنصر والنمروذ .

الفرق بين النبي والرسول

قال صاحب شرح الطحاوية وقد ذكروا فروقاً بين النبي والرسول وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء إن أمره أن يبلغ غيره فهو رسول وليس بنبي فالرسول أخص من النبي

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً ولكن الرسالة أعم من جهة نفسها فالنبوة جزء من الرسالة اذ الرسالة تتناول النبوة وغيرها بخلاف الرسل فإنهم لا يتناولون الأنبياء وغيرهم بل الأمر بالعكس فالرسالة أعم من جهة نفسها وأخص من جهة أهلها وإرسال الرسل من أعظم نعم الله على خلقه وخصوصاً محمد ﷺ كما قال تعالى ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ ، وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾(١) وقال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾(٢) . اهـ .

تفاوت العباد في مراتب الفضل

قال تعالى ﴿ تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴾(٣) وقال سبحانه ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ ﴾ (٤) وأفضل الناس هم الرسل ثم الأنبياء ثم العلماء والصالحين وأفضل الرسل أولو العزم وهم خمسة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ورسول الله ﷺ وهو خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين قال تعالى ﴿ وَلَكِن رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾(٥) وقال ﷺ « مثلي ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بناؤه وترك منه موضع لبنة فطاف به النظار يتعجبون من حسن بنائه إلا موضع تلك اللبنة لا يعيبون سواها فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة ختم بي البنيان وختم بي الرسل » نحوه في الصحيحين . وقال ﷺ « إن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي » رواه الشيخان وفي صحيح مسلم عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ إنه سيكون في أمتي ثلاثون كذابون كلهم يزعم أنه نبي وأنا خاتم النبيين لانبيّ بعدي » وعند مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال « فضلت على الأنبياء بست أعطيت جوامع الكلم ونصرت بالرعب وأحلت لي الغنائم وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون » وقال رسول الله ﷺ « أنا سيد ولد

(١) آل عمران : ١٦٤ . (٢) الأنبياء : ١٠٧ . (٣) البقرة : ٢٥٣ .
(٤) الحج ٧٥ . (٥) الأحزاب : ٤٠ .

آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع » رواه مسلم . وقال أيضاً إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم » رواه مسلم وقال « إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً » رواه مسلم وقال « لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله » رواه مسلم . وإذا كان رسول الله ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين فكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى ولذلك وجب الحذر من طوائف الضلالة كالقاديانية والبهائية التي انحرفت عن منهج الإسلام وادعت النبوة في غلام أحمد وغيره - بل تعدت رسالة النبي ﷺ الإنس إلى الجن فهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى وبالنور والضياء كما قال الطحاوي . قال تعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً ﴾[1] وقال تعالى ﴿ قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[2] وقال تعالى ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَراً مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِم مُنذِرِينَ ، قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ . يَاقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ ... ﴾[3] .

فالجن لما تنادت قالت أنزل من بعد موسى ولم تقل أنزل من بعد عيسى ومعلوم أن عيسى كان قبل رسول الله ﷺ والسبب في ذلك أن التوراة شريعة مستقلة كالقرآن والإنجيل عبارة عن بعض الأحكام والأخلاق المكملة للتوراة ولذلك فالتوراة هي الأصل عند أهل الكتاب وهي التي يطلق عليها إسم العهد القديم .

---

(١) سبأ : ٢٨ . (٢) الأعراف : ١٥٨ .
(٣) الأحقاف : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ .

وجوب دخول اليهود والنصارى والناس كافة فى دين الإسلام .

يقول تعالى ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلَامُ ﴾(١) ويقول سبحانه ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ ﴾(٢) فدين الأنبياء واحد لم يتعدد من لدن آدم حتى قيام الساعة والإسلام هو الدين الذى ارتضاه ربنا للعالمين وإنما تعددت فقط شرائع الأنبياء وشريعة الإسلام حاكمة ومهيمنة على سائر الشرائع ونحن نؤمن بجميع الكتب المنزلة كما نؤمن أيضًا بأنبياء ورسل الله وهذه أركان من أركان الإيمان ومن بين الكتب صحف إبراهيم وزبور داود وتوراة موسى وإنجيل عيسى والقرآن الذى أنزله الله على نبيه ﷺ يقول الدكتور عمر الأشقر فى كتابه العقيدة فى الله « العقيدة ليست مختصة بالإسلام بل كل ديانة أو مذهب لا بد لأصحابه من عقيدة يقيمون عليها نظام حياتهم وهذا ينطبق على الأفراد كما ينطبق على الجماعات والعقائد منذ بدء الخليقة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها قسمان : الأول : يمثل العقيدة الصحيحة وهى تلك العقائد التى جاءت بها الرسل الكرام فى أى زمان ومكان وهى عقيدة واحدة لأنها منزلة من العليم الخبير ولا يتصور أن تختلف من رسول إلى رسول ومن زمان إلى زمان ـ والقسم الثانى يشمل العقائد الفاسدة على كثرتها وتعددها وفسادها ناشىء من كونها نتاج أفكار البشر ومن وضع عقلائهم ومفكريهم ومهما بلغ البشر من عظم الشأن فإن علمهم يبقى محدوداً مقيداً بقيود متأثراً بما حولهم من عادات وتقاليد وأفكار وقد يأتى فساد العقيدة من تحريفها وتغييرها وتبديلها كما هو الحال بالنسبة للعقيدة اليهودية والنصرانية فى الوقت الحاضر فإنهما حرفتا منذ عهد بعيد ففسادهما كان من هذا التحريف وإن كانت العقيدة سليمة فى الأصل والعقيدة الصحيحة اليوم لا توجد إلا فى الإسلام لأنه الدين المحفوظ الذى تكفل الله بحفظه ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾(٣) والعقائد فى غير الإسلام وإن كان فى بعضها نتف من الحق فإنها لا تمثل الحق ولا تجليه فمن أراد أن يعرف العقيدة السليمة فإنه لن يجدها فى اليهودية ولا فى

---

(١) آل عمران : ١٩ . (٢) آل عمران : ٨٥ .

(٣) الحجر : ٩ .

النصرانية ولا في كلام الفلاسفة وإنما يجدها فى الإسلام فى أصليه : الكتاب والسنة ندية طرية صافية مشرقة تقنع العقل بالحجة . البرهان وتملأ القلب إيمانًا ويقينًا ونورا وحياة ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١) ا . هـ . قال ﷺ « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » أخرجاه فى الصحيحين وقال أيضاً « لا يسمع بى رجل من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار » رواه مسلم بنحوه فكون النبى ﷺ مبعوثاً إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة وأما قول بعض النصارى إنه رسول إلى العرب خاصة : فظاهر البطلان فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه فى كل ما يخبر به وقد قال أنه رسول الله إلى الناس عامة والرسول لا يكذب فلزم تصديقه حتما فقد أرسل رسله وبعث كتبه فى أقطار الأرض إلى كسرى وقيصر والنجاشى والمقوقس وسائر ملوك الأطراف يدعو إلى الإسلام .

﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾(٢) .

قال القرطبى فى تفسيره قال مجاهد يعنى بالتأذين وفيه يقول حسان بن ثابت

أغرُّ عليه للنبوة خاتمٌ من الله مشهودٌ يلوح ويُشهدُ
وضم الإله اسم النبى إلى اسمه إذا قال فى الخمس المؤذنُ أشهدُ

وروى عن الضحاك عن ابن عباس قال يقول له لا ذُكرتُ إلا ذُكرتَ معى فى الآذان والإقامة والتشهد ويوم الجمعة على المنابر ويوم الفطر ويوم الأضحى وأيام التشريق ويوم عرفة وعند الجمار وعلى الصفا والمروة وفي خطبة النكاح وفى مشارق الأرض ومغربها ولو أن رجلا عبد الله جل ثناؤه وصدق بالجنة والنار وكل شيء ولم يشهد أن

(١) الشورى : ٥٢ . (٢) الشرح : ٤ .

محمداً رسول الله لم ينتفع بشىء وكان كافراً وقيل : أى أعلينا ذكرك فذكرناك فى الكتب المنزلة على الأنبياء قبلك وأمرناهم بالبشارة بك ولا دين إلا ودينك يظهر عليه وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة فى السماء وفى الأرض عند المؤمنين ونرفع فى الآخرة ذكرك بما نعطيك من المقام المحمود وكرائم الدرجات ا . هـ . قال الإمام ابن كثير في كتاب شمائل الرسول « وقد وجدت البشارات به ﷺ فى الكتب المتقدمة وهى أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر . وقد قدمنا قبل مولده عليه السلام طرفًا صالحاً من ذلك وقررنا فى كتاب التفسير عند الآيات المقتضية لذلك آثاراً كثيرة ونحن نورد هاهنا شيئًا مما وجد فى كتبهم التى يعترفون بصحتها ويتدينون بتلاوتها مما جمعه العلماء قديماً وحديثاً ممن آمن منهم واطلع على ذلك من كتبهم التي بأيديهم . فراجعه إن شئت ومن بين البشارات التى ذكرها الإمام : فى صحف إلياس عليه السلام « أنه خرج مع جماعة من أصحابه سائحاً فلما رأى العرب بأرض الحجاز قال لمن معه : انظروا إلى هؤلاء فإنهم هم الذين يملكون حصونكم العظيمة فقالوا : يانبى الله فما الذى يكون معبودهم ؟ فقال يعظمون رب العزة فوق كل رابية عالية » ومن صحف حزقيل « إن عبدى خيرتى أنزل عليه وحيى يظهر فى الأمم عدلى اخترته واصطفيته لنفسى وأرسلته إلى الأمم بأحكام صادقة » ومن كتاب النبوات « إن نبيا من الأنبياء مر بالمدينة فأضافه بنو قريظة والنضير فلما رآهم بكى فقالوا له :ما الذى يبكيك يا نبى الله ؟ فقال « نبى يبعثه الله من الحرم يخرب دياركم ويسبى حريمكم قال : فأراد اليهود قتله فهرب منهم » - وفى صحف أرميا « كوكب ظهر من الجنوب أشعته صواعق سهامه خوارق دكت له الجبال » وهذا المراد به محمد ﷺ . وفى الإنجيل يقول عيسى عليه السلام : « إنى مرتق إلى جنات العلى ومرسل إليكم الفارقليط روح الحق يعلمكم كل شىء ولم يقل شيئًا من تلقاء نفسه » والمراد بالفارقليط محمد صلوات الله وسلامه عليه وهذا كما تقدم عن عيسى أنه قال ﴿ **وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾(١) . ثم قال : « وهذا باب متسع ولو تقصينا جميع ماذكره الناس لطال هذا الفصل جداً وقد أشرنا إلى نبذ من ذلك يهتدى بها من نور الله بصيرته وهداه إلى صراطه المستقيم وأكثر من هذه النصوص يعلمها كثير من علمائهم

---

(١) الصف : ٦٦ .

وأحبارهم وهم مع ذلك يتكاتمونها ويخفونها » . ا هـ . يقول توماس كارليل المؤرخ الإنجليزى وهو يتحدث عن العرب وكيف أخرجهم الله بالإسلام من الظلمات إلى النور وتحولوا به من أمة هامدة لا يسمع لها صوت ولاتحس بها حركة يقول « فأرسل الله لهم نبياً بكلمة من لدنه ورسالة من قبله فإذا الخمول قد استحال شهرة والغموض نباهة والضعة رفعة والضعف قوة والشرارة حريقاً وعم نوره أنحاء العالم وعقد شعاعه الشمال بالجنوب والمشرق بالمغرب وما هو إلا قرن بعد هذا الحادث حتى أصبح لدولة العرب رجل فى الهند ورجل فى الأندلس وأشرقت دولة الإسلام حقباً عديدة ودهوراً مديدة بنور الفضل والنبل والمروءة والنجدة وخيم الحق والهدى على نصف المعمورة .

فأنت ترى كيف أن الله تعالى هو الذى تولى رفع ذكر نبيه ﷺ فى اللوح المحفوظ حين قدر سبحانه أن تمر القرون وتكر الأجيال وملايين الشفاة فى كل مكان تهتف بهذا الاسم الكريم مع الصلاة والتسليم بل ويقدم المؤمن محبة النبى ﷺ على محبته للوالد والولد والمال والأهل والتجارة . وقد ارتبط بهذا المنهج الإلهى الرفيع وكان مجرد الاختيار لهذا الأمر رفعة ذكر لم ينلها أحد من قبل ولا من بعد فى هذا الوجود . قال قتادة : رفع الله ذكره فى الدنيا والآخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا ينادى : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وكما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه .

وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد

دعوات نبوية تتعلق برفع الذكر

فى صحيح الحاكم عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبى ﷺ « هذا ما سأل محمد ﷺ ربه « اللهم إنى أسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح وخير العمل وخير الثواب وخير الحياة وخير الممات وثبتنى وثقل موازينى وحقق إيمانى وارفع درجتى وتقبل الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين ، اللهم إنى أسألك خير ما آتى وخير ما أفعل وخير ما يطن وخير ما ظهر ، اللهم إنى أسألك أن ترفع

ذكرى وتضع وزرى وتصلح أمرى وتطهر قلبى وتحصن فرجي وتنور لى قلبى وتغفر لى ذنبي وأسألك أن تبارك لى فى نفسى وفى سمعى وفى بصرى وفي روحي وفى خَلقى وفى خُلقى وفى أهلى وفى محياى وفى مماتى وفى عملى وتقبل حسناتى وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين » وفيه أيضاً عن عائشة أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء « اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل وأعوذ بك من النار وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشداً ». وفيه أيضًا عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له « إنى أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن وترغب إليه فيهن وتدعو بهن فى الليل والنهار : قل اللهم إنى أسألك صحة فى إيمان وإيمانا فى حسن خلق ونجاحاً يتبعه فلاح ورحمة منك وعافية ومغفرة منك ورضوانًا » . وفيه أيضًا عن ابن مسعود رضى الله عنه قال : كان من دعاء رسول الله ﷺ « اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار » . وفيه أيضًا عن رسول الله ﷺ أنه قال « اللهم احفظنى بالإسلام قائما واحفظنى بالإسلام قاعدا واحفظنى بالإسلام راقداً ولا تشمت بى عدواً ولا حاسدًا اللهم إنى أسألك من خير خزائنه بيدك وأعوذ بك من شر خزائنه بيدك » فسل الله من فضله وتضرع لجنابه سبحانه وألح عليه بالدعاء فإن العبد إذا ألهم الدعاء فإن الإجابة معه قال تعالى ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾(١) وقال تبارك وتعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾(٢) واعلم أن الله يحب الملحين فى الدعاء فالحمد لله حمدا طيباً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى وكما ينبغى لكرم وجهه وعز جلاله ملء سمواته وملء أرضه وملء ما شاء من شيء بعد حمداً يوافى نعمه ويكافىء مزيده وصلى الله على نبينا محمد خاتم أنبيائه ورسله وخيرته من بريته وأمينه على وحيه وسفيره بينه وبين عباده فاتح أبواب الهدى ومخرج الناس من

(١) غافر : ٦٠ . (٢) البقرة : ١٨٦ .

الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد الذى بعثه للإيمان مناديا وإلى الصراط المستقيم هادياً وإلى جنات النعيم داعيا وبكل المعروف آمراً وعن المنكر ناهيا فأحيا به القلوب بعد مماتها وأنارها بعد ظلماتها وألف بينها بعد شتاتها فدعا إلى الله عز وجل على بصيرة بالحكمة والموعظة الحسنة وجاهد فى الله حق جهاده حتى عبد الله وحده لا شريك له وسارت دعوته سيرة الشمس فى الأقطار وبلغ دينه الذى ارتضاه لعباده ما بلغ الليل والنهار وصلى الله عز وجل وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرف بالله تعالى ودعا إليه وسلم تسليما .

عالم الملائكة الأبرار

وهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ويسبحون الليل والنهار لا يفترون وقد وصف الله الملائكة بأنهم كرام بررة ﴿ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾(١) خلقهم ربنا من نور وعندهم المقدرة على التشكل وهم لا يأكلون ولا يشربون وهم خلق كثير لا يعلم عددهم إلا الذى خلقهم لا يملون ولايتعبون وهم يموتون و لهم عند ربهم مقامات متفاوتة معلومة ﴿ وَمَا مِنَّا إِلاَّ لَهُ مَقَامٌ مَعْلُوم ﴾(٢) وقال فى جبريل ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴾(٣) وأفضل الملائكة هم الذين شهدوا معركة بدر ففى صحيح البخارى عن رفاعة بن رافع :« أن جبريل جاء النبى ﷺ فقال : ما تعدون من شهد بدراً فيكم ؟ قلت : خيارنا قال : وكذلك من شهد بدراً من الملائكة هم عندنا خيار الملائكة » والملائكة لا توصف بالذكورة أو الأنوثة ولهم وظائف كثيرة يقومون بها بأمر الله ولديهم سرعات عظيمة وهم منظمون فى كل شؤونهم وفى ذلك يقول النبى ﷺ « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها ؟ قالوا وكيف يصفون عند ربهم ؟ قال يكملون الصف الأول فالأول يتراصون فى الصف » رواه الجماعة إلا البخارى وقد فضلنا الله على بقية الأمم بأن جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة رواه مسلم . ومن أسماء الملائكة المعروفة والمشهورة :

(١) جبريل وهو ملك الوحى وهو أعظم الملائكة مكانة وقدرا قال تعالى فى وصفه ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴾(٤) والمراد بالرسول الكريم هنا جبريل ودى العرش رب العزة سبحانه وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال « قال رأى رسول الله ﷺ جبريل فى صورته وله ستمائة جناح كل جناح منها قد سد الأفق يسقط من جناحه التهاويل (الأشياء المختلفة الألوان من الدر واليواقيت) قال ابن كثير إسناده جيد . وجبريل هو الروح الأمين وهو الذى أرسله الله

---

(١) عبس : ١٥ . (٢) الصافات : ١٦٤ .
(٣) ٤، (٤) التكوير : ١٩ ــ ٢١ .

إلى مريم ﴿ فأرسلنا إليها روحنا ﴾ وهو المذكور في قوله تعالى ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم ﴾ قال تعالى ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ . مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴾[1].

(٢) ميكائيل . وهو الملك الموكل بالقطر (المطر) ويسمى أيضاً ميكال .

(٣) إسرافيل وهو الذى ينفخ فى الصور وكان النبى ﷺ إذا استيقظ من الليل قال فى دعائه « اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم .

(٤) مالك وهوخازن النار ﴿ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾[2] .

(٥) رضوان خازن الجنة .

(٦) منكر ونكير وقد استفاض فى الأحاديث ذكرهما فى سؤال القبر.

(٧) هاروت وماروت المذكوران فى قوله تعالى ﴿ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ﴾[3] .

(٨) عزرائيل ولا يصح تسمية ملك الموت بذلك والتسمية بعزرائيل وإن كانت مستفيضة على ألسنة الناس إلا أنها لم ترد فى كتاب أو سنة صحيحة

المفاضلة بين الملائكة والبشر

ذهب شيخ الإسلام إلى أن صالحى البشر أفضل باعتبار كمال النهاية وذلك إنما يكون إذا دخلوا الجنة ونالوا الزلفى وسكنوا الدرجات العلا وحياهم الرحمن وخصهم

---

(١) البقرة : ٩٧ ــ ٩٨ .　　(٢) الزخرف : ٧٧ .
(٣) البقرة : ١٠٢ .

بمزيد قربه وتجلى لهم يستمتعون بالنظر إلى وجهه الكريم وقامت الملائكة فى خدمتهم بإذن ربهم . والملائكة أفضل باعتبار البداية فإن الملائكة الآن فى الرفيق الأعلى منزهون عما يلابسه بنو آدم مستغرقون في عبادة الرب ولاريب أن هذه الأحوال الآن أكمل من أحوال البشر قال ابن القيم : وبهذا التفصيل يتبين سر التفضيل وتتفق أدلة الفريقين ويصالح كل منهم على حقه والله أعلم بالصواب (راجع كتاب عالم الملائكة الأبرار د . عمر الأشقر) .

أنواع العلـــوم

بلغت العلوم من الكثرة حداً وصل به بعضهم إلى ستين علماً ومن الممكن أن نصنفها إلى المجموعات الثلاث التالية :

(١) العلوم الشرعية (٢) العلوم الكونية (٣) العلوم الرياضية

وهذه العلوم منها ما هو واجب عيني أو كفائي ومنها ما هـو جائز ومنها ما هو مـحرم .

أولا العلوم الشرعية :

قال ابن قدامة رحمه الله ، أما العلوم الشرعية فكلها محمودة وتنقسم إلى أصول وفروع ومقدمات ومتممات .

فالأصول : كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة وآثار الصحابة .

والفروع : ما فهم من هذه الأصول من معانٍ تنبهت لها العقول حتى فهم من اللفظ الملفوظ غيره كما فهم من قوله « لا يقض القاضي وهو غضبان » متفق عليه . أنه لا يقضي جائعًا .

والمقدمات : هي التي تجرى مجرى الآلات كعلم النحو واللغة فإنها آلة لعلم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

والمتممات : كعلم القراءات ومخارج الحروف وكالعلم بأسماء رجال الحديث وعدالتهم وأحوالهم فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة ا . هـ

وقد قسم بعض الجهلة مسائل العلوم إلى قشر ولباب، وقسمت الصوفية مسائل الدين إلى علم الظاهر وعلم الباطن أو علم الحقيقة والشريعة على طريقتهم المخترعة والمبتدعة ثم وصفوا أنفسهم بأنهم علماء الحقيقة وأن بقية علماء الأمة هم أهل الشريعة فما أقبح زعم الصوفية . وقد اعترض شيخ الإسلام ابن تيمية على تقسيم الدين إلى أصول وفروع فقال

« وأما التفريق بين نوع وتسميته مسائل الأصول وبين نوع آخر وتسميته مسائل الفروع فهذا الفرق ليس له أصل لا عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام وإنما هو مأخوذ عن المعتزلة وأمثالهم من أهل البدع وعنهم تلقاه من ذكره من الفقهاء في كتبهم وهو تفريق متناقض فإنه يقال لمن فرق بين النوعين ما حد مسائل الأصول التي يكفر المخطيء فيها ؟ وما الفاصل بينها وبين مسائل الفروع ؟ فإن قال مسائل الأصول هي مسائل الاعتقاد ومسائل الفروع هي مسائل العمل قيل له : فتنازع الناس في محمد ﷺ هل رأى ربه أم لا ؟ وفي أن عثمان أفضل من عليّ ؟ وفي كثير من معاني القرآن ، وتصحيح بعض الأحاديث هي من المسائل الاعتقادية العلمية ولا كفر فيها بالاتفاق ، ووجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج وتحريم الفواحش والخمر هي مسائل قطعية وكثير من مسائل العلم ليست قطعية وكون المسألة قطعية أو ظنية هو من الأمور الإضافية وقد تكون المسألة عند رجل قطعية لظهور الدليل القاطع له كمن سمع النص من رسول الله ﷺ وتيقن مراده منه وعند رجل لا تكون ظنية فضلاً عن أن تكون قطعية لعدم بلوغ النص إياه ، أو لعدم ثبوته عنده أو لعدم تمكنه من العلم بدلالته أ . هـ . وقد اصطلح البعض على تسمية مسائل التوحيد ظلما وزورا باسم علم الكلام وبالجملة يجب الحذر من الاصطلاحات الحادثة والتقسيمات التي تنطوي على مخالفات لكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . يقول الشيخ الألباني « وبهذه المناسبة نقول : إن من الواجب على أهل العلم أن ينتبهوا للمعاني الحديثة التي طرأت على الألفاظ العربية التي تحمل معاني خاصة معروفة عند العرب هي غير هذه المعاني الحديثة لأن القرآن نزل بلغة العرب فيجب أن تفهم مفرداته وجمله في حدود ما كان يفهم العرب الذين أنزل عليهم القرآن ولا يجوز أن تفسر بهذه المعاني الاصطلاحية الطارئة التي اصطلح عليها المتأخرون وإلا وقع المفسر بهذه المعاني في الخطأ والتقول على الله ورسوله من حيث لا يشعر وقد قدمت مثالاً على ذلك لفظ (الكراهة) وإليك مثالاً آخر لفظة (السنة) فإنه في اللغة الطريقة وهذا يشمل كل ما كان عليه ﷺ من الهدى والنور فرضًا كان أو نفلاً وأما اصطلاحاً فهو خاص بما ليس فرضاً من هديه ﷺ فلا يجوز أن يفسر بهذا المعنى الاصطلاحي لفظ السنة الذي ورد في بعض الأحاديث الكريمة كقوله ﷺ « وعليكم بسنتي » وقوله « سبعة لعنهم الله

وكلُّ نبى مستجاب الدعوة ... والتارك لسنتى ..» وقوله ﷺ « ... فمن رغب عن سنتى فليس منى » ومثله الحديث الذى يورده بعض المشايخ المتأخرين فى الحض على التمسك بالسنة بمعناها الاصطلاحى وهو من ترك سنتى لم تنله شفاعتى » فأخطأوا مرتين : الأولى : نسبتهم الحديث إلى النبى ﷺ ولا أصل له فيما نعلم والثانية تفسيرهم للغة بالمعنى الاصطلاحى غفلة منهم عن معناها الشرعى وما أكثر ما يخطىء الناس فيما نحن فيه بسبب مثل هذه الغفلة ا .هـ من تحذير الساجد .

بيان ما هو فرض عين وفرض كفاية

يجب علي كل مسلم ومسلمة أن يتعلم التوحيد وما ينافيه من الشرك وأن يتعلم الحلال والحرام والفرائض ، ما تصح به وماتبطل به والأمور التى تستصلح بها القلوب كالصبر والشكر ، كما يجب أيضا أن يتعلم المسلم ما يستدفع به الشبهات عن نفسه . وفى الحديث « طلب العلم فريضة على كل مسلم » صححه الألبانى وفى الحديث الآخر « طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة » ومعناه صحيح إذ النساء شقائق الرجال فى الأحكام . ويأثم الإنسان بجهله إذا تمهدت له سبل العلم ولم يتعلم . ويجب على بعض الأمة أن تتعلم الصناعة والزراعة والهندسة والطب ونحو ذلك من العلوم النافعة التى تخدم الأمة .وينتفع بها المسلمون وهذه العلوم هى من جملة فروض الكفاية بمعنى إذا لم يقم القادرون بها لحقهم الإثم والذنب أو يأثم الكل بشىء من التجوز كما يقول الإمام الشاطبى لأن غير القادر قادر على إقامة القادر . وفرض الكفاية فرض عين حتى يقم . قال الإمام أبو عمر بن عبد البر « قد أجمع العلماء على أن من العلم ما هو فرض متعين على كل امرىء فى خاصته بنفسه ومنه ما هو فرض على الكفاية إذا قام به قائم سقط فرضه عن أهل ذلك الموضع واختلفوا في تلخيص ذلك والذى يلزم الجميع فرضه من ذلك ما لا يسع الإنسان جهله من جملة الفرائض المفترضة عليه نحو الشهادة باللسان والإقرار بالقلب بأن الله وحده لا شريك له ولا شبه له ولا مثل لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد خالق كل شىء وإليه مرجع كل شىء المحيى المميت الحى الذى لا يموت والذى عليه جماعة أهل السنة أنه لم يزل بصفاته وأسمائه وليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته

انقضاء وهو على العرش استوى . والشهادة بأن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وخاتم أنبيائه حق وأن البعث بعد الموت للمجازاة بالأعمال والخلود في الآخرة لأهل السعادة بالإيمان والطاعة في الجنة ولأهل الشقاوة بالكفر والجحود في السعير حق وأن القرآن كلام الله وما فيه حق من عند الله يجب الإيمان بجميعه واستعمال محكمه وأن الصلوات الخمس فرض ويلزمه من علمها علم ما لا تتم إلا به من طهارتها وسائر أحكامها وأن صوم رمضان فرض ويلزمه علم ما يفسد صومه وما لا يتم إلا به وإن كان ذا مال وقدرة لزمه فرضاً أن يعرف ما تجب فيه الزكاة ومتى تجب وفي كم تجب ويلزمه أن يعلم بأن الحج عليه فرض مرة واحدة في دهره إن استطاع إليه سبيلاً إلى أشياء يلزمه معرفة جملتها ولا يعذر بجهلها نحو تحريم الزنا والربا وتحريم الخمر والخنزير وأكل الميتة والأنجاس كلها والغصب والرشوة على الحكم والشهادة بالزور وأكل أموال الناس بالباطل وبغير طيب من أنفسهم إلا إذا كان شيئًا لا يتشاح فيه ولا يرغب في مثله وتحريم الظلم كله وتحريم نكاح الأمهات والأخوات ومن ذكر معهن وتحريم قتل النفس المؤمنة بغير حق وما كان مثله هذا كله مما قد نطق الكتاب به وأجمعت الأمة عليه ثم سائر العلم وطلبه والتفقه فيه وتعليم الناس إياه وفتواهم به في مصالح دينهم ودنياهم فهو فرض على الكفاية يلزم الجميع فرضه فإذا قام به قائم سقط فرضه عن الباقين لا خلاف بين العلماء في ذلك وحجتهم فيه قول الله عز وجل ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾(١) فألزم النفير في ذلك البعض دون الكل ثم ينصرفون فيعلمون غيرهم والطائفة في لسان العرب الواحد فما فوقه »

ا . هـ من جامع بيان العلم . فالعلوم الشرعية هي أعلى العلوم وأشرفها وهي في الجملة علوم مقصودة لذاتها وليست وسيلة إلى غيرها وإن كان لفظ العلوم الشرعية قد يتناول علوماً هي وسائل للعلوم الشرعية وليست بغايات في حد ذاتها مثل علم قوانين الكتابة وعلم قوانين القراءة وعلم القراءات وعلم التجويد وعلم الرسم والنحو والصرف والبلاغة وعلم العروض وعلم القوافي وعلم اللغة والأدب والوسائل لها حكم الغايات والغاية هنا هي المعرفة عن الله تعالى ليعبد بما شرع وكل علم يساعد على هذه الغاية فهو

(١) التوبة : ١٢٢ .

علم محمود فاضل وسعى طالبه مشكور وهو فيه مأجور غير مأزور . وهذه العلوم التى هى وسائل هى أيضًا من جملة فروض الكفاية إذ ما يتوقف عليه كمال الأمة وسعادتها هو واجب والقاعدة الشرعية مالا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ولا يخفى عليك أن كل علم من هذه العلوم له مشاهيره كالأئمة الأربعة أبو حنيفة ومالك والشافعى وأحمد رحمهم الله جميعا وسيبويه فى النحو وكثيراً ما نسمع أن هذه قراءة حفص عن عاصم أو قراءة ورش عن نافع فهؤلاء من مشاهير القراء .

المعلوم من الدين بالضرورة

وهى مسائل دلت النصوص الشرعية دلالة قطعية على حكمها كفرضية الصلاة والتى من جحدها أو أنكر فرضيتها أواستخف بحقها أو استهزأ بأهلها فهو كافرفجحود المعلوم من الدين بالضرورة كفر وكذلك فالخمر محرمة والزنا محرم فمن استحل الحرام فقد كفر حتى وإن لم يتعاط الخمرأوالزنا يكفى أنه مع معرفته التحريم وصفه مثلاً بالرجعية أوالتخلف أو أن تحريم الخمر لا يليق بالقرن العشرين فكلها صور من صور الكفر ولا بد أن ننبه فى هذا المقام إلى أن المعلوم من الدين بالضرورة هنا قد يكون مجهولاً فى أدغال إفريقيا والمعلوم فى القرن الأول قد يكون مجهولاً فى القرن الخامس عشر وأيضاً المعلوم لإنسان قد يكون مجهولاً لآخر وبالتالى فلا بد من قيام الحجة الرسالية على يد عالم أو ذى سلطان مطاع لتنتفى الشبهات وتدرأ المعاذير ويحيى من حيّ عن بينة ويهلك من هلك أيضًا عن بينة فلا بد من التفريق بين النوع والمعين والقول قد يكون كفراً ويطلق القول بتكفير قائله أما الشخص المعين الذى تلبس به فلا يكفر إلا بعد قيام الحجة عليه . جاء فى كتاب الوجيز نقلا عن التلويح تحت عنوان الجهل فى دار الحرب « القاعدة أن العلم فيها لا يفترض إذ هى ليست دار علم بالأحكام الشرعية بل دار جهل بها وعلى هذا إذا أسلم شخص هناك ولم يعلم حقيقة وجوب العبادات عليه كالصلاة ونحوها فلم يؤدها فإنها لا تلزمه قضاء إذا علمها وكذلك إذا شرب الخمر جهلاً منه بحرمتها فلا إثم عليه ولا عقاب لأن المؤاخذة ولزوم التكليف يثبتان ببلوغ الخطاب إليه حقيقة أو تقديراً بشهرته فى محله وليست دار الحرب بالدار التى تشيع فيها الأحكام وتشتهر ا .هـ .

يقول في دار الإسلام عدم اعتبار الجهل عذراً إذا خالف اجتهاده صريح الكتاب أو السنة المشهورة مثل القول بحل الذبيحة التي تركت التسمية عليها عمداً ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه** ﴾ أو القول بالتحليل بدون وطء لمخالفته السنة المشهورة ا .هـ فأنت ترى كيف يفرق العلماء بين دار وأخرى في ترتيب الأحكام . وقد سئل الشيخ ابن باز حفظه الله وقيل له (حصل نزاع بين إخواننا المسلمين في تركيا في هذا الحديث « من حلل حراماً أو حرم حلالا فقد كفر » هل يعد من حلل حراماً أو حرم حلالاً من الكافرين أو من المذنبين وما معنى قوله « كفر » في الحديث أو ليس بينه وبين كلمة كافر فرق نرجو من سماحتكم جواباً مقنعاً كافياً شافياً في هذا الحديث ؟

الجواب : أولا : هذا الحديث لا نعلم له أصلاً ولا نعلم أحداً من الأئمة المعتبرين أخرجه بإسناد صحيح ولا ضعيف فلا يعول عليه والحالة ما ذكر .

ثانيا : إذا خالف مسلم حكماً ثابتاً بنص صريح من الكتاب والسنة لا يقبل التأويل ولا مجال فيه للاجتهاد أو خالف إجماعاً قطعياً ثابتاً بُين له الصواب في الحكم فإن قبل فالحمد لله وإن أبى بعد البيان وإقامة الحجة وأصر على تغيير حكم الله حُكم بكفره وعومل معاملة المرتد عن دين الإسلام مثال ذلك من أنكر الصلوات الخمس أو إحداها أو فريضة الصيام أو الزكاة أو الحج وتأول ما دل عليها من نصوص الكتاب والسنة ولم يعبأ بإجماع الامة . وإذا خالف حكماً ثابتاً بدليل مختلف في ثبوته أو قابل للتأويل بمعان مختلفة وأحكام متقابلة فخلافه خلاف في مسألة اجتهادية فلا يكفر بل يعذر في ذلك من أخطأ ويؤجر أجرين من أصاب أجر على اجتهاده وأجر على إصابته مثال ذلك من أنكر وجوب قراءة الفاتحة على المأموم ومن قال بوجوب قراءتها عليه ومن خالف في حكم صنع أهل الميت الطعام وجمع الناس عليه فقال إنه مستحب أو قال إنه مباح أو أنه مكروه غير حرام فمثل هذا لا يجوز تكفيره ولا إنكار الصلاة وراءه ولا تمتنع مناكحته ولا يحرم الأكل من ذبيحته بل تجب مناصحته ومذاكرته في ذلك على ضوء الأدلة الشرعية لأنه أخ مسلم له حقوق المسلمين والخلاف في هذه المسألة خلاف في مسألة فرعية اجتهادية جرى مثلها في عهد الصحابة رضى الله عنهم وأئمة السلف ولم يكفر

بعضهم بعضاً ولم يهجر بعضهم بعضاً وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ا . هـ . وكان شيخ الإسلام ابن تيمية يقول فى القرن السابع الهجرى « ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فإنا لا نكفر إلا بعد قيام الحجة الرسالية » وكذلك قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيمن رآه يسجد عند قبر عبد القادر الجيلانى أو السيد البدوى وقد جهلت المرأة النوبية التى زنيت مع مرعوش بدرهمين أن هناك حداً مرتباً على هذه الفاحشة وقال عثمان لعمر رضى الله عنهما أراها تستسهل به (أى بزناها) كأنها لا تعلم فلم يقم عمر الحد عليها وقال ليس الحد إلا على من علم على الرغم من أن هذه المرأة كانت تعيش فى دار الإسلام التى تطبق الأحكام الشرعية فيها ولكنها كانت نوبية وكانت لا تعلم فإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات فأولى ثم أولى أمر التكفير .

فضل العلم ومنزلة العلماء

قال رسول الله ﷺ « ومن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله تعالى له به طريقًا إلى الجنة ». رواه مسلم وقال « ما من خارج خرج من بيته فى طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضاً بما يصنع » رواه الترمذى وصححه . وفى الحديث « من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع » رواه الترمذى وصححه . وعن كعب قال « الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا متعلم خير أومعلمه » وعن خالد بن معدان قال : الناس : عالم ومتعلم وما بين ذلك همج لا خير فيه وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يقول : « تعلموا قبل أن يقبض العلم فإن قبض العلم قبض العلماء وإن العالم والمتعلم فى الأجر سواء وكان إذا رأى طلبة العلم قال مرحباً بطلبة العلم ويقول : إن رسول الله ﷺ أوصى بكم وقد أثنى ربنا جل وعلا على العلماء فى مواضع كثيرة منها قوله تعالى ﴿ **إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ** ﴾[1] ومنها ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾ وقوله سبحانه : ﴿ **قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ** ﴾[2] وقوله ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾[3] وروى البخارى عن جابر رضى الله عنه أن

---

(١) فاطر : ٢٨ . (٢) الزمر : ٩ (٣) آل عمران : ١٨ .

النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد ثم يقول أيهما أكثر أخذاً للقرآن فإذا أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد » وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه يقول « إن هذه القلوب أوعية فخيرها أوعاها فاحفظ ما أقول لك : الناس ثلاثة عالم رباني ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجأوا إلى ركن وثيق ».

هل المسلم ملزم باتباع مذهب عالم من العلماء المشهورين

لا بأس بالتمذهب ويجب على الإنسان إذا علم مخالفة قول إمامه لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ أن يترك قول الإمام ويتابع الكتاب والسنة وبسبب شهرة بعض العلماء ومن بينهم الأئمة الأربعة وقع كثير من الناس في المحظور على الرغم من تحذير العلماء من أخذ أقوالهم المخالفة للكتاب والسنة بل قد حرم الإمام أبو حنيفة أن يفتي أحد بقوله إلا إذا علم دليله حيث يقول « حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بقولي » وكان يقول فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً وكان يقول « إذا صح الحديث فهو مذهبي » وما دعا أحد منهم الناس إلى اتباعه بل جميعهم نهوا تلاميذهم عن تقليدهم وأمروهم باتباع الحق والدليل كما قال الإمام أحمد لتلميذه : « لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعي ولا الثوري وخذ من حيث أخذوا » يعني الكتاب والسنة وقال رأي الأوزاعي ورأي مالك ورأي أبو حنيفة كله رأي وهو عندي سواء وإنما الحجة في الآثار وقال « من رد حديث رسول الله ﷺ فهو على شفا هلكة » ورفض الإمام مالك أن يحمل الناس على ما في كتابه الموطأ وقال رحمه الله « إنما أنا بشر أخطىء وأصيب فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه » . وقال : « ليس أحد بعد النبي ﷺ إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي ﷺ » ولما سئل الإمام الشافعي رحمه الله وقيل له « أرأيت أقاويل أصحاب رسول الله ﷺ إذا تفرقوا فيها فقال نصير فيها إلى ما وافق الكتاب أو السنة أو الإجماع أو كان أصح في القياس » وقال : لا يجعل القياس والخبر موجود » . ويقول أيضاً « ليس لأحد دون رسول الله ﷺ أن يقول إلا بالاستدلال ولا يقول بما استحسن فإن القول بما استحسن شيء يحدثه لا على مثال

سبق » . ويقول « أجمع المسلمون على أن من استبان له سنة عن رسول الله ﷺ لم يحل له أن يدعها لقول أحد » وقال « إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ماقلت » . وقال أيضاً رحمه الله « كل مسألة صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ عند أهل النقل بخلاف ما قلت فأنا راجع عنها فى حياتى وبعد مماتى » وكان يقول « كل ما قلت فكان عن النبى ﷺ خلاف قولى مما يصح فحديث النبى ﷺ أولى فلا تقلدونى » ا. هـ . فإذا لم يستطع الإنسان معرفة الحق بدليله بعد بذله وسعه فلا بأس بتقليد من يثق بعلمه وورعه وتقواه ، ودائرة العلماء لا تقتصر على الأئمة الأربعة بل هى أوسع من ذلك بكثير فالتقليد لا يصار إليه إلا فى حال الاضطرار كمنزلة الميتة للمضطر . وعلى العالم إذا سئل عن دليل المسألة أن يوضحه لمن استفتاه وقد أجمع المسلمون أن للمقلد أن يقلد من يشاء من المجتهدين إذا توصل إلى حقيقة مذاهبهم وله أن يقلد كل يوم إماماً من الأئمة كما أجمعوا على أن المقلد إذا ما تمرس فى فهم مسألة من المسائل وتبصر بأدلتها من الكتاب والسنة وأصول الاجتهاد وجب عليه أن يتحرر فى الأخذ بها من مذهب إمامه وحرم عليه التقليد طالما أمكنه أن يجتهد فيها ويحرم عليه ترجيح رأى إمامه على ماهداه إليه اجتهاده فى تلك المسألة التى توفر على دراستها والتعمق فى فهم أدلتها وأصولها ويصح اقتداء الشافعى بالحنفى والحنفى بالشافعى وخلاف ذلك تعصب مقيت ومذموم يتصادم مع كلام الأئمة الأعلام أنفسهم ولا يصح القول بإغلاق باب الاجتهاد أو انحصار الفقه فى الأئمة الأربعة فالاجتهاد بابه مفتوح لكل من تأهل لذلك وحصل أدوات النظر فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ والعالم إذا اجتهد فأصاب فله أجران وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر فالحق فى المسائل واحد لايتعدد ومسائل الفقه تدور بين الخطأ والصواب والأقوال العارية من الأدلة متساوية ونحذر أنفسنا وإخواننا من التعصب والجمود المذهبى وإطلاق القول بالتقليد بحيث أصبح الاستثناء هو الأصل فانعدمت روح البحث عن الدليل وتابع البعض زلات العلماء وصنعوا منها ديناً لأنفسهم ثم كان التعصب والتنافس والوقيعة والتباغض بين المقلدين وارتكبت بسبب ذلك كثير من المخالفات وضعف الوازع الدينى وكثر التحايل على المسائل الشرعية . وقد أدى هذا التقليد وبهذه الكيفية الموجودة الآن إلى تعظيم الأئمة إلى الحد الذى رفعهم إلى

نسبة العصمة لهم وعدم جواز الخطأ عليهم فى الوقت الذى يردون فيه الآية المحكمة القاطعة الدلالة والحديث الصحيح الواضح وهذا خوفاً من مخالفة الإمام !! أىّ ضلال هذا حين يقدم المرء كلام المخلوق على كلام الخالق ونـنبه إلى خطورة المسلك الذى يسلكه البعض وذلك حين يطوف على مذهب العلماء تلمساً للرخص فمثل هذا الإنسان يفسق ويتجمع فيه الشر كله فكيف بمن صنع دينه من زلات علماء الأمة . وكما قالوا لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة وقالوا أيضًا وما كل خلاف جاء معتبراً . ونحن عندما نرجع للعلماء إنما نفعل ذلك لأخذ فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ . وكما قال البعض شيخ الإسلام حبيب إلى أنفسنا والحق أحب إلينا منه وهذا لا يقدح ولا يطعن فى محبتنا لعلماء الأمة المعتبرين وتقديرنا لهم واحترامهم وموالاتهم فهذا واجب على كل مسلم وليس معنى ذلك أن نوجب التمذهب إذ لا واجب إلا ما أوجبه الله ورسوله .

القرار التاسع
بشأن موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب والتعصب المذهبي من بعض أتباعها

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي برابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧ م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ قد نظر في موضوع الخلاف الفقهي بين المذاهب المتبعة وفي التعصب الممقوت من بعض أتباع المذاهب لمذهبهم تعصباً يخرج عن حدود الاعتدال ويصل بأصحابه إلى الطعن في المذاهب الأخرى وعلمائها . استعرض المجلس المشكلات التي تقع في عقول الناشئة العصرية وتصوراتهم حول اختلاف المذاهب الذي لا يعرفون مبناه ومعناه فيوحي إليهم المضللون بأنه ما دام الشرع الإسلامي واحداً وأصوله من القرآن والسنة النبوية الثابتة متحدة أيضاً فلماذا اختلاف المذاهب ولم لا توحد حتى يصبح المسلمون أمام مذهب واحد وفهم واحد لأحكام الشريعة كما استعرض المجلس أيضاً أمر العصبية المذهبية والمشكلات التي تنشأ عنها ولا سيما بين أتباع بعض الاتجاهات الحديثة اليوم في عصرنا هذا حيث يدعوا أصحابها إلى خط اجتهادي جديد ويطعنون في المذاهب القائمة التي تلقتها الأمة بالقبول من أقدم العصور الإسلامية ويطعنون في أئمتها أو بعضهم ضلالاً ويوقعون الفتنة بين الناس . وبعد المداولة في هذا الموضوع ووقائعه وملابساته ونتائجه في التضليل والفتنة قرر المجمع الفقهي توجيه البيان التالي إلى كلا الفريقين المضللين والمتعصبين تنبيهاً وتبصيراً :

أولاً : اختلاف المذاهب :

إن اختلاف المذاهب الفكرية القائم فى البلاد الإسلامية نوعان :

(أ) اختلاف فى المذاهب الاعتقادية . (ب) واختلاف فى المذاهب الفقهية .

فأما الأول : وهو الاختلاف الاعتقادى فهو فى الواقع مصيبة جرت إلى كوارث فى البلاد الإسلامية وشقت صفوف المسلمين وفرقت كلمتهم وهى مما يؤسف له ويجب أن لا يكون وأن تجتمع الأمة على مذهب أهل السنة والجماعة الذى يمثل الفكر الإسلامى النقى السليم فى عهد الرسول ﷺ وعهد الخلافة الراشدة التى أعلن الرسول أنها امتداد لسنته بقوله « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ » . وأما الثانى وهو اختلاف المذاهب الفقهية فى بعض المسائل فله أسباب علمية اقتضته ولله سبحانه فى ذلك حكمة بالغة ومنها الرحمة بعباده وتوسيع مجال استنباط الأحكام من النصوص ثم هى بعد ذلك نعمة وثروة فقهية تشريعية تجعل الأمة الإسلامية فى سعة من أمر دينها وشريعتها فلا تنحصر فى تطبيق شرعى واحد حصراً لامناص لها منه إلى غيره بل إذا ضاق بالأمة مذهب أحد الأئمة الفقهاء فى وقت ما أو فى أمرما وجدت فى المذهب الآخر سعة ورفقاً ويسراً سواء أكان ذلك فى شئون العبادة أم فى المعاملات وشؤون الأسرة والقضاء والجنايات على ضوء الأدلة الشرعية . فهذا النوع الثانى من اختلاف المذاهب وهو الاختلاف الفقهى ليس نقيصه ولا تناقضاً فى ديننا ولا يمكن أن لا يكون فلا يوجد أمة فيها نظام تشريعى كامل بفقهه واجتهاده ليس فيها هذا الاختلاف الفقهى الاجتهادى . فالواقع إن هذا الاختلاف لا يمكن أن لا يكون لأن النصوص الأصلية كثيراً ما تحتمل أكثر من معنى واحد كما أن النص لا يمكن أن يستوعب جميع الوقائع المحتملة لأن النصوص محدودة والوقائع غير محدودة كما قال جماعة من العلماء رحمهم الله تعالى فلا بد من اللجوء إلى القياس والنظر إلى علل الأحكام وغرض الشارع والمقاصد العامة للشريعة وتحكيمها فى الوقائع والنوازل المستجدة وفى هذا تختلف فهوم العلماء وترجيحاتهم بين الاحتمالات فتختلف أحكامهم فى الموضوع

الواحد وكل منهم يقصد الحق ويبحث عنه فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر واحد ومن هنا تنشأ السعة ويزول الحرج .

فأين النقيصة فى وجود هذا الاختلاف المذهبى الذى أوضحنا ما فيه من الخير والرحمة وأنه فى الواقع نعمة ورحمة من الله بعباده المؤمنين وهو فى الوقت ذاته ثروة تشريعية عظمى ومزية جديرة بأن تتباهى بها الأمة الإسلامية ولكن المضللين من الأجانب الذين يستغلون ضعف الثقافة الإسلامية لدى بعض الشباب المسلم ولا سيما الذين يدرسون لديهم فى الخارج فيصورون لهم اختلاف المذاهب الفقهية هذا كما لو كان اختلافاً اعتقادياً ليوحوا إليهم ظلماً وزوراً بأنه يدل على تناقض الشريعة دون أن ينتبهوا إلى الفرق بين النوعين وشتان ما بينهما .

ثانيا : وأما تلك الفئة الأخرى التى تدعو إلى نبذ المذاهب وتريد أن تحمل الناس على خط اجتهادى جديد لها وتطعن فى المذاهب الفقهية القائمة وفى أئمتها أو بعضهم : ففى بياننا الآنف عن المذاهب الفقهية ومزايا وجودها وأئمتها ما يوجب عليهم أن يكفوا عن هذا الأسلوب البغيض الذى ينتهجونه ويضللون به الناس ويشقون صفوفهم ويفرقون كلمتهم فى وقت نحن أحوج ما نكون إلى جمع الكلمة فى مواجهة التحديات الخطيرة من أعداء الإسلام بدلاً من هذه الدعوة المفرقة التى لا حاجة إليها .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين أ . هـ .

ولاية الله والطريق إليها

قال تعالى ﴿ **أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ** ﴾(1) وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : قال الله تعالى : « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه

(1) يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه . وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأكره إساءته» متفق عليه . وقد زاد بعض الوضاعين والكذابين من عند أنفسهم عبدى أطعنى تكن عبداً ربانياً تقول للشيء كن فيكون » والذى يقول للشيء كن فيكون هو رب العزة جل وعلا دون أحد سواه ﴿ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾(٢) وطريق الولاية طريق واضح كما ورد فى النصوص الشرعية فكل مؤمن تقى هو ولى من أولياء الله سواء كان حياً أو مقبوراً . وولاية العبد بحسب إيمانه وتقواه . وقد فسر الطبرى الأولياء بأنهم أنصار الله ثم نقل ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله قالوا : يا رسول الله أخبرنا من هم وما أعمالهم ؟ فإنا نحبهم لذلك قال : هم قوم تحابوا فى الله بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها فو الله ان وجوههم لنور وإنهم لعلى نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس وقرأ هذه الآية : ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾ ثم يقول « الطبرى » والصواب من القول فى ذلك أن يقال « الولى » أعنى ولى الله : هو من كان بالصفة التى وصفه الله بها وهو الذى آمن واتقى كما قال الله ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾(٢) ا. هـ..

وهذه الولاية تستلزم العلم النافع والعمل الصالح وهذا يتضمن الإيمان ومتابعة الفرائض بالنوافل ومن أداء الفرائض ترك المعاصى وإذا كان الأمر كذلك فأفضل الأولياء هم الأنبياء وأفضل الأنبياء هم المرسلون وأفضل الرسل هم أولو العزم وأفضل ألو العزم نبينا محمد ﷺ وأفضل هذه الأئمة بعد نبيها هو أبو بكر رضى الله عنه ثم عمر ثم عثمان ثم رضى الله عنهم أجمعين لإجماع الصحابة على ذلك ومن قدم عليا على أبى بكر رضى الله عنهم فى الفضل أو الخلافة فهو ضال مبتدع بل ولا يصح تقديم على على عثمان رضى الله عنهما وقد استقر الأمر على تقديم عثمان فى الفضل والخلافة ث ابن عمر رضى الله عنهما « كنا نفضل بين أصحاب رسول الله ﷺ فنقدم أبا بكر

يس : ٨٢ .   (٢ ٣) يونس : ٦٢ ـ ٦٣ .

ثم عمر ثم عثمان » رواه البخارى وأفضل الصحابة بعد الخلفاء الأربعة الستة الباقون إلى تمام العشرة المبشرة بالجنة ثم البدريون ثم أصحاب أحد ثم أهل بيعة الرضوان بالحديبية .
والصحابة رضوان الله عليهم هم خيار أولياء الله المتقين لقول النبى ﷺ « خير الناس قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » وأفضل التابعين على وجه الجملة هو أويس بن عامر القرنى وأفضلهم علماً هو سعيد بن المسيب كما قال الإمام أحمد وسيدتا التابعين من النساء حفصة بنت سيرين وعمرة بنت عبد الرحمن . ويقول الإمام الشافعى إذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله ولى قال تعالى ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾(1) قال ابن تيمية « وأولياء الله على طبقتين : سابقون مقربون وأبرار أصحاب يمين مقتصدون » والأولياء غير الأنبياء ليسوا بمعصومين فلا عصمة لأحد فى هذه الأمة بعد النبى ﷺ لا لصاحب ولا إمام ولا ولى بل الجميع تجوز عليه الكبائر والصغائر لكن للصحابة مزية على كل من جاء بعدهم للسبق للإسلام وجهادهم فى سبيل الله ولشرف صحبتهم لرسول الله ﷺ ولذلك قال تعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾(2) وقد توهم البعض أن الولاية لا تثبت إلا بحدوث الكشوفات والخوارق من تمادى فريق فى غيه عندما قصر الولاية على المقبورين مثل أبى العباس المرسى وإبراهيم الدسوقى والسيد البدوى ..... وقد بينا الرد على ذلك باختصار شديد .

قاعدة فى المعجزات والكرامات

فى مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية جـ (١١) ص ٣١١ مانصه « وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة فى اللغة وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات لكن كثيرا من المتأخرين يفرق فى اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبى والكرامة للولى وجماعهما الأمر الخارق للعادة . فنقول : صفات الكمال ترجع إلى ثلاثة : العلم والقدرة والغنى وإن شئت أن تقول : العلم والقدرة والقدرة إما

(١) فاطر : ٢٨ .   (٢) التوبة : ١٠٠ .

على الفعل وهوالتأثير وإما على الترك وهو الغنى والأول أجود وهذه الثلاثة لا تصلح على وجه الكمال إلا لله وحده فإنه الذى أحاط بكل شىء علماً وهو على كل شىء قدير وهو غني عن العالمين وقد أمر الرسول ﷺ أن يبرأ من دعوى هذه الثلاثة بقوله : ﴿ قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ ﴾(١) كذلك قال نوح عليه السلام فهذا أول أولى العزم وأول رسول بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض وهذا خاتم الرسل وخاتم أولى العزم كلاهما يتبرأ من ذلك ..... إلى أن قال « وقد جمع لنبينا محمد ﷺ جميع أنواع المعجزات والخوارق : أما العلم والأخبار الغيبية والسماع والرؤية فمثل إخبار نبينا ﷺ عن الأنبياء المتقدمين وأممهم ومخاطباته لهم وأحواله معهم وغير الأنبياء من الأولياء وغيرهم بما يوافق ما عند أهل الكتاب الذين ورثوه بالتواتر أوبغيره من غير تعلم له منهم وكذلك إخباره عن أمور الربوبية والملائكة والجنة والنار بما يوافق الأنبياء قبله من غير تعلم منهم ويعلم أن ذلك موافق لنقول الأنبياء تارة بما فى أيديهم من الكتب الظاهرة ونحو ذلك من النقل المتواتر وتارة بما يعلمه الخاصة من علمائهم وفى مثل هذا قد يستشهد أهل الكتاب وهو من حكمة إبقائهم بالجزية وتفصيل ذلك ليس هذا موضعه فإخباره عن الأمور الغائبة ماضيها وحاضرها هو من « باب العلم الخارق » وكذلك إخباره عن الأمور المستقبلة مثل مملكة أمته وزوال مملكة فارس والروم وقتال الترك وألوف مؤلفة من الأخبار التى أخبر بها مذكور بعضها فى « كتب دلائل النبوة » « وسيرة الرسول » و « فضائله » و « كتب التفسير » و « الحديث » و « المغازى » مثل دلائل النبوة لأبى نعيم والبيهقى وسيرة ابن إسحاق وكتب الأحاديث المسندة كمسند الإمام أحمد والمدونة كصحيح البخارى وغير ذلك فما هو مذكور أيضًا فى كتب أهل الكلام والجدل » كأعلام النبوة للقاضى عبد الجبار وللماوردى والرد على النصارى للقرطبى ومصنفات كثيرة جداً وكذلك ماأخبر عنه غيره مما وجد فى كتب الأنبياء المتقدمين وهى فى وقتنا هذا اثنان وعشرون نبوة بأيدى اليهود والنصارى كالتوارة والإنجيل والزبور وكتاب شعيا وحبقوق ودانيال وأرميا وكذلك أخبار غير الأنبياء من الأحبار والرهبان وكذلك أخبار الجن والهواتف المطلقة وأخبار الكهنة كسطيح وشق وغيرهما وكذلك المنامات وتعبيرها كمنام كسرى وتعبير

(١) الأنعام : ٥٠ .

الموبذان وكذا أخبار الأنبياء المتقدمين بما مضى وما عبر هو من أعلامهم . وأما القدرة والتأثير فإما أن يكون في العالم العلوى أوما دونه وما دونه إما بسيط أو مركب والبسيط إما الجو وإما الأرض والمركب إما حيوان وإما نبات وإما معدن و الحيوان إما ناطق وإما بهيم فالعلوى كانشقاق القمر ورد الشمس ليوشع بن نون وكذلك ردها لما فاتت عليا الصلاة والنبى ﷺ نائم في حجره - إن صح الحديث - فمن الناس من صححه كالطحاوى والقاضى عياض ومنهم من جعله موقوفا كأبى الفرج بن الجوزى وهذا أصح كذلك معراجه إلى السماوات . وأما الجو فاستسقاؤه واستصحاؤه غير مرة كحديث الأعرابى الذى في الصحيحين وغيرهما وكذلك كثرة الرمى بالنجوم عند ظهوره وكذلك إسراؤه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى - وأما الأرض والماء « فكاهتزاز الجبل تحته وتكثير الماء من عين تبوك وعين الحديبية ونبع الماء من بين أصابعه غير مرة ومزادة المرأة وأما « المركبات » فتكثيره الطعام غير مرة في قصة الخندق من حديث جابر وحديث أبى طلحة وفي أسفاره وجراب أبى هريرة ونخل جابر بن عبد الله وحديث جابر وابن الزبير في انقلاع النخل له وعوده إلى مكانه وسقياه لغير واحد من الأرض كعين أبى قتادة وهذا باب واسع لم يكن الغرض هنا ذكر أنواع معجزاته بخصوصه وإنما الغرض التمثيل وكذلك من باب « القدرة » عصا موسى ﷺ وفلق البحر والقمل والضفادع والدم وناقة صالح وإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى كما أن من باب « العلم » إخبارهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم وفي الجملة لم يكن المقصود هنا ذكر المعجزات النبوية بخصوصها وإنما الغرض التمثيل بها . وأما المعجزات التى لغير الأنبياء من « باب الكشف والعلم » فمثل قول عمر في قصة سارية وأخبار أبى بكر بأن ببطن زوجته أنثى وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلاً وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام « والقدرة » مثل قصة الذى عنده علم من الكتاب وقصة أهل الكهف وقصة مريم وقصة خالد بن الوليد وسفينة مولى رسول الله ﷺ وأبى مسلم الخولانى وأشياء يطول شرحها فإن تعداد هذا مثل المطر وإنما الغرض التمثيل بالشىء الذى سمعه أكثر الناس وأما القدرة التى لم تتعلق بفعله فمثل نصر الله لمن ينصره وإهلاكه لمن يشتمه . أ . هـ . ومعجزات الأنبياء كثيرة وقد كانت من جنس ما برع فيه قومهم مثل عصا موسى وقد اشتهر قومه بالسحر وكان عيسى يحيى الموتى بإذن الله ويبرىء الأكمه

والأبرص بإذن الله وكان قومه قد اشتهروا بالطب . ومعجزات النبى ﷺ كثيرة ومن أعظمها القرآن فقد تحداهم رب العزة جل وعلا أن يأتوا بسورة من مثله وهم أرباب الفصاحة والبلاغة فما استطاعوا ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾[1] ، ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾[2] وقد ثبت العجز للجميع عبر العصور وكر الدهور عن مواجهة التحدى وبعجزهم ثبت الإعجاز لكتاب الله . وقد جمع القرآن صوراً كثيرة من صور الإعجاز مثل الإعجاز التشريعى والإعجاز البلاغى والإعجاز العلمى . ثم الخوارق التى تحدث للعباد وتجرى على أيديهم منها كرامات رحمانية ومنها خوارق شيطانية وضابط الكرامة هو الاستقامة وكما قال الشافعى والليث بن سعد إذا رأيت الرجل يطير فى الهواء أو يمشى على الماء لا تصدقه حتى تعرض عمله على السنة فإذا كان ممن يستقيم على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فلايبعد أن تحدث له كرامة رحمانية كما حدثت لكثير من الصحابة وقد ثبت فى الصحيحين عنه ﷺ أنه قال « قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى أحد منهم فعمر منهم » وفى لفظ فى الصحيح « إن فى هذه الأمة محدثين وإن منهم عمر » وحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يرى بنور الله » أخرجه الترمذى وحسنه . ثم عمر رضى الله عنه مع كونه من المحدثين بالنص كان يشاور الصحابة ويشاورنه ويراجعهم ويراجعونه ويحتج عليهم بالكتاب والسنة ويرجعون جميعًا إليهما وكان إذا عرضت عليه المسألة يقول أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسى ومن الشيطان والله منه برىء وكان أبو سليمان الدارانى يقول : « إنها لتقع فى قلبى النكتة من نكت القوم فلا أقبلها إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسنة » وقال أبو عثمان النيسابورى « من أمر على نفسه الشريعة قولاً وفعلاً نطق بالحكمة ومن أمر على نفسه الهوى قولاً وفعلاً نطق بالبدعة لأن الله تعالى يقول ﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ﴾[3] .

---

(١) البقرة : ٢٣ ـ ٢٤ . (٢) الإسراء : ٨٨ .
(٣) النـــور : ٥٤ .

خوارق غير الأولياء

جاء فى كتاب ولاية الله والطريق إليها ص ٢٣٧ مانصه « وإذا عرفت أنه لابد للولى من أن يكون مقتدياً فى أقواله وأفعاله بالكتاب والسنة وأن ذلك هو المعيار الذى يعرف به الحق من الباطل فمن ظهر منه شيء مما يخالف هذا المعيار فهو رد عليه ولا يجوز لأحد أن يعتقد فيه أنه ولى الله فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين كما نشاهده فى الذين لهم تابع من الجن فإنه قد يظهر على يده ما يظن من لم يستحضر هذا المعيار أنه كرامة وهو فى الحقيقة مخاريق شيطانية وتلبيسات إبليسية

ولهذا تراه يظهر من أهل البدع بل من أهل الكفر وممن يترك فرائض الله سبحانه ويتلوث بمعاصيه لأن الشيطان أميل إليهم للاشتراك بينه وبينهم فى مخالفة ما شرعه الله سبحانه لعباده . وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة من أهل الرياضة وترك الاستكثار من الطعام والشراب على ترتيب معلوم وقانون معروف حتى ينتهى حاله إلى أن لا يأكل إلا فى أيام ذوات العدد ويتناول بعد مضى أيام شيئاً يسيراً فيكون له بسبب ذلك بعض صفاء من الكدورات البشرية فيدرك ما لا يدركه غيره وليس هذا من الكرامات فى شيء . ولو كان من الكرامات الربانية والتفضلات الرحمانية لم يظهر على أيدى أعداء الله كما يقع كثيراً من المرتاضين من كفرة الهند الذين يسمونهم الآن الجوكية وقد يظهر شيء مما يظن أنه كرامة على لسان بعض المجانين وسبب ذلك كما ذكره الحكماء أنه قد ذهب عنه ما يصنعه الفكر من التفصيل والتدبير اللذين يستمران للعقلاء فيكون لعقله إدراك لا يكون للعقلاء فيأتى فى بعض الأحيان بمكاشفات صحيحة وهو مع ذلك متلوث بالنجاسة مرتبك فى القاذورات قاعد فى المزابل ومايشابهها فيظن من لا حقيقة عنده أنه من أولياء الله وذلك ظن باطل وتخيل مختل وهو فى الحقيقة مجنون قد رفع الله عنه قلم التكليف ولم يكن ولياً لله ولا عدواً ا. هـ .

الغلو فى الصالحين

فالغلو فى المنسوبين إلى الصلاح والتقى من أعظم أسباب كفر بنى آدم وتركهم

دينهم بل هو أصل عظيم من أصول الشرك قديماً وحديثاً وبدلا من أن يتوجه الناس بالعبادة لخالق السموات والأرض وجدنا منهم من يذبح للسيد البدوى وينذر لأبى العباس المرسى ويستغيث بإبراهيم الدسوقى ويلتمس المدد والبركة من الحسين رضى الله عنه إلى غير ذلك من صور العبادة التى صرفت لغير الله وقد أخرجوا هذا الشرك وأظهروه فى قالب المحبة والتعظيم للأولياء هكذا صور لهم الشيطان وهكذا زعموا ثم احتجوا باطلاً على شركهم بقول الله تعالى : ﴿ **أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** ﴾(١) . وفى الصحيح عن ابن عباس فى قول الله تعالى ﴿ **وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعاً وَلاَيَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا** ﴾ (٢) قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التى كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبدت . قال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم ثم طال عليهم الأمر فعبدوهم . وقد حذر سبحانه من الغلو فقال : ﴿ **قُلْ يَأَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ** ﴾ (٣) والغلو كثير فى النصارى فإنهم غلوا فى عيسى عليه السلام فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله وناقضتهم اليهود فى أمر عيسى عليه السلام فغلوا فيه فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغى . قال شيخ الإسلام : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا فى الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم فى ذلك فقد شابههم كالخوارج المارقين من الإسلام ا . هـ . وقد احتاط النبى ﷺ لعدم خدش جناب التوحيد فعن عمر أن رسول الله ﷺ قال : « لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا : عبد الله ورسوله» رواه الشيخان فأين هذا من غلو البوصيرى حين قال :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ∴ ومن علومك علم اللوح والقلم .

فجعل الدنيا والآخرة من جوده وجزم بأنه يعلم ما فى اللوح المحفوظ وكل ذلك كفر صريح ومن عجيب الأمر أن الشيطان أظهر لهم ذلك فى صورة محبته ﷺ وتعظيمه

---

(١) يونس : ٦٢ . (٢) نوح : ٢٣ . (٣) المائدة : ٧٧ .

ومتابعته - بل هو يقول أيضاً فى نفس القصيدة .

مالى من ألوذ به سواك .·. عند حلول الحادث العمم

ولذلك رد عليه القائل بقوله :

لذ بالإله ولا تلذ بسواه .·. من لاذ بالملك الجليل كفـاه .

فأنت ترى وكأنه لا يعرف له ربا يلوذ به عند نزول الشدائد وهذا نوع من الغلو حذر منه رسول الله ﷺ . بل كان يجلس حيث ينتهى به المجلس يكره من أصحابه القيام له ويقول : « لا تعظمونى كما تعظم الأعاجم ملوكهم » وكان يأكل أكلة العبد ويجلس جلسة العبد ولما دخل عليه البعض يوماً وارتعدت فرائصه قال : « هون عليك إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة » ولما قال له البعض يوماً : ياسيدنا قال : » إنما السيد هو الله وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته : « القط لى حصى » فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف فجعل ينفضهن فى كفه ويقول : « أمثال هؤلاء فارموا وإياكم والغلو فى الدين فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو فى الدين » رواه أحمد والترمذى وهذا لفظ ابن ماجه . ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله ﷺ قال « هلك المتنطعون » قالها ثلاثاً . فالغلو مذموم فى الاعتقادات والأعمال وكذلك التنطع . والمتنطعون هم الغالون فى عبادتهم بحيث تخرج عن قوانين الشريعة والمسترسلون مع الشيطان فى الوسوسة وهم أيضاً المتقعرون فى الكلام والمتكلفون من أهل الكلام . وبالجملة فالغلو أصل الشرك فى الأولين والآخرين إلى يوم القيامة . وتعظيم الأنبياء والصالحين ومحبتهم إنما هى باتباع ما دعوا إليه من العلم النافع والعمل الصالح واقتفاء آثارهم وسلوك طريقتهم فى إخلاص العبودية لله وحده دون عبادتهم وعبادة قبورهم . والغلو هو هو فقد حدث قديماً وعابه رب العزة على أهل الجاهلية الذين برروا شركهم بقولهم : ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾(١) وبقولهم : ﴿ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ ﴾(٢) فرد عليهم سبحانه بقوله ﴿ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ﴾(٣) فلا

(١) الزمر : ٣ .. (٢) يونس : ١٨ . (٣) الزمر : ٤٤ .

يصح أن يخلق هو ويعبد غيره وأن يرزق هو ويشكر سواه ﴿ أيشكرون ما لا يخلق شيئا وهم يُخلقون ﴾ والشرك هو صرف العبادة لغير الله سواء أكانت مالية أو بدنية أو قلبية ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾ ﴿ إنَّ اللَّه لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ مادُونَ ذَلكَ لمن يَشَاءُ ﴾(١) ﴿ ومَن يُشْرِكْ باللَّه فكَأَنَّما خرَّ منَ السَّماء فتخْطَفُه الطَّيرُ أوْ تَهوِي بهِ الريحُ في مَكانٍ سَحيقٍ ﴾(٢) وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال لمعاذ بن جبل وكان رديفه على الدابة : « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئًا » فاحذر الشرك على نفسك دقه وجله فلقد بالغ النبى ﷺ وحذر وأنذر وأبدأ وأعاد وخص وعم فى حماية الحنيفية السمحة التى بعثه الله بها فهى حنيفية فى التوحيد سمحة فى العمل كما قال بعض العلماء : هى أشد الشرائع فى التوحيد والإبعاد عن الشرك وأسمح الشرائع فى العمل .

(١) النساء : ٤٨ . (٢) الحج : ٣١ .

ثانياً : العلوم الكونية

وتعرف أيضا بالعلوم الطبيعية وهى أنواع كثيرة منها : علم الكيمياء وعلم النبات وعلم الأحياء والطب والصناعة وهذه العلوم علوم نافعة غير ضارة ولذلك فهى تؤخذ من كل من أفلح فيها كائنًا من كان بعكس ما يتعلق بالهداية الإلهية فهذه مردها لكتاب الله ولسنة رسوله ﷺ قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾(١) أى للتى هى أسد وأعدل وذلك فى كل ناحية من نواحي الحياة . وهذه الأمة مأمورة بالأخذ بأسباب القوة وذلك لقوله تعالى : ﴿ وأعِدُّوا لَهُم مَّا استَطَعتُم مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ تُرهِبُونَ بِه عَدُوَّ اللَّه وَعَدُوَّكُم ﴾(٢) والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . والقوة مطلوبة بكل معانيها سواء أكانت قوة إيمانية أو قوة مادية ولا تعارض بين تحصيل هذه وتلك بل تقدم هذه الأمة مرتهن باستمساكها بدينها ولن تتمكن من حل المشكلات بالاستغناء عن الدين ، والعلاقة وثيقة بين حالة العباد وحالة الكون من حولهم قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُله فَحَاسَبْنَهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعذَّبْنَهَا عذَابًا نُكْرًا . فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِىَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّهمْ أَقَامُوا التَّوراةَ والإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِم لأَكَلُوا مِن فَوقِهِم وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ﴾(٥) فطاعة الله والاستقامة على شرعه سبحانه والعمل بتعاليمه سببًا كبيراً لسعادة المرء وهى كفيلة له بالنجاح فى الدنيا والآخرة وعلى العكس فشؤم الأعمال السيئة يحول دون النظام الطبيعى للفصول بما نراه من كثرة الجدب والمجاعات . وما عليه الغرب لا يصلح مقياساً لنا فالكافر يطعم بحسناته فى الدنيا أما المؤمن فيطعم بها فى الدنيا والآخرة ولما قال عمر لرسول الله ﷺ : أرأيت فارس والروم رد عليه النبى ﷺ بقوله : « أولئك قوم عجلوا طيباتهم فى الحياة الدنيا قال عمر فقلت : يا رسول الله استغفر لىّ » رواه البخارى . وإذا رأيت الرجل يعطى الدنيا » على معاصيه فهو استدراج من الله : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَاذُكِرُوا بِهِ فَتَحنَا عَلَيهِمْ أَبْوابَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّى إِذَا

(١) الإسراء (٩) . (٢) الأنفال (٦٠) . (٣) الطلاق (٨-٩) .
(٤) هود (١٠٢) . (٥) المائدة (٦٦) .

فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾(1) ولما سئل ابن عباس عن قوله تعالى : ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها ﴾ فقال إن الله تعالى يستوفى جزاء أعمالهم بصحة أبدانهم وإدخال السرور إلى أنفسهم بزيادة الأولاد والأموال . ثم العقوبة فى الأصل أخروية للكافر وقد يعجل شىء منها فى الدنيا بكثرة ظلمهم أو إسرافهم فى الفسق والفجور أو اعتدائهم على الأنبياء أما الحسنات فهى تعجل له فى الدنيا فإذا قدموا على ربهم فلانصيب لهم إلا النار . فلا يصح الانبهار بتقدم زائف أو بحضارة لم تقم على منهج العبودية فى الأرض . ولو رجعت هذه الأمة لدينها لعلمت أن الأخذ بأسباب القوة أمر واجب فهذه العلوم الكونية كالطب والزراعة والصناعة هى من جملة فروض الكفاية وفرض الكفاية فرض عين حتى يقم وإذا لم يقم أثم القادرون عليه ومالايتم الواجب إلا به فهو واجب وهذه قاعدة شرعية مجمع عليها بين المسلمين وبقاء الأمة قوية عزيزة مهابة بين الأمم والشعوب الكافرة المعادية واجب . وكيف يتم لها ذلك وهى جاهلة بهذه العلوم التى أصبحت قوام الحياة للأمم والشعوب من هنا أصبح وجود هذه العلوم فى الأمة الإسلامية واجباً حتميا لا يسعها تركه وإلا فهى آثمة مؤاخذة فى دنياها وأخراها وقد تمت مؤاخذتها فى الدنيا بإذلالها وضعفها وتسلط الأعداء عليها والواقع المر يشهد بذلك . وهذه العلوم المذكورة وإن كانت علوماً عالمية إلا أنه ينبغى الانتباه إلى اللسان الذى صيغت به هذه العلوم وهذا اللسان محلى وقد يكون شيوعياً ملحداً مخرباً من شأنه أن يخرج ملاحدة لاعلماء مسلمين ويكفى مثالاً على ذلك كلمة الطبيعة التى وضعت بدل كلمة الله وأصبح أبناء المسلمين يدرسون الخصائص الطبيعية ودورة البخر الطبيعية ومعلوم أن الطبيعة هى الإله عند الملاحدة فهى التى خلقت وأوجدت ﴿ أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾(2) ﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله عما يشركون ﴾(3) وهذه الأمة لها عقيدتها ودينها وكل تربية وتعليم لا تخدم هذه العقيدة فهى فى الحقيقة هدم وتخريب . والمسائل العلمية إذا صحت فلن تتصادم مع ماجاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ .

---

(1) الأنعام (٤٤) . (2) الطور (٣٥) . (3) الأنبياء (٢٢) .

العلوم الرياضية

وهى العلوم التى يزاولها الإنسان بعقله والرياضة إما أن تكون بدنية أو أخلاقية وسنتحدث عنها بعد قليل بإذن الله وإما أن تكون رياضة عقلية فكرية وهى التى نتحدث عنها بعد قليل الآن وهذه العلوم تشمل الحساب ، والهندسة ، والجبر ، والمقابلة ، والفلك ، والهيئة ، والأرصاد ، والجغرافيا ، والتاريخ ، والمنطق ، والفلسفة ، والسحر ، والطلاسم ، والرمل ، والتنجيم ، والجفر . وهذه العلوم والتى سبقتها من جملة العلوم المشهورة وكل علم له مشاهيره ولا يخفى عليك أن الشهرة وحدها لا تدل على الجواز أو القبول فقد يشتهر ما هو محرم أو ساقط وقد اتفق العلماء على تحريم علوم منها السحر والطلاسم والرمل والتنجيم والجفر . ولم يختلفوا فى جواز ومشروعية الحساب والهندسة والجبر والهيئة والفلك والأرصاد والجغرافيا والتاريخ .

مسائل تتعلق بالعلوم الرياضية

الأولى :

لا يجوز تعلم الفلسفة لأنها لا فائدة فيها وخصوصاً بالنسبة للطلبة والصغار ومن لاحظ عنده من النظر الشرعى ولا أهلية لديه على الموازنة بين الغث والسمين والإيمان والكفر وقد رأينا مدى الشر والفساد والحيرة والاضطراب عند طلاب المرحلة الثانوية (القسم الأدبى) الذين يدرسون هذه الفلسفات الكفرية الإلحادية وقد ينبهرون بها وبأصحابها ممن روج لأسمائهم كفرويد وغيره من اليهود فحرام أن يتربى أبناء المسلمين على مثل هذا الضياع الذى يطلق عليه البعض وصف العلم والواجب على كل مكلف أن يحصن نفسه بالعلم النافع والعمل الصالح وأن ننبه إخواننا وأبناءنا للسم الموجود فى مناهجهم التعليمية والفلاسفة المسلمين لاقيمة لهم فيما خالفوا فيه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فنحن نقبل كلام ابن سينا فى الطب أما كلامه فى الفلسفة فمرفوض ولابد من التفريق بين ابن سينا الطبيب وبين ابن سينا الفيلسوف .

الثانية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاب في نقض المنطق وله كلام كثير في الرد على الفلاسفة موجود في مجموع الفتاوى ولا يجوز تعلم المنطق إلا إذا كان الإنسان محصناً بعلم الكتاب والسنة علماً وعملاً واعتقاداً وإلا فيخشى عليه الزيغ والفتنة وقد غضب النبي ﷺ لما رأى في يد عمر بن الخطاب صحيفة من التوراة وقال له أهذا وأنا حياً بين أظهركم لقد جئتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حياً لما حُل له إلا أن يتبعني .

الثالثة :

الجفر وهو علم مبني على أسرار الحروف والرموز والإشارات يزعم أصحابه أن فيه الحوادث المستقبلة إلى يوم القيامة . وهذا الجفر هو من زبالة أفكار الزنادقة قبحهم الله وقطع دابرهم فقد وضعوه للفتنة والإضلال .

الرابعة:

لا يجوز تعلم أو تعليم السحر ولا فك السحر بالسحر فهو من السبع الموبقات كما في الحديث الذي رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه . وقال عمر ابن الخطاب الجبت : السحر والطاغوت : الشيطان وذلك في قوله تعالى﴿ **يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ** ﴾[1] وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان في كل حي واحد ولا شك أن الساحر طاغوت من الطواغيت فهو أشر وأخبث من الكاهن وفي صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر ، وعن جندب « حد الساحر ضربة بالسيف » والمعوذتان من أعظم الرقى في فك السحر عن المسحور .

الخامسة :

وهي تتعلق بالتنجيم في كتاب تيسير العزيز الحميد مانصه « قال شيخ الإسلام :

---

(١) النساء (٥١) .

« التنجيم هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية » وقال الخطابى : علم النجوم المنهى عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التى لم تقع وستقع فى مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيىء المطر وظهور الحر والبرد وتغير الأسعار وماكان فى معناها من الأمور التى يزعمون أنهم يدركون معرفتها بمسير الكواكب فى مجاريها واجتماعها وافتراقها ويدعون أن لها تأثيراً فى السفليات وأنها تجرى على قضايا موجباتها وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاط لعلم قد استأثر الله به لا يعلم الغيب سواه . قلت : واعلم أن التنجيم على ثلاثة أقسام

أحدها :

ماهو كفر بإجماع المسلمين وهو القول بأن الموجودات فى العالم السفلى مركبة على تأثير الكواكب والروحانيات وأن الكواكب فاعلة مختارة وهذا كفر بإجماع المسلمين وهذا قول الصابئة المنجمين الذين بعث إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام ولهذا كانوا يعظمون الشمس والقمر والكواكب تعظيماً يسجدون لها ويتذللون لها ويسبحونها

تسابيح معروفة فى كتبهم ويدعونها دعوات لا تنبغى إلا لخالقها وفاطرها وحده لا شريك له ويبنون لكل كوكب هيكلاً .

الثانى :

الاستدلال على الحوادث الأرضية بمسير الكواكب واجتماعها وافتراقها ونحو ذلك ويقول : إن ذلك بتقدير الله ومشيئته فلا ريب فى تحريم ذلك واختلف المتأخرون فى تكفير القائل بذلك ينبغى أن يقطع بكفره لأنها دعوى لعلم الغيب الذى استأثر الله تعالى بعلمه بما لا يدل عليه .

الثالث :

الاستدلال بذلك على القبلة وأوقات الصلوات والفصول وقد كره قتادة تعلم منازل

القمر ولم يرخص ابن عُيينة فيه ذكره حرب عنهما ورخص تعلم المنازل أحمد وإسحق. قال البخارى فى صحيحه : قال قتاده : خلق الله هذه النجوم الثلاث زينة للسماء ورجوماً للشياطين وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا علم له به . ا . هـ بتصرف واختصار . وفى الصحيحين « أصبح من عبادى مؤمن وكافر فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذاك مؤمن بى كافر بالكواكب . وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكواكب . وقد ذكر النبى ﷺ ذلك على إثر ليلة مطيرة . وفى الحديث الذى رواه أبو داود « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد مازاد ﴿ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾(١) وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء فى النجوم والنياحة . وقال النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » رواه مسلم .

السادسة :

وهى مسألة هامة تتعلق بالرمل وما شابه ذلك . والرمل نوع من الكهانة والتنجيم وهو عبارة عن الخطوط التى تخط على الرمل والأرض ومحوها بكيفيات خاصة للتعرف على المجهولات من أحوال الإنسان والكون والكهانة ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع فى الأرض مع الاستناد إلى سبب والأصل فيه استراق الجن السمع من كلام الملائكة فتلقيه فى أذن الكاهن والكاهن لفظ يطلق على العراف والذى يضرب الحصى والمنجم . والنبى ﷺ قال عن هؤلاء الخبثاء ليسوا بشىء حتى وإن صدق مرة فهو يكذب معها مائة مرة ولكن الناس يتناسون هذه المائة كذبة ولا يتذكرون إلا أنه صدق يوم كذا وكذا . وقد روى مسلم عن بعض أزواج النبى ﷺ عن النبى ﷺ قال : « من أتى عرافاً فسأله عن شىء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » فإذا كانت هذه حال السائل فكيف بالمسؤول ؟ قال النووى وغيره : معناه : أنه لا ثواب له فيها وإن كانت مجزئة فى سقوط

---

(١) طـــه (٦٩).

الفرض عنه ولا يحتاج معها إلى إعادة ا .هـ فهو يجب عليه أن يصلى ولكن هذاجزاؤه لإتيانه مانهى عنه وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال : « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل محمد ﷺ » رواه أبو داود . وفى حديث آخر عند أحمد وغيره « من أتى عرافًا أوكاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ » وفى الحديث أيضا ليس منا من تكهن أو تكهن له . قال البغوى : العراف الذى يدعى معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحـو ذلك وقيل هو الكاهن والكاهن هو الذى يخبر عن المغيبات فى المستقبل وقيل : الذى يخبر عما فى الضمير وقال ابن تيمية : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمال ونحوهم ممن يتكلم فى معرفة الأمور بهذه الطرق وفى تفسير قولـه تعالـى ﴿ **وعنده مفا تح الغيب لا يعلمها إلا هـو ويعلم ما فى البر والبحر** ﴾ ... الآية قال القرطبى « قال علماؤنا : أضاف سبحانه علم الغيب إلى نفسه فى غيرما آية من كتابه إلا من اصطفـى من عباده فمن قال : إنه ينزّل الغيـث غداً وجزم فهو كافـر أخبر عنه بأمـارة ادعاهـا أم لا وكذلك من قال : إنه يعلـم مافى الرحـم فهو كافر فإن لم يجزم وقال إن النوء ينزل الله به الماء عادة وأنه سبب الماء عادة وأنه سبب الماء على ماقدره وسبق فى علمه لم يكفر إلا أنه يستحب له ألا يتكلم به فإن فيه تشبيها بكلمة أهل الكفر وجهلاً بلطيف حكمته لأنه ينزل متى شاء مرة بنوء كذا ومرة دون نوء (وهو سقوط نجم من المنازل فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر من المشرق يقابله من ساعته وكانت العرب تضيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط منهـا) قـال اللـه تعالـى (أصبح من عبـادى مؤمن بى وكافر (بالكواكـب) على ما يأتى بيانه فـى الواقعة إن شاء الله . قال ابن العربى : وكذلك قول الطبيب إذا كان الثدى الأيمن مسودّ الحلمة فهو ذكر وإن كان فى الثدى الأيسر فهو أنثى وإن كانت المرأة تجد الجنب الأيمن أثقل فالولد أنثى وادعى ذلك عادة لا واجباً فى الخلقة لم يكفر ولم يفسق وأما من ادعى الكسب فى مستقبل العمر فهو كافر أو أخبر عن الكوائن المجملة أو المفصلة فى أن تكون قبل أن تكون فلا ريبة فى كفره أيضاً فأما من أخبره عن كسـوف الشمس والقمر فقد قال علماؤنا : يؤدب ولا يسجن أما عدم كفره فلأن جماعة قالوا : إنه أمر يدرك بالحساب

وتقدير المنازل حسب ما أخبر الله عنه في قوله ﴿ وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ ﴾(١) وأما أدبهم فلأنهم يدخلون الشك على العامة إذ لا يدرون الفرق بين هذا وغيره فيشوشون عقائدهم ويتركون قواعدهم في اليقين فأدبوا حتى يستروا ذلك إذا عرفوه ولا يعلنوا به . قلت (أي القرطبي) : ومن هذا الباب ما جاء في صحيح مسلم عن بعض أزواج النبي ﷺ أن النبي ﷺ قال « من أتى عرافاً (فسأله عن شيء) لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » والعراف هو الحازي والمنجم الذي يدعي علم الغيب وهي العرافة وصاحبها عراف وهو الذي يستدل على الأمور بأسباب و مقدمات يدعي معرفتها وقد يعتقد بعض أهل هذا الفن في ذلك بالزجر والطرق والنجوم وأسباب معتادة في ذلك . وهذا الفن هو العيافة وكلها ينطلق عليها اسم الكهانة قاله القاضي عياض : والكهانة ادعاء علم الغيب . قال أبو عمر ابن عبد البر في الكافي : من المكاسب المجتمع على تحريمها الربا ومهور البغايا والسحت والرشا وأخذ الأجرة على النياحة والغناء وعلى الكهانة وادعاء الغيب وأخبار السماء وعلى الزمر واللعب والباطل كله . قال علماؤنا : وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان بإتيان المنجمين والكهان لا سيما بالديار المصرية فقد شاع في رؤسائهم وأتباعهم وأمرائهم اتخاذ المنجمين بل ولقد انخدع كثير من المنتسبين للفقه والدين فجاءوا إلى هؤلاء الكهنة والعرافين فبهرجوا عليهم بالمحال واستخرجوا منهم الأموال فحصلوا من أقوالهم على السراب والآل ومن أديانهم على الفساد و الضلال وكل ذلك من الكبائر لقوله عليه السلام : « لم تقبل له صلاة أربعين ليلة » فكيف بمن اتخذهم وأنفق عليهم معتمداً على أقوالهم . روى مسلم عن عائشة قالت : سأل رسول الله ﷺ أناساً عن الكهان فقال : « ليس بشيء » فقالوا يا رسول الله إنهم يحدثون أحياناً الشيء فيكون حقاً فقال رسول الله ﷺ : « تلك الكلمة من الحق يخطفها الجني فيقرها في أذن وليه (قر الدجاجة) فيخلطون معها مائة كذبة » إلى أن ذكر رواية البخاري وفيها « إن الملائكة تنزل في العنان وهو السحاب فتذكر الأمر قضي في السماء فتسرق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم . ا . هـ . » وبالتالي فيحرم مطالعة البخت أو أنت والنجوم وحظك اليوم وغير ذلك من الأشياء التي يدعي بها أصحابها معرفة الغيب ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾(٢)

(١) يس (٣٩) .
(٢) الجن (٢٦-٢٧) .

﴿ قُل لاَ يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ والأَرْضِ الغَيْبَ إلاَّ اللّهُ ﴾[1] ﴿ إنَّ اللّهَ عندَهُ علْمُ السَّاعَةِ ويُنَزِلُ الغَيْثَ ويَعْلَمُ ما فِي الأَرْحَامِ ومَاتَدْرِى نَفسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا ومَا تَدْرِى نَفسٌ بأيّ أرْضٍ تَمُوتُ ﴾[2] كما يحرم أيضاً قراءة الكف ومطالعة الفنجان وفتح المندل وعلينا أن نعلم أن الكهان وأشباههم محل قابل لتنزل الشياطين يقول تعالى ﴿ هَلْ أُنَبِئُكُمْ عَلَى مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ تَنَزَّلُ عَلَ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴾[3] من عجيب الأمر ان الجرائد والمجلات مع مطلع كل عام ميلادى !! يأتون بالأخبار والحوادث التى ستحدث فى العام المقبل !! هكذا زعموا ورغم وضوح الزيف وتكرار الخطأ والجرأة على عالم الغيب والشهادة قبل ذلك إلا أنهم لا يرتدعون ولا عن غيهم يقلعون بل ويفعلون ذلك فى بلدان المسلمين . وإن تعجب فاعجب أيضاً للنساء اللاتى يذهبن إلى الكنائس ويجالسن القساوسة لمعرفة الأشياء الضائعة والمفقودة فنسأل الله تعالى أن يأخذ بأيدينا وأن يردنا وأمتنا رداً جميلاً لا تباع كتابة وسنة نبيه ﷺ .

السابعة :

وهى قواعد هامة فى أسلوب وعرض النواحى التاريخية .

(١) جعل العقيدة الإسلامية المحور الأساسي فى عرض التاريخ مع المحافظة على الوقائع التاريخية وعرضها كما جاءت في مصادرها الصحيحة . وهذا هو أسلوب القرآن وطريقته فى عرضه لتاريخ الأنبياء يركز على الوحدانية وإخلاص العبودية لله ونبذ الشرك والمشركين وبيان تناقضهم ويجعل القصص ونتائجه مرتبط بذلك .

(٢) التركيز فى العرض على الأهداف والغايات . فلا تشغلنا الدقائق التفصيلية فى حوادث التاريخ عن العبرة من الحدث والرؤية الشاملة وإنفاق الوقت والجهد فى البحث عن أمور لا طائل تحتها ولا تعود على البحث بفائدة وليست من هدف المسلم ولا غايته فى الحياة . وذلك إلا أن يكون البحث فى التفصيلات له مقصد شرعى .

---

(١) النمل (٦٥) .　　(٢) لقمان (٣٤) .

(٣) الشعراء (٢٢١-٢٢٢-٢٢٣) .

(٣) أن يكون العرض موحياً بتحبيب الخير وتبغيض الشر.

(٤) إبراز دور الأنبياء وأثرهم فى تاريخ البشرية.

(٥) تحرى استعمال المصطلحات الإسلامية

(٦) الابتعاد عن أسلوب التعميم قبل حصول الاستقراء وذلك لأن المؤرخ يجب أن يكون واضح المعنى وعباراته محددة الدلالة.

الشهرة بالشر والإفساد

فكما تحدث الشهرة بالعلم والصلاح فكذلك تتم بالشر والإفساد وهذا الركب يتزعمه إبليس ويسير خلفه كل طاغية وطاغوت وهو يدعوحزبه ليكونوا من أصحاب السعير وقد قطع عهداً على نفسه أن يتخذ من العباد نصيباً مفروضًا وقد بين النبى ﷺ أن بعث النار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلى النار وواحد إلى الجنة وذلك لأن يأجوج ومأجوج ومن مات من بنى آدم وبنى إبليس على الكفر عددهم كبير ثم يقوم إبليس في أهل النار خطيبًا يقول لهم: ﴿ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١) وقد ابتدأ الصراع عندما خلق الله آدم وجعل إبليس يطيف به ويقول لئن سلطت عليّ لأعصينك ولئن سلطتُ عليك لأهلكنك ثم أمر بالسجود لآدم فامتنع اعتراضاً على أمر الله وسأل الله النظرة والمهلة إلى يوم القيامة ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾(٢) واقتضت حكمة الله إمهاله ثم وسوس لآدم وحواء ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ . فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنَّةِ ﴾(٣) ثم نزل الجميع إلى الأرض ﴿ قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾(٤) وكانت أول معصية تقع على الأرض بسبب الحسد

---

(١) إبراهيم (٢٢). (٢) الحجر (٣٦).
(٣) الأعراف (٢١). (٤) الأعراف (٢٤).

فقد قتل قابيل أخاه هابيل . وإبليس فى حربه لبنى آدم يستخدم كل الحيل ومع هذا فكيده ضعيف ﴿ **إن كيد الشيطان كان ضعيفًا** ﴾ وهو يحاول أن يستدرج العباد فى عقبة من العقبات السبع إما الكفر أو البدعة أو الكبيرة أو الصغيرة أو تقديم الأمور المفضولة على الأمور الفاضلة أو الإسراف فى المباحات فإن يفلح استجلب الأذى على عباد الله لإعاقتهم عن طاعة ربهم وهو يتخذ لنفسه أعواناً من الإنس والجن محاولاً إبعاد العباد عن صراط الله المستقيم بإيقاعهم إما فى أمراض الشهوات وإما فى أمراض الشبهات وسالكاً بهم مسالك الإفراط والتفريط ومن تأمل حالة البشرية وجد صراعاً ودفعاً بين أهل الحق وأهل الباطل حدث ذلك بين إبراهيم عليه السلام والنمروذ وبين موسى عليه السلام وفرعون وبين رسول الله ﷺ وكفار قريش كأبى جهل وأبى لهب . والشيطان لا ينام في حربه للإسلام وأهله وكذلك أعوانه من اليهود والنصارى والملاحدة ﴿ **والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون** ﴾ .

عالم الجن والشياطين

قال ابن عبد البر الجن عند أهل الكلام والعلم باللسان على مراتب :

١ ــ فإذا ذكروا الجن خالصاً قالوا جنى .
٢ ــ فإذا أرادوا أنه مما يسكن مع الناس قالوا : عامر والجمع عمار .
٣ ــ فإن كان مما يعرض للصبيان قالوا : أرواح .
٤ ــ فإن خبث وتعرض قالوا : شيطان .
٥ ــ فإن زاد أمره على ذلك وقوى قالوا عفريت .

والجن منه المسلم ومنه الكافر وقد خلقوا من النار وعندهم مقدرة على التلون والتشكل والتصنيع ولديهم سرعات كبيرة ، والجن والإنس يموتون ، ولم تسخر الجن لأحد إلا لسليمان وهم مكلفون بأصل الشريعة .

علماء السوء

خطرهم كبير وضررهم عظيم فهم بمثابة قطاع الطريق إلى الله تعالى ، حرموا الحلال وأحلوا الحرام وكتموا الحق مع حاجة الناس إياه ودعوا الناس بأقوالهم وصدوهم كان الإمام أحمد رحمه الله يقول : « إذا تكلم العالم تقية والجاهل يجهل متى يتبين الحق » ولذلك لما قال له تلميذه أبو سعيد في محنته : ياإمام قلها فإن لك عيالا (يقصد بذلك أن يوافق الحاكم فيما يقول) فقال له الإمام انظر . فنظر فإذا خلق كثير كلهم معه ورقة وقلم ينتظر أن يكتب ما يقوله الإمام : ، ورجع تلميذه يصف له المشهد فقال له : « والله ما يكون لي أن أنجو بنفسي وأضل هؤلاء » . وكان ابن المبارك رحمه الله ينشد ويقول :

رأيت الذنوب تميت القلوب	*	وقد يورث الذل إدمانها
وترك الذنوب حياة القلوب	*	وخير لنفسك عصيانها
وهل أفسد الدين إلا الملوك	*	وأحبار سوء ورهبانها

فشبه علماء السوء من هذه الأمة بالأحبار والرهبان الذين باعوا دينهم بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين . وكانوا يقولون : من فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى ومن فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود . وفي تفسير قوله تعالى : **﴿ ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباداً لي من دون الله ﴾**(1) .

قال الإمام ابن كثير ..... وفي حديث عدى قال : يارسول الله ماعبدوهم قال : « إنهم أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم » ثم » فالجهلة من الأحبار والرهبان ومشايخ الضلال يدخلون في هذا الذم والتوبيخ بخلاف الرسل وأتباعهم من العلماء العاملين فإنهم إنما يأمرون بما يأمر الله به وبلغتهم إياه رسله الكرام وإنما ينهونهم عما نهاهم الله عنه وبلغتهم إياه رسله الكرام ا . هـ . وقال أبو حازم : إن بني إسرائيل لما كانوا على الصواب كانت الأمراء تحتاج إلى العلماء وكانت

(1) آل عمران (79) .

العلماء تفر بدينها من الأمراء فلما رأى ذلك قوم من أذلة الناس تعلموا ذلك العلم وأتوا به إلى الإمراء فاستغنت به عن العلماء واجتمع القوم على المعصية فسقطوا وانتكسوا ولوكان علماؤنا يصونون علمهم لم تزل الأمراء تهابهم . ولما طلب منه سليمان بن عبد الملك النصيحة قال أبو حازم : إن أناساً أخذوا هذا الأمر عنوة من غير مشاورة من المسلمين ولا اجتماع من رأيهم فسفكوا فيه الدماء على طلب الدنيا ثم ارتحلوا عنها فليت شعرى ماقالوا وماقيل لهم ؟ فقال بعض جلسائه : بئس ماقلت ياشيخ . قال أبو حازم . كذبت إن الله تعالى أخذ على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه . قال سليمان : اصحبنا يا أبا حازم تصب منا ونصب منك قال : أعوذ بالله من ذلك . قال ولم ؟ قال أخاف أن أركن إليكم شيئًا قليلاً فيذيقنى ضعف الحياة وضعف الممات . قال : فأشر عليّ . قال : اتق الله أن يراك حيث نهاك وأن يفتقدك حيث أمرك ا . هـ . كلمات من نور أحرى أن تنقش على القلوب وتكون نبراساً لهؤلاء الذين أعماهم الجاه والمناصب وزخرف الدنيا والشهرة فيها فألقوا دينهم خلف أظهرهم وجعلوه مطيةلبلوغ المآرب . وقديماً قالوا : إن هذا العلم شريف من أراد به الدنيا وجدها ومن أراد به الآخرة وجدها . ولما أدخل الإمام أبو حنيفة السجن وضرب بالسياط بين أيدى أبى جعفر المنصور أتته أمه تزوره وفى يوم قالت له : « يانعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه فأجابها : ياأمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها ولكنى أردت أن يعلم الله أنى صنت العلم ولم أعرض نفسى فيه للهلكة . فهؤلاء الأفاضل زهدوا فى الدنيا فجاءتهم الدنيا وأعرضوا عنها فأقبلت عليهم وهابوا الله فهابهم الناس . فما أبعد علماء السوء عن مسلك سلف الأمة الكرام الذين لم تأخذهم فى الله لومة لائم فقاموا لله بحقه وعلموا الحق ورحموا الخلق وبهم قام الإسلام وبه قاموا . قال أبو الأسود الدؤلى رحمه الله :

يأيها الرجل المعلم غيره ... هلاَّ لنفسك كان ذا التعليمُ
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى ... كيما يصح به وأنت سقيمُ
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا ... نصحاً وأنت من الرشاد عديمُ
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيمُ
فهناك يقبلُ ما تقول ويقتدى ... بالعلم منك وينفع التعليمُ

لا تنه عن خلق وتأتي مثلــــــــــــه عارٌ عليك إذا فعلت عظيـــــــم

فاعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من أتاه واعلموا أن هذا الأمر دين فانظروا ممن تأخذون دينكم والإسلام حاكم والناس محكوم عليهم ولا عبرة بقول أو بفعل صدر من إنسان وإن كان مشهوراً فخالف به كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون . فهيا بنا نرجع لعلماء الأمة المعتبرين الذين سلكوا مسالك سلف الأمة في فهمهم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ .

الشـــهرة بالمـال

تهافت الناس على المال وتطلعهم إلى المشاهير من أصحاب الملايين والبلايين أصبح سمة من سمات هذا العصر المادى ، بل البعض يرتحل ويهاجر تاركاً وطنه ودينه سعياً وراء المال . وقد استخدم اليهود وأشباههم سلاح المال فى إفساد الأخلاق وتلويث الأعراض والتحكم فى البلاد والعباد عن طريق الاقتصاد تارة وشراء العملاء والذمم الخربة تارة أخرى وإضعاف الأمم والشعوب بترويج المخدرات وإحداث الفتن والقلاقل بتمويل السلاح . ومن هنا كانت خطورة المال . والمال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمى وذلك المعنى إما لشدة حرصه أوتناوله من غير حله أو حبسه عن حقه أو إخراجه فى غير وجهه أو المفاخرة به ولذا قال الله تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلاَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (٢) وقال سبحانه ﴿ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَى . أَن رَّءَاهُ اسْتَغْنَى ﴾ (٣) وقد حكى لنا ربنا صوراً من الطغيان بالمال كطغيان قارون الذى قال ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِى ﴾ (٤) ﴿ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوأُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ ﴾ (٥) وطغيان صاحب الجنتين الذى قال لأخيه المؤمن ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾ (٦) وقال النبى ﷺ : « تعس عبد الدينار تعس عبد

---

(١) المنافقون (١٩) .
(٢) التغابن (١٥) .
(٣) العلـــق (٦) .
(٤) القصص (٧٨) .
(٥) القصص (٧٦) .
(٦) الكهف (٣٤) .

الدرهم تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش » رواه البخارى . وقال أيضاً : « يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت » رواه مسلم . وقال ﷺ : « هلك المكثرون إلا من قال به فى عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم » رواه البخارى . وعن يحيى بن معاذ قال : الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه وقيل وما رقيته ؟ قال : أخذه من حله ووضعه فى حقه ، وعنه رحمه الله : مصيبتان لم يسمع الأولون والآخرون بمثلهما للعبد فى ماله عند موته قيل : وما هما ؟ فقال : يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله . والحرص على المال والرئاسة يستلزم الظلم والكذب والفواحش في غالب الأحيان كما فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « إياكم والشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا » . وعن كعب عن النبى ﷺ أنه قال « ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه » قال الترمذى حديث حسن . فحرص الرجل على المال والشرف يوجب فساد الدين . وقال النبى ﷺ « من أصبح والدنيا أكبر همه شتت الله عليه شمله وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ماكتب له ومن أصبح والآخرة أكبر همه جعل الله غناه فى قلبه وجمع عليه ضيعته وأتته الدنيا وهى راغمة » وقال ﷺ « نعم المال الصالح للرجل الصالح » رواه أحمد بسند صحيح . وكان البعض يقول متاع الغرور ما ألهى صاحبه عن طلب الآخرة وما لم يلهك عن طلب الآخرة فليس بمتاع غرور ولكن متاع بلاغ إلى ما هو أبلغ منه . وكان أحد العلماء يقول كيف لا أحب دنيا قدر لى فيها قوت أكتسب به حياة أدرك بها طاعة أنال بها الجنة . وقالوا نعمت الدار الدنيا كانت للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة وبئست الدار كانت للكافر والمنافق وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده منها النار . ولا يؤمم مال العبد ولا يحجر عليه حتى وإن بلغ البلايين طالما أخذ من حله ووضع فى حقه .

الشهرة بالجاه والسلطان

الخلافة والإمارة لها بريقها ولمعانها والناس عادة تبعاً لحكامهم وهم على قدرنا ونحن

على قدرهم وكما قالوا كيفما تكونوا يولى عليكم ولذلك قال ابن القيم نحن فى زمان لا يصلح أن يولى علينا فيه مثل معاوية بن أبى سفيان وعمر بن عبد العزيز فضلاً عن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما . وقد ضبط الإسلام أمر الحكم والرياسة كما ضبط سائر شئون الحياة : فالخلافة موضوعة لتطبيق الدين وسياسة الدنيا به والعدل هو أساس الملك ولا يمكن أن يتحقق إلا بالرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وقد ابتدأت الخلافة بآدم عليه السلام ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (١) ثم تلاه بنوه وكان بين آدم ونوح عشرة قرون كلها على التوحيد ثم دخل الشرك فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين كما قال ابن عباس رضى الله عنهما وكان من الأنبياء من هو نبى ملك كداود وسليمان ومنهم من كان عبداً رسولاً كرسول الله ﷺ قال تعالى ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(٢) والبينات هى المعجزات والحجج الباهرات والدلائل القاطعات . والكتاب هو النقل الصدق والميزان هو العدل قاله مجاهد وغيره قوله تعالى ﴿ وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ قال ابن كثير « أى وجعلنا الحديد رادعاً لمن أبى الحق وعانده بعد قيام الحجة عليه ولهذا أقام رسول الله ﷺ بمكة بعد النبوة ثلاث عشرة سنة توحى إليه السور المكية وكلها جدال مع المشركين وبيان وإيضاح للتوحيد وبينات ودلالات فلما قامت الحجة على من خالف ؛ شرع الله الهجرة وأمرهم بالقتال بالسيوف وضرب الرقاب والهام لمن خالف القرآن وكذب به وعانده ثم ساق حديث النبى ﷺ « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى ومن تشبه بقوم فهو منهم » ا . هـ . وقد تكلم العلماء فى شروط الخلافة والإمارة وكيفية الوصول إلى الحكم . فلا يصح مثلا للكافر أن يتولى إمرة المسلمين ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾(٣) وتقديم الأمثل فالأمثل أمر واجب ولابد من توافر القوة والأمانة بحسب الولاية ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ

(١) البقرة (٣٠) . (٢) الحديد (٢٥) .
(٣) النساء (١٤١) .

القَوِيُّ الأَمِينُ ﴾(١) ولا يصح التزوير والكذب والخداع للوصول إلى هذه المناصب فهي أمانة وتكليف روى البخارى عن حذيفة أن النبى ﷺ قال لأهل نجران « لأبعثن إليكم رجلاً أمينًا حق أمين فاستشرف لها أصحاب النبى ﷺ فبعث أبا عبيدة » وقد رأى البعض الولايات مغنماً فانبهر بها وتطلع إليها ونافق فى سبيل تحصيلها وهو عار من أدواتها ومتطلباتها وهذه من أعظم صور الخيانة . روى أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إنها ستأتى على الناس سنون خداعة يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويخون فيها الأمين وينطق فيها الرويبضة قيل وما الرويبضة ؟ قال السفيه يتكلم في أمر العامة » قال ابن كثير جيد . وفي حديث جبريل وإذا كانت العراة الحفاة رؤوس الناس فذاك من أشراطها . وعن عمر قال قال رسول الله ﷺ « من أشراط الساعة أن يغلب على الدنيا لكع ابن لكع فخير الناس يومئذ مؤمن بين كريمين » . الطبرانى فى الأوسط . وفى الصحيح « إذا أسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة » وعن أبى هريرة قال « من أشراط الساعة أن يعلو التحوت الوعول أكذلك يا عبد الله بن مسعود سمعته من حبى ؟ قا ل نعم ورب الكعبة قلنا وما التحوت؟ قال فسول الرجال وأهل البيوت الغامضة يرفعون فوق صالحهم ، والوعول أهل البيوت الصالحة » رجاله رجال الصحيح وعند أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تذهب الدنيا حتى تصير للكع ابن لكع (وهو العبد الأحمق اللئيم) » صححه الألبانى ، فيصيرنعيمها وملاذها والوجاهة فيها له وروى أحمد عن حذيفة « لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لكع ابن لكع » صححه الألبانى . وفى الصحيحين عن حذيفة فيما رواه عن النبى ﷺ فى قبض الأمانة « حتى يقال للرجل ما أجلده ما أظرفه ماأعقله ومافى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان » فانظر كيف صارت المناصب العليا كقمم الجبال لا يصل إليها إلا الهوام والحشرات والولاية أمانة وهى يوم القيامة خزى وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى حق الله فيها .

---

(١) القصص (٢٦) .

الشهرة بالجمال

فالجمال له أسواق ومسابقات تتبارى النساء فيها فى إظهار محاسنهن ومفاتنهن ويتم فى هذه المسابقات انتخاب ملكة جمال القطر ثم ملكة جمال العالم أو الكون وهناك هيئات للتحكم ويتم الاختيار وفق شروط محددة وعلى أساسها يتم ترتيب الجميلات فى العالم ولا يخفى على أحد مدى الفحش والتفحش والخلاعة والعرى الذى يحدث فى هذه المسابقات مما لا يستريب عاقل فى حرمته فالمرأة مأمورة بستر زينتها عن الرجال الأجانب والأوامر الشرعية فى حقها تحضها على الصيانة والتحفظ والتحجب والتباعد عن مواطن التهم والريب والشكوك يقول تعالى ﴿ **وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى** ﴾ (١) وقال سبحانه ﴿ **فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفًا** ﴾ (٢) وقال ﴿ **وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ** ﴾ (٣) وتبرج الجاهلية هو أن المرأة كانت تبرز خصلة من خصلات شعرها أو أنها كانت تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال ولاشك أن ما يحدث عند الشواطىء وفى هذه المسابقات أفضح من تبرج الجاهلية الأولى . قال تعالى ﴿ **وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ** ﴾ (٤) وهذه الآية يستدل بها على وجوب تغطية الوجه لأنه مكمن الفتنة ومنبع الخطر ولذلك اتفق العلماء على مشروعية تغطية الوجه إذا كانت المرأة بحضرة الرجال الأجانب عنها وقد ذهب بعض العلماء إلى استحباب ذلك والصحيح القول بوجوبه ومما يستدل به على ذلك أيضًا قول الله تعالى ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا** ﴾ والجلباب يضرب من الرأس حتى القدم وتبرز المرأة عينها اليسرى قاله ابن مسعود وعبيدة وقتادة والحسن البصرى وسعيد بن جبير وإبراهيم النخعى وعطاء الخراسانى وغير واحد . والجلباب أيضًا هو الملاءة التى تشتمل بها المرأة فوق الدرع

---

(١) الأحزاب (٣٣) . (٢) الأحزاب (٣٢) . (٣ ، ٤) النور (٣١) .

(٥) الأحزاب (٥٩) .

والخمار . قال ابن تيمية : (فإذا كن مأمورات بالجلباب لئلا يعرفن وهو ستر الوجه أوستر الوجه بالنقاب كان حينئذ الوجه واليدان من الزينة التي أمرت أن لا تظهرها للأجانب فما بقي يحل للأجانب النظر إلا للثياب الظاهرة ..... وقال في موضع آخر ..... الوجه واليدان والقدمان ليس لها أن تبدى ذلك للأجانب على أصح القولين بل لا تبدى إلا الثياب ا . هـ . وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة أن يغطين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب ويبدين عيناً واحدة . وعن أم سلمة رضى الله عنها قالت : لما نزلت هذه الآية ﴿ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ﴾ (١) « خرج نساء الأنصار كأن رءوسهن الغربان من السكينة وعليهن أكسية سود يلبسنها » ولو لم يكن ستر الوجه موجوداً على عهد رسول الله ﷺ لما قال « المحرمة لا تنتقب ولا تلبسّ القفازين » وبمفهوم المخالفة الغير محرمة تنتقب وتلبس القفازين . ولما استأذن المغيرة بن شعبة رسول الله ﷺ في أن يرى وجه مخطوبته ولما كان السبب في إثارة الفتنة التي أدت إلى إجلاء بني قينقاع عن المدينة عندما كشف اليهودى عن وجه الأنصارية ولما قالت عائشة رضى الله عنها : سدلت إحدانا جلبابها من رأسها على وجهها وذلك عندما يمر بهم الركبان . وفى قصة الإفك قالت فخمرت (أى غطيت وجهى بجلبابى) وكان يعرفنى قبل نزول آية الحجاب . وحديث أسماء في كشف الوجه والكفين ضعيف ولو صح لحمل هو وغيره على الوضع قبل نزول آية الحجاب . ولما تخلف رجال يتحدثون في بيت رسول الله ﷺ كانت السيدة زينب أم المؤمنين مولية وجهها إلى الحائط وقال سبحانه : ﴿ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾(٢) وروى أبو داود أن امرأة جاءت إلى النبى ﷺ يقال لها أم خلاد وهي منتقبة تسأل عن ابنها وهو مقتول في الجهاد مع النبي ﷺ فقال لها بعض أصحاب النبي ﷺ : جئت تسألين عن ابنك وأنت منتقبة ؟ فقالت : إن أرزأ ابنى فلن أرزأ بحيائى . وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : المرأة عورة ولم يستثن النبى ﷺ الوجه والكفين وعن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت : كنا نغطى وجوهنا من الرجال

---

(١) الأحزاب (٥٩) . (٢) الأحزاب (٥٣) .

تمتشط قبل ذلك في الإحرام . رواه أبو داود . وفي الموطأ للإمام مالك عن فاطمة بنت المنذر قالت : كنا نخمر وجوهنا ونحن محرمات ونحن مع أسماء بنت أبي بكر الصديق فلا تنكره علينا وقد ورد في فتح الباري عن عائشة رضي الله عنها : تسدل المرأة جلبابها من فوق رأسها على وجهها فاتقي الله أيتها الأخت المسلمة واعلمي أن الدنيا لا تصلح عوضاً عن معنى من معاني الإيمان وأن الآخرة خير وأبقى وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور والموت آت لاريب في ذلك وسعادة الدارين إنما تحدث بالاستقامة على شرع الله ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى . وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾(١) واحذري وساوس شياطين الإنس والجن الذين يزخرفون لك الباطل وكأنه الحرية والمساواة واهتفي بنفسك قائلة ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾(٢) وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته فعلى الرجل أن يصون نساءه وأن يلزمهن طاعة الله والحجاب الشرعي ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾(٣) فالنبي ﷺ ما ترك فتنة بعده أضر على الرجال من النساء . ولن تزول قدما ابن آدم من عند الله حتى يسأل كل راع عما استرعاه حفظ أم ضيع وكفى بالمرء إثما أن يضيع من يعول والحفظ بدين الله أوكد من الإتيان بالطعام والشراب ومهمة الرجل لا تقتصر على مجرد الإتيان بهذه الأشياء . فاتقوا الله حق التقوى واستمسكوا من الإسلام بالعروة الوثقى واحذروا المعاصي ، أجسامكم على النار لا تقوى واعلموا أنكم غداً بين يدي الله موقوفون وعلى تفريطكم نادمون وبأعمالكم مجزيون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون .

الشهرة بالرياضة

كان النبي ﷺ يقول لأصحابه : « ارموا وأنا معكم » رواه البخاري . وقال أيضاً « عليكم بالرمي فإنه خير لكم » رواه الطبراني والبزار بإسناد جيد وفي تفسير قوله تعالى ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ﴾ قال النبي ﷺ : « ألا إن القوة الرمي . ألا إن القوة

(١) طه (١٢٣ - ١٢٤) .
(٢) الأنعام (١٥) . (٣) التحريم (٦) .

الرمى . ألا إن القوة الرمى . » رواه مسلم وكان علي بن أبي طالب عداء (سريع الجرى) وكان سلمة بن الأكوع يسابق الخيل فيسبقها وكان النبى ﷺ أحيانًا يأمر الركب فينطلق ثم يسابق السيدة عائشة رضى الله عنها قالت أم المؤمنين : سابقنى رسول الله ﷺ فسبقته فلبثت حتى إذا أرهقنى اللحم سابقنى فسبقنى فقال : « هذه بتلك » . وذلك لأنها سبقته في المرة الأولى . رواه أحمد وأبو داود وقد صارع النبى ﷺ ركانة فصرعه ثلاث مرات وكان ركانة من مشاهير العرب بالقوة وكان النبى ﷺ يقول للحبشة وهم يلعبون بالحراب في المسجد : « دونكم بنى أرفدة » وكان يقول للسيدة عائشة رضى الله عنها : تشتهين تنظرين . وتروى رضى الله عنها وتقول : « لقد رأيت النبى ﷺ يسترنى بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا الذى أسأمه فأقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو » متفق عليه . وقال رسول الله ﷺ « الخيل معقود بنواصيها الخير » رواه أحمد . وقال « ارموا واركبوا » رواه مسلم وقال : « كل شيء ليس من ذكر الله فهو لهو أو سهو إلا أربع خصال : مشى الرجل بين الغرضين (للرمى) وتأديبه فرسه وملاعبته أهله وتعليمه السباحة » رواه الطبراني بإسناد جيد . وعن ابن عمر أن النبى ﷺ سبق بين الخيل وأعطى السابق» رواه أحمد . وقيل لأنس : أكنتم تراهنون على عهد رسول الله ﷺ . أكان رسول الله ﷺ يراهن؟ قال : نعم والله لقد راهن على فرس يقال له سبحة فسبق الناس فهش لذلك وأعجبه » رواه أحمد . وقال : الخيل ثلاثة ، فرس للرحمن ، وفرس للإنسان ، وفرس للشيطان . فأما فرس الرحمن فالذى يرتبط في سبيل الله ، فعلفه وروثه وبوله ، وذكر ما شاء الله وأما فرس الشيطان فالذى يقامر أو يراهن عليه . وأما فرس الإنسان فالذى يربطه الإنسان يلتمس بطنها فهى ستر من فقر» متفق عليه . والرهان المباح هو الذى يبعد عن كل شبهة بأن يبذل من غير المتسابقين (كجمعية خيرية أو بعض المحسنين أو تنظمه الدولة) أو من أحدهما فقط . فأما إذا بذل كل منهما جعلاً (كما هو الحال الآن في أندية السباق) على أن من سبق منهما أخذ الجعلين معاً فهو القمار المنهى عنه وهذه الفرس التى يقامر عليها هى فرس الشيطان ، وثمنها وزراً وكذلك علفها وركوبها . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول : « علموا أولادكم السباحة والرماية ومروهم فليثبوا على ظهور الخيل وثبًا » . وأنت إذا

تأملت هذه الرياضات وجدتها نافعة ومفيدة للفرد وللأمة وهي أيضا من معاني القوة التي أمرنا بالأخذ بأسبابها ﴿ **وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم** ﴾ والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفى المقابل أشياء نهى عنها الشرع لخلوها من المنفعة الحقة والمصلحة الجائزة ومن ذلك أن النبى ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً » متفق عليه وذلك لما فيه من تعذيب الحيوان وإتلاف نفسه وإضاعة المال . ونهى النبى ﷺ عن التحريش بين البهائم » رواه أبو داود والترمذى . وقد كان العرب يأتون بكبشين أو ثورين يتناطحان حتى يهلكا أو يقاربا الهلاك وفى هذا إهلاك للحيوان دون فائدة لمجرد العبث واللعب والضحك . ولا تجوز المقامرة ، وقد قال النبى ﷺ : « لا سبق إلا فى خف أو حافر أو نصل » . فالمراهنة وأخذ الرهن جائز بلا خلاف بين علماء المسلمين فى سباق الخيل والإبل وفى الرماية وهى المناضلة . ومن الرياضات الجائزة : المصارعة والسباحة والجرى على الأقدام أوالدراجات أوالسيارات وحمل الأثقال وسباق الزوارق البحرية وحل المسائل العلمية . ومن الألعاب المحرمة : اللعب بالنرد أوالطاولة حتى وإن خلا من القمار لقول النبي ﷺ : « من لعب بالنرد شير فكأنما صبغ يده فى لحم خنزير ودمه » رواه مسلم . وروى أبو موسى عن النبى ﷺ « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » رواه أحمد وأبو داود وابن ماجه. وكذلك لا يجوز اللعب بالشطرنج وقد مر على بن أبى طالب على قوم يلعبون بها فقال لهم : ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون . وهى شر من النرد كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية . وهى لعبة محرمة حتى وإن خلت من القمار والعوض . وقال على هو من الميسر . وقال ابن عمر : هو شر من النرد . وكذلك لا تجوز ألعاب الورق (البلوت والكوتشينة) . وقد قال الشيخ ابن باز حفظه الله عنها ــ وعن الشطرنج (لا تجوز هاتان اللعبتان وما أشبههما لكونهما من آلات اللهو ولما فيهما من الصد عن ذكر الله وعن الصلاة وإضاعة الأوقات فى غير حق ولما قد تفضى إليه من الشحناء والعداوة هذا إذا كانت هذه اللعبة ليس فيها عوض أما إن كان فيها عوض مالى فإن التحريم يكون أشد لأنها بذلك تكون من أنواع القمار الذى لاشك فى تحريمه ولا خلاف فيه والله ولى التوفيق ا . هـ . ولقد سئلت لجنة الفتوى بالسعودية عن حكم هذه اللعبة التى ظهرت فى

الأسواق ويلعبها الأطفال والشبان وهي مركبة من منضدة فيها تماثيل لاعبي كرة القدم ويوضع فيها كرة صغيرة تحرك بالأيدى فمن غلب يدفع أجرة اللعبة إلى صاحبها والغالب لا يدفع شيئًا فهل يجوز هذا وأمثاله في الشريعة الإسلامية ؟

والجواب : إذا كان حال هده اللعبة ما ذكرت من وجود تماثيل بالمنضدة التي يلعب عليه ودفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة لصاحبها فهي محرمة لأمور :

أولا : إن الاشتغال بهذه اللعبة من اللهو الذي يقطع على اللاعب بها فراغه ويضيع عليه الكثير من مصالح دينه ودنياه وقد يصير اللعب بها عادة له وذريعة إلى ما هو أشد من ذلك من أنواع المقامرة وكل ماكان كذلك فهو باطل محرم شرعاً .

ثانياً : صنع التماثيل والصور واقتناؤها من كبائر الذنوب للأحاديث الصحيحة التي توعد الله تعالى وتوعد رسوله ﷺ من فعل ذلك بالنار والعذاب الأليم .

ثالثاً : دفع المغلوب أجرة استعمال اللعبة محرم لأنه إسراف وإضاعة للمال بإنفاقه في لعب ولهو وإيجار اللعبة عقد باطل وكسب صاحبها منها سحت وأكل للمال بالباطل فكان ذلك من الكبائر والقمار المحرم . وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم ا. هـ .

وقد نهى النبي ﷺ عن ضرب الوجه (كما في الملاكمة) وقال : « ولا تضرب الوجه » وذلك لأنه مجمع الأعضاء الحساسة الدقيقة . وهناك ألعاب قد تفضي إلى الموت كما في المصارعة الحرة وأشباهها حيث يعمد كل لاعب إلى ضرب خصمه في الأماكن القاتلة وكل هذا لا يجوز شرعاً .

القرار الثالث
من قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي
الدورة العاشرة

بشأن موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة ومصارعة الثيران

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي في دورته العاشرة المنعقدة بمكة المكرمة في الفترة من يوم السبت ٢٤ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ١٧ أكتوبر ١٩٨٧م إلى يوم الأربعاء ٢٨ صفر ١٤٠٨ هـ الموافق ٢١ أكتوبر ١٩٨٧ م قد نظر في موضوع الملاكمة والمصارعة الحرة من حيث عدهما رياضة بدنية جائزة وكذا في مصارعة الثيران المعتادة في بعض البلاد الأجنبية هل تجوز في حكم الإسلام أو لا تجوز ؟ .

وبعد المداولة في هذا الشأن من مختلف جوانبه والنتائج التي تسفر عنها هذه الأنواع التي نسبت إلى الرياضة وأصبحت تعرضها برامج البث التلفازي في البلاد الإسلامية وغيرها . وبعد الاطلاع على الدراسات التي قدمت في هذا الشأن بتكليف من مجلس المجمع في دورته السابقة من قبل الأطباء ذوي الاختصاص وبعد الاطلاع على الإحصائيات التي قدمها بعضهم عما حدث فعلاً في بلاد العالم نتيجة لممارسة الملاكمة وما يشاهد في التلفزة من بعض مآسي المصارعة الحرة قرر مجلس المجمع مايلي :

أولاً : الملاكمة :

يرى مجلس المجمع بالإجماع أن الملاكمة المذكورة التي أصبحت تمارس فعلاً في حلبات الرياضة والمسابقة في بلادنا اليوم هي ممارسة محرمة في الشريعة الإسلامية لأنها تقوم على أساس استباحة إيذاء كل من المتغالبين للآخر إيذاءً بالغاً في جسمه قد يصل به إلى العمى أو التلف الحاد أو المزمن في المخ أو إلى الكسور البليغة أو إلى الموت دون

مسئولية على الضارب مع فرح الجمهور المؤيد للمنتصر والابتهاج بما حصل للآخر من الأذى وهو عمل محرم مرفوض كلياً وجزئيًا فى حكم الإسلام لقوله تعالى : ﴿ **ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما** ﴾ وقوله ﷺ : « ولا ضرر ولا ضرار » وعلى ذلك فقد نص فقهاء الشريعة على أن من أباح دمه لآخر فقال له : (اقتلنى) أنه لا يجوز له قتله ولو فعل كان مسئولا ومستحقاً للعقاب . وبناء على ذلك يقرر المجمع أن هذه الملاكمة لا يجوز أن تسمى رياضة بدنية ولا تجوز ممارستها لأن مفهوم الرياضة يقوم على أساس التمرين دون إيذاء أو ضرر ويجب أن تحذف من برامج الرياضة المحلية ومن المشاركات فيها في المباريات العالمية كما يقرر المجلس عدم جواز عرضها فى البرامج التلفازية كيلاً تتعلم الناشئة هذا العمل السيىء وتحاول تقليده .

ثانيا : المصارعة الحرة :

وأما المصارعة الحرة التى يستبيح فيها كل من المتصارعين إيذاء الآخر والإضرار به فإن المجلس يرى فيها عملاً مشابهاً تمام المشابهة للملاكمة المذكورة وإن اختلفت الصورة لأن جميع المحاذير الشرعية التى أشير إليها في الملاكمة موجودة فى المصارعة الحرة التى تجرى على طريقة المبارزة وتأخذ حكمها في التحريم . وأما الأنواع الأخرى من المصارعة التى تمارس لمحض الرياضة البدنية ولا يستباح فيها الإيذاء فإنها جائزة شرعاً ولايرى المجلس مانعاً منها .

ثالثا : مصارعة الثيران :

وأما مصارعة الثيران المعتادة فى بعض بلاد العالم والتى تؤدى إلى قتل الثور ببراعة استخدام الإنسان المدرب للسلاح فهى أيضًا محرمة شرعًا فى حكم الإسلام لأنها تؤدى إلى قتل الحيوان تعذيبًا بما يغرس في جسمه من سهام وكثيراً ما تؤدى هذه المصارعة إلى أن يقتل الثور مصارعه ، وهذه المصارعة عمل وحشي يأباه الشرع الإسلامى الذى يقول رسوله المصطفى ﷺ فى الحديث الصحيح : « دخلت امرأة النار فى هرة حبستها فلا هى أطعمتها وسقتها إذ حبستها ولاهى تركتها تأكل من خشاش الأرض) فإذا كان هذا

الحبس للهرة يوجب دخول النار يوم القيامة فكيف بحال من يعذب الثور بالسلاح حتى الموت ؟ .

رابعاً : التحريش بين الحيوانات :

ويقرر المجمع أيضاً تحريم ما يقع فى بعض البلاد من التحريش بين الحيوانات كالجمال والكباش والديكة وغيرها حتى يقتل أو يؤذى بعضها بعضاً .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً والحمد لله رب العالمين . ا . هـ .

وقد انتشرت فى بلادنا لعبة كرة القدم وتحرص أعداد كبيرة على مشاهدة مبارياتها وهى رياضة لا تخلو من كشف للأفخاذ وإضاعة للصلوات فى أوقاتها وفي جماعة وناهيك عن البغضاء والشحناء والعصبية التي هى أشبه بعصبية الجاهلية الأولى وهى لعبة تضيع على البلاد والعباد كثيراً من مصالح الدين والدنيا وفيها أيضاً إسراف ووضع للمال الكثير على مجرد النظر إلى المباراة وبالجملة فهي رياضة غير مفيدة بل أين هى من السباحة والرماية والجرى وغير ذلك من ألعاب القوة . ومن عجيب الأمر مشاركة النساء أيضا فى ألعاب كثيرة كالتنس وكرة السلة والسباحة والجرى الأمر الذى يدعو المرأة إلى التكشف والاختلاط بالرجال وإثارة الفتن الأمر الذى يقطع بحرمته . وكما ترى فهى ألعاب كثيرة وكل لعبة لها مشاهيرها والشهرة كما تتم بالحلال تتم أيضاً بالحرام والورع من الدين كما قال العلماء فلا أقل من ترك الحرام الواضح البين تعظيماً لحرمات الله تعالى والوقوف عند حدود ما أنزله سبحانه .

فتوى اللجنة فى كرة القدم

سئلت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز حفظه الله :

ماهو الحكم فى رؤية مباريات الكرة التى تلعب على كأس أو منصب من المناصب كاللعب على دورى أو كأس مثلاً فقد سمعت من بعض الأخوة أنه لا يجوز رؤية هذه المباريات على حكم أنها تشبه عملية المراهنات والقمار ؟

فأجابت : مباريات كرة القدم حرام وكونها على ماذكر من كأس أو منصب أو غير ذلك منكر آخر إذا كانت الجوائز من اللاعبين أو بعضهم لكون ذلك قماراً وإذا كانت الجوائز من غيرهم فهى حرام لكونها مكافأة على فعل محرم وعلى هذا فحضور هذه المباريات حرام . ا . هـ

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

الشهرة بالأدب

فما من يوم يمر إلا ومئات الكتب تدفع إلى الأسواق تخاطب الكبار والصغار والرجال والنساء شعراً ونثراً وعالم الأدب مليء بالكتاب والمفكرين والأدباء والشعراء وقد انتشر فى الآونة الأخيرة مايسمى بأدب الجنس والأدب الغريزى أو الأدب المكشوف ولاشك أن كل كلمة لها حكمها وهذا الحكم يُرجع فيه لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وليس للجان التحكيم المشبوهة والتى لا ميزان عندها إلا إشاعة الفسق والكفر والفجور فى البلاد والعباد ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك هذه الجائزة التى نالها الكاتب نجيب محفوظ والتى تسمى بجائزة نوبل وذلك على كتابه « أولاد حارتنا » والتى انهال فيها تنقصاً وتجريحاً ليس فقط لأنبياء الله ورسله وإنما أيضاً لرب العزة جل وعلا . تعالى الله عما يقوله الظالمون والجاحدون علوا كبيراً . ثم بعد ذلك بفترة وجيزة نال الخبيث سلمان رشدى أعلى جائزة فى بريطانيا على كتاب يتشابه مع قصة نجيب محفوظ فى موضوعه وهو كتاب « آيات شيطانية » ومن الخطأ الكبير أن نطلق على هذه الكتابات اسم الأدب فهى فى الحقيقة قلة أدب أو سوء أدب . وقد أمرنا أن نسمى الأشياء بأسمائها والجهات المشبوهة تستثمر أمثال هؤلاء الكتاب وكتاباتهم فى الكيد للإسلام وأهله وتعمد إلى إضفاء الشهرة على هؤلاء الخبثاء بإبراز أعمالهم وإعطائهم أمثال هذه الجوائز ولا يخفى علينا هذه الحرب الضروس التى يشنها أعداء الإسلام من يهود ونصارى وملاحدة على هذه الأمة مستخدمين فى ذلك كل الأسلحة ومن أشدها الغزو الفكرى ولم يعدموا وجود بعض منحرفى الفكر والعقيدة ممن ينتسبون لهذه الأمة ليروجوا لهم مخططاتهم التى تهدف لإضعاف هذه الأمة بإبعادها عن دينها الذى هو سبب قوتها ومصدر عزها

وسعادتها . وما من يوم يمر إلا وتجد سيلاً منهمراً من الكتب منها مايدعو لنظريات وفلسفات كفرية كالوجودية والإباحية وغيرها ، ومنها مايدعو لأخذ ماعليه الغرب حتى من تحلل وضياع ومنها مايدعو لتحرر المرأة وانفلاتها بلا رقابة من دين أو خلق ، ومنها ماينشر الخزعبلات والخرافات والأساطير فى نفوس أطفال المسلمين ، ومنها أيضاً مايشيع الفحش والتفحش والجريمة فى جسد الأمة وكل ذلك يفعلونه تحت اسم الحرية الشخصية وحرية الرأى وحرية الفكر والتعبير ومايدور فى الغرب والشرق يدور مثله فى بلدان المسلمين التى تؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً . بل ولم تسلم الكتب الدراسية فى مختلف المراحل التعليمية من هذا الدس والتشويه وكان الواجب أن تتم مراجعة دقيقة لكل مايقال ويكتب وينشر فى أوساط المسلمين حتى لايسمح لشىء يخالف كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ أن ينتشر . ولاوسع الله على من لم يسعه ماوسع سلف الأمة رضوان الله عليهم فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول لكاتبه وقد كتب هذا ما أرى الله أمير المؤمنين ـ امحه واكتب هذا ما رأى عمر بن الخطاب وكان وهو محدث هذه الأمة بشهادة رسول الله ﷺ إذا عرضت عليه المسألة يقول أقول فيها فإن أصبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسى ومن الشيطان والله منه برىء . وكان الصديق قبله رضى الله عنه يقول أى سماء تظلنى وأى أرض تقلنى إن أنا قلت فى القرآن برأيى ثم يأتى العلماء من بعدهم وكلهم يرجع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ علماً وعملاً واعتقاداً فما وافق الكتاب والسنة قُبل وماخالفهما رد على صاحبه كائنًا من كان وذلك لأن كلُ إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ بل حرم الإمام أبو حنيفة أن يفتى أحد بقوله إلا إذا علم دليله حيث يقول : (حرام على من لم يعرف دليلى أن يفتى بقولى فإنما أنا بشر أقول القول اليوم وأرجع عنه غداً) وهكذا كان تعظيمهم لشرع الله وخوفهم من مخالفة الكتاب والسنة ونحن إذا حكمنا هذا الضابط سنجد أن قصص القرآن كله حق وكله صدق يشيع الإيمان والطهر والعفاف ويدعو إلى كل خير ويزجر عن كل شر ﴿ **وبالحق أنزلناه وبالحق نزل** ﴾ ففيه كفاية بإذن الله وسيرة النبى ﷺ والصحابة الكرام وعلماء الأمة وصالحيها تغنى عن سير من سواهم . والشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح وقد كان حسان بن ثابت رضى الله عنه ينشد بالمسجد بحضرة رسول الله

ﷺ والكتابة بصفة عامة يجب أن تهدف لإعلاء كلمة الله فى الأرض أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وجهاد الكلمة صورة محمودة ومشروعة من صور الجهاد والنبى ﷺ يقول :« جاهدوا المشركين بأموالكم وأيديكم وألسنتكم » والنبى ﷺ جاهد الكفار بالسيف والسنان وجاهد المنافقين بالحجة والبيان ، وإذا كانت الكلمة المكتوبة أشد تأثيراً وأوسع انتشارا من الكلمة المسموعة فعلينا بتقوى الله فيما نقول ونكتب فقد قال ﷺ « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليسكت » رواه البخارى ومسلم وقال « من يتكفل لى مابين لحييه ورجليه أتكفل له الجنة » رواه البخارى . وقال معاذ بن جبل قلت : يارسول الله أنؤاخذ بما نقول ؟ فقال : « يا ابن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم » رواه ابن ماجه والترمذى والحاكم وصححه على شرط البخارى ومسلم . وكان ابن مسعود رضى الله عنه يقول : يا لسان قل خيراً تغنم ، واسكت عن شر تسلم ، من قبل أن تندم . وقال الأوزاعى : كتب إلينا عمر بن عبد العزيز أما بعد فإن من أكثر ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه . وقال يونس بن عبد الله : مامن الناس يكون منه لسانه على بال إلا رأيت صلاح ذلك فى سائر عمله . وقال أبو بكر بن عياش : اجتمع أربعة ملوك : ملك الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال أحدهم : أنا أندم على ماقلت ولا أندم على مالم أقل وقال الآخر : إنى إذا تكلمت بكلمة ملكتنى ولم أملكها وإذا لم أتكلم بها ملكتها ولم تملكنى : وقال الثالث : عجبت للمتكلم إن رجعت عليه كلمة ضرته وإن لم ترجع لم تنفعه . وقال الرابع : أنا على رد ما لم أقل أقدر منى على رد ما قلت قال الله عز وجل : ﴿ لاخَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِن نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾ (١) قال عطاء : إن من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون فضول الكلام ماعدا كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ أو أمراً بمعروف أو نهياً عن منكر أو أن تنطق لحاجتك فى معيشتك التى لابد لك منها أتنكرون أن عليكم حافظين كراماً كاتبين . عن اليمين وعن الشمال قعيد مايلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ؟! أما

---

(١) النساء (١٢٤) .

يستحى أحدكم إذا نشرت صحيفته التى أملاها صدر نهاره كان أكثر مافيها ليس من أمر دينه ولا دنياه ؟ وقال ابن عمر : إن أحق ماطهر الرجل لسانه .

القرار الثانى

بيان من الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى بشأن الرواية التى كتبها المدعو سلمان رشدى وما تضمنته من إساءات واعتداءات على عقائد وشخصيات إسلامية معظمة .

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لانبى بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى وقد آلمها كما آلم سائر المسلمين ما اشتمل عليه كتاب المدعو سلمان رشدى من التشويه المتعمد للدين الإسلامى والإساءات الشنيعة للشخصيات الإسلامية تعلن ماقرره مجلس المجمع الفقهى الإسلامى لرابطة العالم الإسلامى فى دورته الحادية عشرة المنعقدة بمكة المكرمة فى الفترة من يوم الأحد ١٣ رجب ١٤٠٩ الموافق ١٩ فبراير ١٩٨٩ إلى يوم الأحد ٢٠ رجب ١٤٠٩ هـ الموافق ٢٦ فبراير ١٩٨٩م حول الرواية المذكورة وجاء فى القرار مايلى :

إن الرواية التى كتبها وأصدرها المدعو سلمان رشدى الهندى الأصل من أسرة مسلمة والبريطانى الجنسية ... تلك الرواية التى نشرت باللغة الإنكليزية فى كتاب بعنوان « آيات شيطانية » نقلت الصحف العالمية العربية الإسلامية والأجنبية فقرات منها ... وقد نشرت الكتاب دار بنجوين للنشر فى بريطانيا وفايكنج فى الولايات المتحدة الأمريكية ... وأعقبت الرواية المذكورة ضجة استنكار فى الأوساط الإسلامية وغيرها بسبب ما جاء فيها من ألفاظ نابية وافتراءات على الإسلام ومقدساته وقد نظر المجلس فى بعض الفقرات والفصول التى تضمنتها الرواية المذكورة فرأى مجلس المجمع الفقهى فيها أبشع وأقذر صورة للافتراءات والأوصاف التى يصف فيها ذلك الكاتب نبى الإسلام سيدنا محمداً رسول الله وزوجاته أمهات المؤمنين وغير ذلك من المستنكرات حتى أنه

يتهجم على خليل الله سيدنا إبراهيم بكلمات لا تليق بحرمة الأنبياء ويصف أمهات المؤمنين زوجات رسول الله ﷺ بكلمات من سافل الكلام الذى يخرج عن نطاق الكلام التاريخى أو العلمى أو الأدبى ويدخل فى نطاق التعدى على المقدسات الاعتقادية الإسلامية بصورة تجرمها وتعاقب عليها قوانين جميع البلاد المتمدنة التى يحكمها نظام ودستور وقوانين تحفظ الحقوق والكرامات لأن ما جاء فى تلك الرواية يتجاوز نطاق حرية الآراء ويدخل فى نطاق العدوان والإيذاء بالكلام السافل الذى يمس الكرامات المحترمة المصونة . وقد تداول مجلس المجمع الفقهى فى هذا الموضوع الخطير وما يجب سلوكه تجاه هذا العدوان السافل على الحرمات الإسلامية المقدسة وانتهى المجلس إلى القرار التالى :

(١) يرى المجلس أن ماورد فى هذا الكتاب المسمى (بالآيات الشيطانية) من المفتريات المشار إليها لا يستحق أن يواجه بردود علمية لأنه من قبيل الشتائم والأوصاف البذيئة وليس آراء علمية أو تاريخية تستوجب الرد العلمى .

(٢) يقرر المجلس استنكار هذا العمل الصادر عن هذا المجرم ويعلن المجلس أن هذا الرجل بعمله هذا يعتبر مرتداً عن الإسلام الذى نشأ فى ظله وإنه يستحق أن يطبق عليه ماتنص عليه الشريعة الإسلامية .

(٣) يعلن المجلس أنه يجب ملاحقة هذا الشخص بدعوى قضائية جزائية تقام عليه وعلى دار النشر التى نشرت له هذه الرواية فى المحاكم المختصة فى بريطانيا وأن تتولى رفع هذه الدعوى عليه منظمة المؤتمر الإسلامى التى تمثل الدول الإسلامية وأن توكل فى هذه الدعوى أقوى المحامين المتمرسين فى القضايا الجنائية أمام محاكم الجزاء البريطانية ممن يوثق بأمانتهم المسلكية .

(٤) يعلن المجلس أنه يجب أن تقام أيضاً على هذا الكاتب السافل دعوى جزائية فى بلد إسلامى من قبل النيابة العامة فيه يحاكم فيها غيابياً ويحكم عليه بما توجبه الشريعة الإسلامية فى أمثاله حتى ولو لم يكن لهذا الحكم مجال تنفيذى فورى - ويعلن ذلك

إعلامياً وذلك للتعبير عن سخط المسلمين فى العالم على هذا الأسلوب من العدوان السافل.

(٥) يقرر المجلس أن الاعتذار الذى قدمه هذا الكاتب إلى المراجع البريطانية ونشرته الصحف وقال فيه : إنه يأسف لأنه أساء إلى مشاعر المسلمين هو اعتذار فارغ لا محصل له ولا يغير شيئاً من افتراءاته الشنيعة لأن الاعتذار فى مثل هذه الحال يجب أن يتضمن الإقرار والاعتراف بأن ماذكره فى كتابه إنما هو محض كذب وافتراء وإنه غير صحيح وأن ينشر ذلك فى وسائل الإعلام الموازية لتلك التى نشر فيها أكاذيبه.

(٦) يدعو المجلس الحكومات والشعوب والأفراد فى البلدان الإسلامية وغيرها إلى مقاطعة دور النشر التى نشرت هذا الكتاب المسمى (آيات شيطانية) أو ساعدت على نشره أو دفعت مكافأة لمؤلفه أو قدمت جائزة له مقاطعة تامة فى الكتب التى تنشرها تلك الدور أيا كانت صفتها وألا تتعامل معها بأية صورة وإن الأمانة العامة لرابطة العالم الإسلامى إذ تنشر قرار المجمع الفقهى الإسلامى بعد أن حذرت العالم الإسلامى عن خطورة الكتاب وضرورة مقاطعة دار النشر الذى تولت تمويل الكتاب ونشره تهيب بكل مسلم على وجه الأرض وبخاصة فى بريطانيا وأمريكا حيث نشر الكتاب أن يكشف زيف هذا الكتاب وأن يحث إخوانه المسلمين والأشخاص المحبين للصدق والإنصاف على مقاطعة دار النشر التى أصدرته والدور الأخرى المتعاونة معها على توزيعه وتسويقه

والله الموفق ...... ا.هـ

الشهرة بالفن

والفنون كثيرة ومتنوعة فمنها الرسم والتصوير والنحت والموسيقى والغناء والتمثيل والرقص وكل فن من هذه الفنون له صور كثيرة متعددة مثل الفن التشكيلى والفن السريالى والموسيقى الخفيفة والتصويرية والتمثيل المسرحى والسينمائى والرقص الشعبي والباليه ، وكل فن من هذه الفنون له مشاهيره وقد تنوعت مواهب الناس وتوزعت هواياتهم وللإسلام حكمه فى كل صورة من هذه الصور كما أن له حكمه فى كل

حركة وسكنة وقول وفعل والواجب على العباد جميعاً أن يستقيموا على شرع الله فيحلون الحلال ويحرمون الحرام فلا عبرة بكثرة انحرفت عن كتاب الله أوسنة رسول الله ﷺ ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ (١) ﴿ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ (٣) وكما قالوا اسلك طريق الهدى ولا يضرك قلة السالكين وإياك وطرق الضلالة ولا تغتر بكثرة الهالكين . وقالوا أيضًا : أتعرف الحق بالرجال ولكن اعرف الحق تعرف أهله واعرف الباطل تعرف من آتاه . وليس لنا أن نقلد أحداً خالف دين الله كائنًا من كان ولذلك قال ابن مسعود رضى الله عنه « لا يقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر » . والباطل مردود على صاحبه وإن كان مشهوراً . ولا يكونن أحدكم إمعة إن أحسن الناس أحسنتم وإن أساءوا أسأتم ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا أن تجتنبوا إساءتهم ، فانتشار الأمر وظهوره وكثرة من يعمل به لا يعطيه صفة المشروعية إن خالف الحق . والهواية والموهبة والمشاعر والأحاسيس لابد من إخضاعها لهذا الميزان الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، هذا ولما كانت البلية كبيرة والفتنة عظيمة بهذه الفنون كان لابد من كلمة تفصيلية عن هذه الصور التى عمت بها البلوى وطمت .

حكم الرسم والتصوير والنحت

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه تماثيل أو تصاوير » رواه مسلم وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « من صور صورة عذب وكلف أن ينفخ فيها (يعنى الروح) وليس بنافخ » رواه أحمد والبخارى والترمذى وفى حديث ابن عباس جواز تصوير الشجر ونحوه مما لا روح فيه ، فعند مسلم قال : جاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال : إنى رجل أصور هذه الصور فأفتنى فيها فقال له : ادن منى فدنا منه ثم قال : ادن منى فدنا حتى وضع يده على

---

(١) الأنعام (١١٦) . (٢) يوسف (١٠٣) .
(٣) يوسف (١٠٦) .

رأسه قال أنبئك بما سمعت من رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم » وقال : « إن كنت لا بد فاعلاً فاصنع الشجر ومالا نفس له » . ومن ذلك أيضاً قول النبي ﷺ : « إن أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصورون » رواه أحمد والشيخان وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل قتله نبي أو قتل نبياً وإمام ضلالة وممثل من الممثلين » رواه أحمد . قال الخطابي : إنما عظمت عقوبة المصور لأن الصور كانت تعبد من دون الله ولأن النظر إليها يفتن وبعض النفوس إليها تميل . قال والمراد بالصور هنا التماثيل التي لها روح ا .هـ وعن أبي جحيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ : « لعن المصورين » رواه أحمد والبخاري . وفي رواية لمسلم : إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يشبهون بخلق الله » وفي رواية عائشة رضي الله عنها قال : « أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله » متفق عليه. وعن عائشة رضي الله عنها أن أم حبيبة وأم سلمة رضي الله عنهما ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير فذكرتا ذلك للنبي ﷺ فقال : « إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور فأولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان تبصران وأذنان تسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكلت بثلاثة : بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر وبالمصورين » رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح غريب . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : وعد النبي ﷺ جبريل فراث عليه حتى اشتد على النبي ﷺ فخرج النبي ﷺ فلقيه فشكا إليه ماوجد فقال له : إنا لاندخل بيتاً فيه صورة ولا كلب » رواه البخاري وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل فقال إني كنت أتيتك البارحة فلم يمنعني أن أكون دخلت عليك البيت الذي كنت فيه إلا أنه كان في باب البيت تمثال الرجال وكان في البيت قرام ستر فيه تماثيل وكان في البيت كلب فأمر برأس التمثال الذي بالباب فليقطع فيصير كهيئة الشجرة وأمر بالستر فليقطع ويجعل منه وسادتين منتبذتين توطآن وأمر

بالكلب فيخرج ففعل رسول الله ﷺ وكان ذلك الكلب جرواً للحسين أو للحسن تحت نضد له فأمر به فأخرج » رواه أحمد وأهل السنن إلا ابن ماجه ، وعن أبى طلحة صاحب رسول الله ﷺ إنه قال : إن رسول الله ﷺ قال : « إن الملائكة لا تدخل بيتاً فيه صورة » قال بشر : ثم اشتكى زيد بعد فعدناه فإذا على بابه ستر فيه صورة فقلت لعبيد الله الخولانى ربيب ميمونة زوج النبى ﷺ : ألم يخبرنا زيد عن الصور يوم الأول فقال عبيد الله ألم تسمعه حين قال إلا رقماً فى ثوب » رواه أحمد والشيخان .

الخلاصة :

يحرم تصوير ذوات الأرواح أو رسمها أو نحتها سواء كانت لإنسان أوحيوان وسواء كانت للذكرى أو لغيرها بالكاميرا أو باليد ، فى ثوب أو فى ورقة ، لها ظل أو ليس لها ظل وعلة المضاهاة فى الصور الفوتوغرافية أوكد منها من المرسومة باليد ولذلك فهى تستخدم فى تعقب المجرمين ويجب طمس الصور عند الاستطاعة مع التأدب بآداب الإنكار حتى لا تستجلب مضرة تغلب المصلحة . وتطمس صورة المرأة كلها وبالنسبة للرجل يطمس الوجه ، والسلع والأشياء المباحة التى تشتمل على تصاوير كعلب الحلوى يحل الانتفاع بها وبيعها وشراؤها مع طمس التصاوير التى بها ويستثنى من هذه التصاوير ما خلا من الروح كالشجر والسماء والبحر على قول ابن عباس رضي الله عنهما وتباح التصاوير للحاجة أو الضرورة كالتصوير للبطاقات الشخصية وجواز السفر وتعقب المجرمين والتصوير للطب والجغرافيا ويقتصر فى ذلك على قدر الحاجة أو الضرورة طالما فى الأمر فائدة متحققة ولا تتيسر هذه الفائدة بطريق أصله مباح . وعن عائشة رضى الله عنها أنها كانت تلعب بالبنات فكان النبى صلى الله عليه وسلم يأتى لى بصواحبى يلعبن معى . أخرجه البخارى ومسلم وكان لها فرساً له جناحان من رقاع . قال الحافظ « واستدل بهذا الحديث على جواز اتخاذ صور البنات واللعب من أجل لعب البنات بهن وخص ذلك من عموم النهى عن اتخاذ الصور وبه جزم عياض ونقله عن الجمهور وأنهم أجازوا بيع اللعب للبنات لتدريبهن من صغرهن على أمر بيوتهن وأولادهن » أيضاً عن الربيع بنت معوذ قالت : أرسل النبى ﷺ غداة عاشوراء إلى قرى الأمصار من أصبح

مفطراً فليتم بقية يومه ومن أصبح صائماً فليصم ، قالت فكنا نصوم بعد ونصوم صبياننا ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناهم اللعبة تلهيهم حتى يتموا صومهم » رواه البخارى . ووجود الصورة لا يبطل ولا يفسد الصلاة وليس من شرط صحتها عدم وجود التصاوير بالمكان ولكن لابد من العمل على إزالتها متى وجدت الاستطاعة . وإذا لم تزل المنكر فزل متى استطعت ذلك . والنظر إلى الصورة لا يغنى عن النظر إلى المخطوبة ولا مصلحة فيه . وقد مربنا كيف أن قوم نوح صوروا التصاوير للصالحين لتذكرهم ثم عبدوا هذه التصاوير ﴿ وقالوا لاَ تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُم وَلا تَذَرنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْراً ﴾(١) وقول البعض بإباحة التصاوير لأن الشرك قد انتهى هو قول من أفسد الفساد وأبطل الباطل والواقع يرد عليه وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه لن تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس حول ذى الخلصة - وذو الخلصة صنم كانت تعبده دوس بتبالة وكان قد هدم إلا أن الناس يعبدونه مرة ثانية ولن تقوم الساعة حتى تطوف به النساء على النحو المُبين . وقد عمت البلوى بإقامة التماثيل فى الميادين العامة وهنا وهناك للزعماء والقادة والعظماء مما لا فائدة فيه بل فيه التشبه بالكفار عبدة الأصنام ثم فتنة الرسامين والناس بالتصاوير وخصوصاً إذا كانت دقيقة أمرها لا يكاد يخفى على أحد . قال النووى (وهو من علماء الشافعية) قال أصحابنا وغيرهم من العلماء : تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه بهذا الوعيد الشديد المذكور فى الأحاديث وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره فصنعته حرام بكل حال لأن فيه مضاهاة لخلق الله وسواء ماكان فى ثوب أو بساط أو درهم أو دينار أو فلس أو إناء أو حائط أو غيرها . قال ولا فرق فى هذا كله بين ما له ظل وما لا ظل له هذا تلخيص مذهبنا فى المسألة وبمعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين ومن بعدهم مذهب الثورى ومالك وأبى حنيفة وغيرهم . ا . هـ .

---

(١) نوح (٢٣) .

فتاوى هامة تتعلق بالتصوير

سئلت لجنة الفتوى بالسعودية « ورد لعن المصورين - بالكسر - فهل يشمل المصوَرين - بالفتح - وهل ورد فيهم دليل خاص »؟ .

الجواب : كما أن الأدلة وردت فى لعن المصورين وتوعدهم بالنار فى الدار الآخرة فكذلك الذى يقدم نفسه من أجل أخذ صورة له داخل فى ذلك قال تعالى : ﴿ **وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سمعتهم ءَايَات الله يُكْفَرُ بِهَا ويُستَهزأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حتى يَخُوضُوا فى حَدِيثٍ غَيْرِه إِنَّكُمْ إِذاً مثلُهُمْ** ﴾[1] وقال تعالى فى قصة ثمود ﴿ **كَذَّبَتْ ثَمُودُ بطغواها إِذِ انبعَثَ أَشْقَاهَا فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّه نَاقَةَ اللَّه وَسُقْيَاهَا فَكَذَّبُوهُ فعقروها فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِم فسوَّاها وَلاَ يَخافُ عُقْبَاهَا** ﴾[2] قال عبد الواحد بن زيد : قلت للحسن : يأبا سعيد أخبرنى عن رجل لم يشهد فتنة ابن المهلب إلا أنه رضى بقلبه قال : يابن أخى كهذا عقرت الناقة قال فعلت يد واحدة قال أليس قد هلك القوم جميعاً برضاهم وتساليهم رواه الإمام أحمد فى الزهد فهاتان الآيتان تدلان على أن الراضى بالفعل كالفاعل ولا يدخل فى ذلك من اقتضت الضرورة أن يأخذ صورة له . ا . هـ .

س : هل يجوز التصوير بالكاميرا « آلة التصوير » وهل يجوز التصوير بالتليفزيون وهل يجوز مشاهدة التليفزيون وخاصة فى الأخبار ؟

الجواب : لا يجوز تصوير ذوات الأرواح بالكاميرا أو غيرها من آلات التصوير ولا اقتناء صور ذوات الأرواح ولا الإبقاء عليها إلا لضرورة كالصور التى تكون بالتابعية أو جواز السفر فيجوز تصويرها والإبقاء عليها للضرورة إليها وأما التلفزيون فآلة لا يتعلق بها فى نفسها حكم وإنما يتعلق الحكم باستعمالها فإن استعملت في محرم كالغناء الماجن وإظهار صور فاتنة وتهريج وكذب وافتراء وإلحاد وقلب للحقائق ، إثارة الفتن إلى أمثال ذلك فذلك حرام وإن استعمل في الخير كقراءة القرآن وإبانة الحق والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلى أمثال ذلك فذلك جائز وإن استعمل فيهما (أى فى الحلال والحرام) فالحكم

---

(١) النساء (١٤٠) . (٢) الشمس (١١...١٥)

التحريم إن تساوى الأمران أو غلب جانب الشر فيه أ . هـ .

وسئل الشيخ ابن باز حفظه الله عن التصوير الفوتوغرافى الشمسى وشراء المجلات والجرائد المليئة بالصور والنظر إلى التلفاز .

فأجاب : أولا : التصوير الفوتوغرافى الشمسى من أنواع التصويرالمحرم فهو والتصوير عن طريق النسيج والصبغ بالألوان والصور المجسمة سواء فى الحكم والاختلاف فى وسيلة التصوير وآلته لا يقتضى اختلافاً فى الحكم وكذا لا أثر للاختلاف فيما يبذل من جهد فى التصوير صعوبة وسهولة فى الحكم أيضاً وإنما المعتبر الصورة فهى محرمة وإن اختلفت وسيلتها وما بذل فيها من جهد .

ثانيا: ظهور صورتى فى مجلتى المجتمع والاعتصام مع فتواى فى أحكام الصيام فى شهر رمضان ليس دليلاً على إجازتى التصوير ولا على رضاى به فإنى لم أعلم بتصويرهم إياى .

ثالثا : المجلات والجرائد التى بها أخبار مهمة ومسائل علمية نافعة وبها صور لذوات الأرواح يجوز شراؤها والانتفاع بما فيها من علم مفيد وأخبار مهمة لأن المقصود منها ما فيها من العلم والأخبار والصور تابعة والحكم يتبع الأصل المقصود إليها دون التابع ويجوز وضعها فى المصلى مع إخفاء ما فيها من الصور بأى شكل لينتفع بما فيها من مقالات أو طمس رؤوس الصور بما يذهب معالمها .

رابعا : لا يجوز وضع التلفاز فى المصلى لما فيه من اللهو الباطل ولا يجوز النظر إلى ما فيه من الصور العارية والخليعة وقد صدرت فتوى فى حكم التلفاز وما يتعلق به من سماع ونظر إلى ما فيه وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم . أ . هـ .

حكم الموسيقى والغناء

يحرم الغناء إذا اشتمل على محرم أو دعا إليه كتشبيب بمعين وهجاء وتشبه بالنساء وتهييج لفاحشة ولحوق بأهل الخلاعة والمجون وصرف الوقت إليه فضاعت بسبب ذلك

المصالح والواجبات وكذلك يحرم إذا اشتمل على المعازف فعند البخارى عن أبى مالك الأشعرى أنه سمع النبى ﷺ يقول « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر (أى الزنى) والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة لهم - يأتيهم - يعنى الفقير لحاجة فيقولوا ارجع إلينا غداً فيبيتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة » وقد أورده البخارى فى كتاب الأشربة « باب ما جاء فيمن يستحل الخمر ويسميه بغير اسمه » وقد استدل العلماء من الصحابة فمن بعدهم على حرمة الغناء بعدة أدلة منها قوله تعالى ﴿ **وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ** ﴾ (١) وصوته كما قال المفسرون هو الغناء والباطل ﴿ **أفمن هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ . وتضحكون وَلاَ تَبْكُونَ . وَأَنتُمْ سَامِدُونَ** ﴾(٢) قال ابن عباس وعكرمة السمود هو الغناء وذلك فى لغة حمير يقال إسمد لنا أى غنى لنا . أيضاً قوله تعالى ﴿ **ومن الناس من يشترى لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً** ﴾ ولهو الحديث أيضاً هو الغناء كما قال ابن مسعود وغيره . قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : الغناء والعزف مزمار الشيطان . وقال الإمام مالك : الغناء إنما يفعله الفساق عندنا . وقال الإمام أحمد : الغناء ينبت النفاق فى القلب فلا يعجبنى : وقال أصحاب الإمام أبى حنيفة استماع الأغانى فسق . وكان العلماء يردون الجارية المغنية بالعيب ووصفوا المغنين بوصف المخانيث وأجاز الإمام أبو يوسف دخول الدار التى ينبعث منها الغناء لإنكار المنكر الذى فيها ودون استئذان . وقد كان العلماء يفسقون المغنى ويردون شهادته وكانوا يطلقون عليهم وصف مخانيث بل وكان القانون المصرى لا يقبل شهادته هو والممثل وذلك حتى سنة ١٩٣٨ ثم ألغيت هذه المادة من القانون . وقد شاع الغناء شيوعاً ينذر بالخطر فعن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال « سيكون فى آخر الزمان خسف وقذف ومسخ قيل ومتى ذلك يا رسول الله قال إذا ظهرت المعازف والقينات » والقينات (المغنون والمغنيات) وأعظم من ذلك استحلال المعازف (وهى آلات الطرب واللهو) فالموسيقى التى تشبب النفوس وتدعوالمواقعة الفواحش حرام

---

(١) الإسراء (٦٤) .

(٢) النجم (٦١) .

باتفاق العلماء وجملتها محرمة على قول جمهور العلماء . **شبهات** : ومن الشبهات الواهية التى استند إليها البعض فى ترويج الغناء والموسيقى حدوث طرب للنفس وراحة للقلب ومعلوم أن العبرة بما جاء في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإلا فالنفوس المريضة قد تستلذ بالزنا والقلوب العمياء قد تطرب لشرب الخمر فهل نبيح الزنا والخمر لأجل ذلك قال تعالى : ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً** ﴾ (١) بل لا يصح رد الحكم لعرف أو واقع أو معتاد أو رأى أو هوى ﴿ **وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُبِيناً** ﴾ (٢) وقال البعض الموسيقى الخفيفة يستخدمها الأطباء فى العلاج ولو تدبرنا لوجدنا أن الله لم يجعل شفاء الأمة فيما حرم عليها وقال النبى ﷺ تداووا عباد الله ولا تداووا بحرام ولما سئل عن الخمر تصنع للدواء قال إنها داء وليست بدواء . ومسلك الأطباء هذا شبيه بمسلكهم فى نصح المرضى النفسانيين بمشاهدة برامج التلفزيون الخليعة ومصاحبة الفتيات بزعم الترويح عن النفس بل البعض لا يبالى إن كان الدواء عبارة عن خمر أم لا وفريق كبير يتعاطى الدخان مما يكون أسوة سيئة لبقية الناس والحاصل من ذلك أن الشرع حكمٌ على العباد جميعاً فلا عبرة بقول طبيب لم يعرف من الدنيا إلا ما جاء فى كتب الطب حتى وإن كانت كتبت بأيدى أناس لا خلاق لهم علينا بأخذ النافع منها وترك كل ما هو ضار وفاسد وضابطنا فى ذلك هو كتاب الله وسنة رسوله ﷺ . ومن أوهى الشُبه الرائجة والتى يذيعها علماء السوء من هذه الأمة غناء الجاريتين للسيدة عائشة رضى الله عنها ولا ندرى وجه الشبه والعلاقة بين غناء جاريتين صغيرتين بحرب بعاث وهى الحرب التى دارت بين الأوس والخزرج ومافيها من شجاعة ومروءة . وكان ذلك فى يوم عيد بغناء ينبعث من أشباه الرجال ونساء متهتكات وبكلام فاسد لا يخفى على أحد وبمصاحبة الموسيقى وبمناسبة وغير مناسبة وفى حفلات مختلطة ماجنة فالغناء الموجود الآن وعلى هذا النحو لا يختلف على حرمته اثنان ولا يصح قياسه على غناء الجاريتين ولا يجوز التهافت على الأقوال الساقطة فى هذه المسألة كقول ابن حزم فقد رد عليه غير واحد من

---

(١) النساء (٦٥) . (٢) الأحزاب (٣٦) .

العلماء كابن القيم وابن الصلاح وقديماً قالوا وماكل خلاف جاء معتبراً وقالوا لكل جواد كبوة ولكل عالم زلة . وأحاديث النهى صحيحة والأمة مهددة بالعقوبات إذا ظهرت الملاهى وارتكبت المعاصى .

صور مباحة من الغناء

قال السفارينى فى غذاء الألباب ص ١٤٥ « قلت المذهب الإباحة من غير كراهة لما تظافرت به الأخبار وتظاهرت به الآثار من إنشاد الأشعار والحداء فى الأسفار . وقد ذكر بعض العلماء الإجماع على إباحة الحداء قال الحافظ ابن حجر فى شرح البخارى نقل ابن عبد البر الاتفاق على إباحة الحداء قال وفى كلام بعض الحنابلة إشعار بنقل خلاف فيه ومانعه محجوج بالأحاديث الصحيحة وقال ويلتحق بالحداء غناء الحجاج المشتمل على التشوق إلى الحج بذكر الكعبة وغيرها من المشاهد ونظيره ما يحرض أهل الجهاد على القتال ومنه غناء المرأة لتسكين الولد فى المهد ا . هـ . وقد ثبت عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يحدى له فى السفر وأن أنجشة كان يحدو بالنساء والبراء بن مالك يحدو بالرجال فقال رسول الله ﷺ يا أنجشة كيف سوقك بالقوارير وفى مسند الإمام أحمد حدثنا حماد عن يزيد بن سلمة يعنى ابن الأكوع رضى الله عنه قال كان عامر رجلاً شاعراً فنزل يحدو قال يقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فاغفر فداء لك مااقتفينا * وثبت الأقدام إن لاقينا
وألقين سكينة علينا * إنا إذا صيح بنا أتينا
وبالصياح عولوا علينا

فقال رسول الله ﷺ من هذا الحادى قالوا ابن الأكوع قال يرحمه الله قال فقال رجل وجبت يا رسول الله لولا امتنعنا به فأصيب الحديث رواه البخارى . قال العلماء والإبل تزيد فى نشاطها وقوتها بالحداء فترفع آذانها وتلتفت يمناها ويسراها وتنتحب فى مشيها ا . هـ .

و قال الألباني في آداب الزفاف ص ٩٣ « ويجوز له أن يسمح للنساء في العرس بإعلان النكاح بالضرب على الدف فقط وبالغناء المباح الذى ليس فيه وصف الجمال وذكر الفجور وفي ذلك أحاديث :

الأول : عن الربيع بنت معوذ قالت : جاء النبي ﷺ يدخل حين بنى علي فجلس على فراشي مجلسك مني (الخطاب للراوى عنها) فجعلت جويرات لنا يضربن بالدف (وهو الذى لا جلاجل فيه) ويندبن من قتل من آبائي يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم مافي غد فقال : دعي هذه وقولي بالذى كنت تقولين » رواه البخارى والبيهقي والمحاملي وغيرهم .

الثاني : عن عائشة أنها زفت امرأة إلى رجل من الأنصار فقال نبي الله ﷺ : « ياعائشة ما كان معكم لهو فإن الأنصار يعجبهم اللهو وفي رواية بلفظ : فقال : فهل بعثتم معها جارية تضرب بالدف وتغني ؟ قلت : تقول ماذا ؟ قال تقول :

أتيناكم أتيناكم — فحيونا نحييكم

لولا الذهب الأحمر — ماحلت بواديكم

لولا الحنطة السمراء — ماسمنت عذاريكم

رواه الطبراني وسكت عليه في الفتح وفيه ضعف وله طريق يتقوى بها .

الثالث : عنها أيضا : « أن النبي ﷺ سمع ناساً يغنون في عرس وهم يقولون :

وأهدى لها أكبش — يبحبحن في المربد

وحبك في النادى — ويعلم مافي غد

وفي رواية

وزوجك في النادى — ويعلم مافي غد

قالت : فقال رسول الله ﷺ : « لا يعلم مافي غد إلا الله سبحانه » أخرجه الطبراني والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي .

الرابع : عن عامر بن سعد البجلى قال : دخلت على قرظة بن كعب وأبى مسعود وذكر ثالثاً ـ ذهب علي ـ وجوارى يضربن بالدف ويغنين فقلت : تقرون على هذا وأنتم أصحاب محمد ﷺ ؟ قالوا : إنه قد رخص لنا فى العرسات والنياحة عند المصيبة ـ وفى رواية وفى البكاء على الميت فى غير نياحة أخرجه الحاكم والبيهقى والسياق والرواية الأخرى له والنسائى والطيالسى .

الخامس : عن أبى بلج يحيى بن سليم قال : « قلت لمحمد بن حاطب : تزوجت امرأتين ماكان فى واحدة منهما صوت يعنى دفاً . فقال محمد رضى الله عنه : قال رسول الله ﷺ : « فصل ما بين الحلال والحرام الصوت بالدف » حسنه الألبانى ا . هـ . بتصرف . ولا يخفى عليك مافى سماع آيات القرآن من فضل وصلاح بعكس ما تحدثه الأبيات الملحنة من شر وفساد ﴿ **ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه** ﴾ (١) .

فتاوى هامة تتعلق بالموسيقى والغناء

سئلت لجنة الفتوى بالسعودية عن حكم الأغانى الدينيةوالوطنية وأغانى الأطفال وأعياد الميلاد ؟ .

فأجابت : العزف حرام مطلقاً والأغانى الدينية والوطنية وأغانى الأطفال إذا كانت مصحوبة بالعزف فهى محرمة وأما أعياد الميلاد فهى بدعة ويحرم حضورها والمشاركة فيها . ومن الأدلة على تحريم الأغانى والأناشيد المشتملة على العزف قول النبى ﷺ : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » رواه البخارى فى صحيحه مع أحاديث أخرى وردت فى هذا الباب . ا . هـ .

وسئل الشيخ ابن باز حفظه الله عن حكم الطبول مع الأناشيد ؟ .

فأجاب : لا نعلم شيئاً يبيح استعمال الطبول بل ظاهر الأحاديث الصحيحة يدل على تحريم استعمالها كسائر آلات الملاهى من العود والكمان وغيرهما ومن ذلك ما ثبت

---

(١) الأحزاب (٢٤)

عنه ﷺ أنه قال : « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » ولفظ المعازف يشمل الأغاني وجميع آلات اللهو . ا . هـ .

وسئلت اللجنة عن حكم الاستماع إلى الأغاني ؟ .

فأجابت : الاستماع إلى الأغاني المشتملة على شيء من أنواع الطرب محرم على كل من أصغى إليها رجلاً كان أم امرأة في بيته أو في غير بيته كالسيارات والمجالس العامة والخاصة لما له في ذلك من الاختيار والميل إلى المشاركة فيما حرمته الشريعة . قال الله تعالى : ﴿ **وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ** ﴾(١) وما ذكر السائل من الغناء هو من لهو الحديث فإنه فتنة للقلب يستهويه إلى الشر ويصرفه عن الخير ويضيع على الإنسان وقته دون جدوى فيدخل فى عموم لهو الحديث ويدخل من غنى ومن استمع إلى تلك الأغاني في عموم من اشترى لهو الحديث ليصرف نفسه أو غيره عن سبيل الله وقد ذم الله ذلك وتوعد من فعله بالعذاب المهين وكما دل القرآن بعمومه على تحريم الغناء والاستماع إليه دلت السنة عليه من ذلك قوله ﷺ: « ليكونن من أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف ولينزلن أقوام إلى جنب علم يروح عليهم بسارحة يأتيهم - يعنى الفقير - لحاجة فيقولون ارجع إلينا غداً فيبهتهم الله ويضع العلم ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة - رواه البخارى وغيره من أئمة الحديث . والمعازف اللهو وآلاتـه ومن ذلك الغناء والاستماع إليه فذم رسول الله ﷺ من يستحلون الزنا ولبس الرجال للحرير وشرب الخمور وآلات اللهو والاستماع لها وقرن المعازف بما قبلها من الكبائر وتوعد فى نهاية الحديث من فعل ذلك بالعذاب فدل على تحريم العزف وآلات اللهو والاستماع إليها أما السماع دون قصد ولا إصغاء كسماع من يمشى فى الطريق غناء آلات اللهو فى الدكاكين أو ما يمر به من السيارات ومن يأتيه وهو فى بيته صوت الغناء من بيوت جيرانه دون أن يستهويه ذلك فهذا مغلوب على أمره لا إثم عليه وعليه أن ينصح وينهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة ويسعى فى التخلص مما يمكنه التخلص منه وسعة. وفى

---

(١) لقمان (٢٦) .

حدود طاقته فإن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها أ .هـ .

وسئل الشيخ ابن باز حفظه الله عن حكم استماع بعض البرامج المفيدة كأقوال الصحف ونحوها التي تتخللها الموسيقى ؟ .

فأجاب : لا حرج في استماعها والاستفادة منها مع قفل المذياع عند بدء الموسيقى حتى تنتهي لأن الموسيقى من جملة آلات اللهو يسر الله تركها والعافية من شرها . ا .هـ .

وفي مختصر فتاوى دار الإفتاء المصرية أكثر من فتوى تتعلق بتحريم المعازف ومن الفتاوى الهامة الواردة بالكتاب للشيخ حسن مأمون ١٣٧٥ هـ - ١٩٥٦ م . والفتوى تتعلق بحكم تلحين القرآن تلحيناً موسيقياً وتصويره تصويراً فنياً ؟ والمبادىء التي قامت عليها الفتوى هي :

(١) المعلوم على القطع والبينات أن قراءة القرآن تلقيناً بلا تلحين ولا تطريب ولا ترجيع ولا غناء متواترة عن كافة المشايخ جيلاً فجيلاً إلى العصر الكريم إلى رسول الله ﷺ .

(٢) عدول المسلمين بعد القرن الأول الهجرى عن القراءة على هذا النحو يعتبر بدعة من أخطر البدع .

(٣) رأى العلماء في قراءة القرآن على صورة التلحين والغناء والتطريب المنع . وهذا يقتضي التحريم أيضاً بالأولى إخضاع القرآن للنغمات الموسيقية وقراءته قراءة مصحوبة بالآلات الموسيقية والتغني به ووقوع ذلك يعتبر تحريفاً للقرآن .

(٤) كتابة المصحف توقيفية لا يجوز إحداث تغيير فيها .

(٥) رسم الكتابة في المصحف تلقاه العلماء وحافظوا عليه ولم يرتضوا مخالفته وحرموا مخالفة خط مصحف عثمان .

(٦) مخالفة خط مصحف عثمان ليوافق قواعد الهجاء حرام فمن باب أولى كتابة المصحف وفيه صور تبين القصص الواردة فيه وتوضيحها .

(٧) تصوير قصص القرآن وإخراجها فنياً حرام باتفاق العلماء .

(٨) لا يجوز بحال طبع المصحف وفيه أى تغير في رسمه أو إضافة أى صورة إليه .

وقد ختم فضيلته الفتوى والتى ابتدأت ص ٢٤٧ حتى ص ٢٥٦ بقوله : فإن إباحة تصوير المصحف تنجم عنه مفاسد يجب منعها فإن تصوير قصة يوسف مثلا معناه أن يصور بعض الأنبياء صوراً لا تليق بمقام النبوة وهو مقام له قداسته وحرمته والاجتراء على مقام الأنبياء حرام باتفاق العلماء - وكذلك تصوير قصة آدم وحواء وخروجهما من الجنة وهبوطهما إلى الأرض وكشف سوأتهما مما لا يليق ولا يصح . وبعد فأية فائدة يمكن أن يحصل عليها المسلمون من الاجتراء على كلام رب العالمين الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فيلتق الله كل من يفكر فى إباحة تصوير المصحف فإن المسلمين بخير ماحافظوا على كتاب الله وهم على شرحال إذا ما تهاونوا فى المحافظة عليه ولذلك كله نرى أنه لا يجوز بحال أن يطبع المصحف وفيه أى تغير فى رسمه أو إضافة أى صورة إليه والله سبحانه وتعالى أعلم . ا.هـ .

حكم الرقص

قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾(١) قال ابن عباس : كانت قريش تطوف بالبيت عراة يصفقون ويصفرون فكان ذلك عبادة فى ظنهم والمكاء الصفير والتصدية التصفيق قال مجاهد والسدى وابن عمر رضى الله عنهم وقال قتادة المكاء ضرب بالأيدى والتصدية صياح . قال القرطبى : وعلى التفسيرين ففيه رد على الجهال من الصوفية الذين يرقصون ويصفقون وذلك كله منكر يتنزه عن مثله العقلاء ويتشبه فاعله بالمشركين فيما كانوا يفعلونه عند البيت ا . هـ .

وفى تفسير قوله تعالى ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سيئة عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً ﴾(٢) قال القرطبى : استدل العلماء بهذه الآية على ذم الرقص وتعاطيه قال الإمام أبو الوفا ابن عقيل : قد نص القرآن على النهى عن الرقص فقال : ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ﴾ وذم المختال والرقص أشد

---

١) الأنفال :(٣٥) .   (٢) الإسراء (٣٧)

المرح والبطر أولسنا الذين قسنا النبيذ على الخمر لا تفاقهما فى الاطراب والسكر فما بالنا لا نقيس القضيب وتلحين الشعر معه على الطنبور والمزمار والطبل لاجتماعهما فما أقبح من ذى لحية وكيف إذا كان شيبة يرقص ويصفق على إيقاع الألحان والقضبان وخصوصاً إن كانت أصوات لنسوان ومردان وهل يحسن لمن بين يديه الموت والسؤال والحشر والصراط ثم هو إلى إحدى الدارين يشمس (أى يشرد ويجمع) بالرقص شمس البهائم ويصفق تصفيق النسوان ولقد رأيت مشايخ فى عمرى ما بان لهم سن من التبسم فضلاً عن الضحك مع إدمان مخالطتى لهم وقال أبو الفرج ابن الجوزى رحمه الله : ولقد حدثنى بعض المشايخ عن الإمام الغزالى رضى الله عنه أنه قال : الرقص حماقة بين الكتفين لاتزول إلا باللعب ا . هـ .

وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لَن نَدْعُوَا مِن دُونِهِ إِلاَهًا لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴾(١) قال ابن عطية : تعلقت الصوفية فى القيام والقول بقوله: ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ قال القرطبى قلت : وهذا تعلق غير صحيح هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروا لما أولاهم من نعمه ونعمته ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم خائفين من قومهم وهذه سنة الله فى الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء . أين هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام وخاصة فى هذه الأزمان عند سماع الأصوات الحسان من المرد والنسوان هيهات بينهما والله مابين الأرض والسماء ثم هذا حرام عند جماعة العلماء ونقل ماقاله الإمام أبو بكر الطرسوسى وسئل عن مذهب الصوفية فقال : وأما الرقص والتواجد فأول من أحدثه أصحاب السامرى لما اتخذ لهم عجلاً جسداً له خوار قاموا يرقصون حواليه ويتواجدون فهو دين الكفار وعباد العجل . ا . هـ .

وبينما الحسن جالس إذ مر عليه ابن الأهيم يريد المنصو ـ وعليه جباب خز قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشى ويتبختر إذ نظر إليه الحسن نظرة فقال : أف أف شامخ بأنفه ثانى عطفة مصعر خده ينظر فى عطفيه أى حميق ينظر

---

(١) الكهف (١٤) .

فى عطفه فى نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير المأخوذ بأمر الله فيها ولا المؤدى حق الله منها والله أن يمشى أحدهم طبيعته يتلجلج تلجلج المجنون فى كل عضومنه نعمة وللشيطان به لعنة فسمعه ابن الأهتم فرجع يعتذر إليه فقال لا تعتذر إلى وتب إلى ربك أما سمعت قول الله تعالى : ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الجِبَالَ طُولاً ﴾ (١) ورأى ابن عمر رجلاً يخطر فى مشيته فقال إن للشياطين إخوانا . وخلاصة القول عدم جواز الرقص للرجال فهو منهم خنوثة وميوعة تتنافى مع الرجولة الحقة وهو من التشاء دعوة صريحة لمواقعة الفواحش وهو أفضح من تبرج الجاهلية الذى عابه رب العزة جل وعلا فقال : ﴿ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَةِ الأُولَى ﴾(٢) قيل كانت المرأة تسير مسفحة بصدرها وسط الرجال أو أنها كانت تظهر خصلة من خصلات شعرها :وقال تعالى ﴿ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَايُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ (٣)، والرقص أشد من ذلك بكثير ففيه تتكشف المرأة وتبرز مفاتنها وتأتى من الحركات ما تستثير به قلوب الرجال قال تعالى : ﴿ وَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾ (٤) فمجرد إمالة صوتها ولينه قد يدعو للطمع فيها ممن فى قلبه مرض شهوة فكيف بالرقص والأوامر الشرعية فى حق النساء تحض على الصيانة والتحجب والتستر والبعد عن مواطن الرجال وأماكن الريب والشر والفساد ولذلك فهى إذا طافت بالكعبة لا ترمل كما يصنع الرجل إذا طاف بالكعبة ولا تهرول إذا سعت بين الصفا والمروة بين الميلين الأخضرين وكل ذلك لئلا تتكشف فهل يجوز لها بعد ذلك أن ترقص سواء أطلق عليه اسم الرقص الشعبى أو الباليه أو غير ذلك فكل هذا حرام حتى وإن أطلق فريق من الناس على بعض صوره اسم الفن الراقى وقد أجاز الشيخ ابن باز رقص المرأة لزوجها وذلك لأن تتكشف المرأة لزوجها واستثارتها له أمر لا بأس به .

---

(١) الإسراء (٣٧) (٢) الأحزاب (٣٣) (٣) النور (٣١)
(٤) الأحزاب (٣٢)

حكم التمثيل

يقول العلماء الحكم على الشيء فرع عن تصوره ، والعارف بالتمثيل ومايدور فيه ولا ينفك عنه لا بد وأن يقطع بحرمته وقد مر بنا أن القانون المصرى حتى عام ١٩٣٨ كان يفسق المغنى والممثل ويرد شهادة كليهما . والعبرة عندنا بما جاء فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ والناظر إلى التمثيل سيجده من جملة البدع المحدثة ومعلوم أن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار وقد استخدمه الملاحدة وأعداء الإسلام لإشغال وإلهاء هذه الأمة عن دينها وعن مهمتها وفيه نوع من التشبه بالكفار فى صنيعهم وقد صح عن النبى ﷺ أنه قال : « لتركبن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه وحتى لو أن أحدهم جامع أمه لفعلتم » وقال أيضا : « ليحملن شرار هذه الأمة على سنن الذين خلوا من أهل الكتاب حذو القذة بالقذة » رواه أحمد والطبرانى وفى الحديث « من تشبه بقوم فهو منهم » رواه أحمد وأبو داود وهو نوع من قلة والإخلال بالمروءة دلالة على السفه وقلة العقل . فتارة يجعل الممثل نفسه حماراً يمشى على أربع وينهق نهيق الحمير وتارة يجعل نفسه كلباً يعوى وأخرى مجنوناً أو امرأة أو سكراناً ومن عجيب الأمرأن البعض يطلق على أمثال هؤلاء اسم الأستاذ الكبير والمربى القدير ومعلوم أن الحياء والإيمان مقرونان لا يفترقان إلا جميعاً وإذا رفع أحدهما رفع الآخر ومما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ماشئت وفى التمثيل إضاعة للأموال والأوقات فى غير مصلحة أو منفعة شرعية وعادة لا يتم إلا بالليل وذلك بعد العشاء وفى الصحيح من حديث أبى برزة أنه ﷺ « كان يكره النوم قبل العشاء والحديث بعدها » فليس هو من السمر المأذون فيه .

ومن مستلزمات التمثيل وصل الشعر فى الرأس تارة وفى الوجه أخرى وفى الحديث « لعن الله الواصلة والمستوصلة » متفق عليه فإذا كانت المرأة التى تستعمل الباروكة لزوجها للتزين له ملعونة فكيف بالرجل الذى يستعمله لمجرد اللهو واللعب . ولا ينفك أيضاً عن نتف شعر الوجه وتحسينه وتلميعه فعن ابن مسعود رضى الله عنه قال : « لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله فقالت له

امرأة في ذلك قال : ومالي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله قال الله تعالى ﴿ وَمَاءَاتَاكُم الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنهُ فَانتَهُوا ﴾ (١). متفق عليه . والوشم عبارة عن دق الصور على الوجه ونحوه والنمص عبارة عن إزالة شعر الحواجب أو الأخذ منها والمتفلجات أى اللاتي يصنعن فلجة بين الأسنان إظهاراً للحسن وللصغر . وهذه صور من صور التغيير لخلق الله. قال تعالى حكاية عن إبليس أنه قال ﴿ ولآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيرُنَّ خَلْقَ الله ﴾(٢) والتمثيل عبارة عن غيبة محرمة فقد روى أبو داود والترمذى وقال حسن صحيح من حديث عائشة رضى الله عنها قالت وحكيت له ـ تعنى النبي ﷺ ـ إنساناً فقال « ما أحب أن حكيت لى إنسانًا وأن لى كذا وكذا » فنهاها النبى ﷺ عن حكاية إنسان وذكر لها أنه لايحب ذلك منها وأن له كذا وكذا إشارة إلى عظم الأمر وشدة حرمته . وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت للنبى ﷺ : « حسبك (أى كافيك) من صفية كذا وكذا قال بعض الرواة تعنى أنها قصيرة فقال : « لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته » صححه الألبانى وروى مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « أتدرون ما الغيبة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال : ذكرك أخاك بما يكره قيل : أفرأيت إن كان في أخي ماأقول ؟ قال : إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته . وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته » وفى رواية أخرى قال النبى ﷺ « الغيبة ذكرك أخاك بما يكره» ومن هنا نعلم حد الغيبة المحرمة وهى ذكرك أخاك بما فيه من خلقه وبما يكره .. وما التمثيل إلا حكاية أقوال وأفعال الآخرين يقلدون المشى والأكل وأسلوب التكلم تفكها وسخرية واستهزاءً وأدهى من ذلك وأمرماهو شائع هذه الأيام مما يسمى بـ (الأفلام الكوميدية) فإن الممثل فيها يوظف كلماته وأفعاله لتقليد الآخرين مما يدخل السرور بالباطل فى نفوس الناس غير مبالين بالعاقبة الوخيمة التى تجرها هذه المعاصى منها : تربية الأبناء تربية غير لائقة وتخريج الأجيال المستهترة المستهزئة والتى لا تحمل هموم الأمة ولاتسأل عن شئونها وهذه الأفلام ـ و للأسف ـ منتشرة انتشارا واسعا سواء كان ذلك مما يسمى بـ (دور السينما) والتليفزيون أو الفيديو أو المسرح . ولا يخفى عليك أن المستمع للغيبة والمغتاب سواء فبعد أن رُجم ماعز الأسلمى سمع رسول الله ﷺ

(١) الحشر (٧) . (٢) النساء (١٠٩).

رجلين من الأنصار يقول أحدهما لصاحبه : انظر إلى هذا الذى ستر الله عليه فلم يدع نفسه حتى « رُجم رجم الكلب قال : فسكت رسول الله ﷺ ثم سار ساعة فمر بجيفة حمار شائل برجله فقال : أين فلان وفلان ؟ قالوا : نحن ذا يارسول الله فقال لهما : كُلا من جيفة هذا الحمار ؟ فقالا : يا رسول الله غفر الله لك من يأكل من هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : مانلتما من عرض هذا الرجل آنفًا أشد من أكل هذه الجيفة والذى نفسي بيده إنه الآن فى أنهار الجنة ينغمس فيها . فالقائل شخص واحد والثانى استمع له . ثم ماذا كانت النتيجة قال رسول الله ﷺ : كلا من جيفة هذا الحمار ثم قال لهما « مانلتما من عرض هذا الرجل آنفاً أشد من أكل هذه الجيفة وقال سبحانه فى حق عباده المؤمنين ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ ﴾ (١) ولما قال رجل من بنى سلمة عن كعب بن مالك وكان قد تخلف عن الخروج فى غزوة تبوك ـ حبسه برداه والنظر فى عطفيه فقال معاذ بن جبل رضى الله عنه : بئس ماقلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيراً فسكت رسول الله ﷺ . فالتمثيل عبارة عن احتقار وسخرية واستهزاء بالمسلمين ولذلك تراهم لا يمثلون من يجلونه أو يخافون سطوته من الملوك الأحياء لأن القانون يمنعهم من ذلك وإنما يمثلون من الأحياء من يريدون إهانته أو الملوك الأقدمين الذين لا يمنعهم القانون من تمثيلهم كملوك بنى أمية وبنى العباس وكل هذاحرام قال تعالى ﴿ يأيها الَّذِينَ ءَامَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ ﴾(٢) وقال رسول الله ﷺ : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره. بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله » رواه مسلم .» والكبر هو بطر الحق وغمط الناس » رواه مسلم أى احتقارهم وهو أيضا من إذاية المسلمين وتتبع عوراتهم ونشرها بين الجمهور قال تعالى : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير مااكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾(٣) ولا يشفع للممثل أن يعتذر بأنه ذكر الحقيقة وما هو موجود فإنه لما قيل للنبى ﷺ : أفرأيتَ إن كان فى أخي ماأقول ؟ قال : « إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته » رواه مسلم وفى الحديث « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه »

---

(١) القصص (٥٥) . (٢) الحجرات (١١) .

(٣) الأحزاب :(٥٨) .

متفق عليه وقالت عائشة رضيَ الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « لا تسبوا الأموات فإنهم أفضوا إلى ماقدموا » وهو مخرج في الصحيح . هذا في مجرد الأموات فكيف بأموات السلف الصالح لاسيما العلماء والصالحون منهم الذين أمرنا بتعظيمهم واحترامهم والدعاء لهم على أسبقيتهم للإيمان وخدمتهم للدين .

التمثيل الدينى

وقبل أن نذكر حكمه طبقاً للأمور التى لا ينفك عنها نشير إلى خطورة إضافة الدين لمعان ساقطة حرص أعداء الإسلام على الترويج لها كالاشتراكية والديمقراطية والفن فسمعنا من يقول بالاشتراكية الإسلامية والفن الإسلامى والتمثيل الدينى وقد أمرنا ربنا جل وعلا أن نسمي الأشياء بأسمائها فالاشتراكية نظام كفرى وضعه الملاحدة وإضافته لدين الله نوع من التلبيس والتزوير والترويج للباطل بشعارات الحق وفيه تمويه على العامة وكذلك الأمر بالنسبة للتمثيل فله حكمه فى شرع الله تعالى وإضافة الدين له يضفى عليه نوعاً من الهيبة والاحترام والترويج وكل هذا أيضاً ما هو إلا تزوير وتدليس فتراهم يمثلون علماء الإسلام ويلصقون بوجوههم اللحى المصطنعة فى حالة تدل على الاحتقار والإهانة مما يترتب عليه إهانة العلم والدين وقد حكم الإمام أحمد بكفر من قال لعمامة العالم عميمة بقصد الإهانة والاستخفاف وما ينجر بسبب ذلك من استخفاف بالعلم الشرعى الذى يحمله وقد قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه » وقد ورد من طرق متعددة ويقول الشافعي رحمه الله : إذا لم يكن العلماء بأولياء لله فليس لله ولىّ وفى الحديث القدسىّ « من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب » رواه البخارى . بل قد جرهم التمثيل والجرأة على الله تعالى إلى تمثيل أنبياء الله تعالى ورسله كموسى وعيسى ويوسف عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام بل لم تقف بهم الجرأة عند حد عندما مثلوا الله جل وعلا وتقدس وتنزه عن المثيل ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البصير ﴾ (١) وكذلك يدعوهم التمثيل إلى الكفر بالله جهاراً فترى الممثل يتقمص شخصية يهودى أو نصرانى أو مجوسى أو ملك كافر أو فرعون من

---

(١) الشورى (١١)

الفراعنة أو شيطان من الشياطين فينطق بكلمات الكفر ومعلوم أن الرضى بالكفر كفر والقرآن عندما حكى لنا أقوال الكفرة كان على سبيل دحضها والرد عليها وروى ابن ماجة من حديث أنس قال : سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقول « أنا يهودى » فقال رسول الله ﷺ « وجبت » والتمثيل مع كل هذا كذب وزور وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا ائتمن خان » وروى أبو داود وغيره من حديث عبد الله بن عامر قال : دعتنى أمى يوماً ورسول الله ﷺ قاعد فى بيتنا فقالت ها تعالى أعطيك فقال لها رسول الله ﷺ : أما إنك لو لم تعطه شيئاً كتبت عليك كذبة » وفى الحديث « أنا زعيم بيت فى وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازحاً » رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه . وبين النبى ﷺ أن من علامات الساعة كثرة الكذب . ثم هم يحلفون بالله على ذلك الكذب فى الدور الواحد مراراً وهذا ما يطلق عليه اسم اليمين الغموس أى الذى يغمس صاحبه فى الإثم وهو من جملة الكبائر . وكذلك فالتمثيل يكثر فيه الكلام فيما لا يعنى وفى الحديث « لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغيرذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسى » رواه الترمذى وحسنه وإذا لم تحضر فيه النساء تشبه بهن بعض الممثلين فى اللباس والكلام والحركات والتخنث حتى كأنه امرأة وفى حديث ابن عباس قال : « لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال » رواه البخارى وفى حديث أبى هريرة قال : « لعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم . ووجود النساء الممثلات مع الرجال فيه من الشر والفساد مالا يخفى على أحد بل هو كذلك يوقع الممثلين والمتفرجين فى كبيرة النظر وقد قال جابر بن عبد الله : سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة فقال : « اصرف بصرك » رواه مسلم وقال لعلى : « لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الثانية » رواه أبو داود والترمذى . وقد تنضاف الموسيقى والغناء فيزاد الطين بلة والمتفرج شريك الممثل فى الإثم والذنب لإقراره بالغيبة ولإنفاق المال فى الباطل والحرام ولهذا الاختلاط المريب الذى يحدث بين النساء والرجال ولإطلاق البصر فيما يغضب الله تعالى . وهكذا أصبح التمثيل أداة لنشر الفسق والفجور وإشاعة للفحش

والتفحش وتربية للأجيال على معانى الأسوة السيئة المتمثلة فى الممثلين والممثلات الذين يقودون الأمة إلى حتفها وهلاكها ويحلو للبعض أن يبرر هذا الضياع بتبريرات سمجة مثل قولهم : التمثيل وسيلة من وسائل الدعوة ولا يخفى عليك أنها وسيلة محرمة لما مر بك من أدلة وبراهين ثم وكأن هؤلاء عدموا الوسائل المشروعة للدعوة من كتابة وخطابة ودروس وإعطاء للقدوة الحسنة والمثل الطيب بالفعل قبل القول والوصول بالدعوة إلى الأفراد والجماعات فى كل حقل ومجال وبذل الوسع فى ذلك كما كان الحال على عهد خير القرون بل استدل البعض ظلماً وزوراً على الترويج لهذا المنكر بقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه وماشابه ذلك من قصص لاعلاقة لها من قريب أو بعيد بما يحدث فى التمثيل الدينى أو غيره ومعلوم أن قصص القرآن كله حق وصدق لا كذب فيه ولا فحش ولا تزوير معه . وقد راج هذا التمثيل على قطاعات كبيرة من الناس لما يرونه من نهاية مؤلمة للباطل فى زعمهم ويكونون قبل رؤية هذه النهاية قد شاهدوا صور العرى والخلاعة وكلمات الكفر والضلال دون نكير وهم فى أحسن أحوالهم يتشربون السم فى العسل كحالة من يذهب للعرافين والكهان لأنهم صدقوا يوم كذا ويتناسى أنهم كذبوا مائة مرة معها وإذا كان درأ المفاسد مقدم على جلب المصالح فالواجب علينا الانتهاء عن التمثيل الدينى وغيره والانتهاء كذلك عن مشاهدة هذا الفساد والترويج له .

قرار مجلس المجمع الفقهى الإسلامى المنعقد بمكة المكرمة بشأن تصوير (تمثيل) النبى ﷺ وسائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

القرار السادس ص ١٦٧ (إن مقام النبى ﷺ مقام عظيم عند الله تعالى وعند المسلمين وإن مكانته السامية ومنزلته الرفيعة معلومة من الدين بالضرورة فقد بعثه الله تعالى رحمة للعالمين وأرسله إلى خلقه بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً وقد رفع ذكره وأعلى قدره وصلى عليه وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة والسلام عليه فهو سيد ولد آدم وصاحب المقام المحمود ﷺ . وإن الواجب على المسلمين احترامه وتقديره وتعظيمه التعظيم اللائق بمقامه ومنزلته عليه الصلاة والسلام فإن أى امتهان له أو تنقص من قدره يعتبر كفراً وردة عن الإسلام والعياذ بالله تعالى وإن تخييل شخصه

الشريف بالصور سواء كانت مرسومة متحركة أو ثابتة وسواء كانت ذات جرم وظل أوليس لها ظل وجرم كل ذلك حرام لا يحل ولا يجوز شرعاً فلا يجوز عمله وإقراره لأى غرض من الأغراض أو مقصد من المقاصد أو غاية من الغايات وإن قصد به الامتهان كان كفراً . لأن في ذلك من المفاسد الكبيرة والمحاذير الخطيرة شيئاً كثيراً وكبيراً وأنه يجب على ولاة الأمور والمسئولين ووزارات الإعلام وأصحاب وسائل النشر منع تصوير النبى ﷺ صوراً مجسمة وغير مجسمة فى القصص والروايات والمسرحيات وكتب الأطفال والأفلام والتلفاز والسينما وغير ذلك من وسائل النشر ويجب إنكاره واتلاف مايوجد من ذلك . وكذلك يمنع ذلك فى حق الصحابة رضى الله عنهم فإن لهم من شرف الصحبة والجهاد مع رسول الله ﷺ والدفاع عن الدين والنصح لله ورسوله ودينه وحمل هذا الدين والعلم إلينا ما يوجب تعظيم قدرهم واحترامهم وإجلالهم ومثل النبى ﷺ سائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيحرم فى حقهم ما يحرم فى حق النبى ﷺ . لذا فإن المجلس يقرر بأن تصوير أى واحد من هؤلاء حرام ولا يجوز شرعاً ويجب منعه وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ا . هـ .

وبعد ....

فقد تعرضنا لبعض صور الفنون وذكرنا حكم كل صوزة من هذه الصور ولسنا من هواة تحريم الحلال على الناس ونعوذ بالله أن نكون ممن يحل الحرام للخلق . وفى الحلال مندوحة وسعة عن الحرام ، والإسلام هو دين المثالية والواقعية فى وقت واحد وبلا تعارض أو تناقض فمن رحمة الله بعباده أنه لم يتعامل مع خلقه على أنهم ملائكة أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع بل هم بشر يصيبون ويخطئون ، يأكلون ويشربون ، يصلون ويصومون وفى ذات الوقت يفرحون ويمرحون وينزلون فى ذلك كله على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ . فقد روى الإمام مسلم عن حنظلة الأسيدى رضى الله عنه قال « لقينى أبو بكر فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة !! قال سبحان الله ما تقول ؟ قلت نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنه رأى عين فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا (أى لاعبنا) الأزواج والأولاد والضيعات فنسينا

كثيراً قال أبو بكر : فوالله إنا لنلقى مثل هذا. قال حنظلة : فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت نافق حنظلة يارسول الله . فقال رسول الله ﷺ وماذاك ؟ قلت يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ونسينا كثيراً . قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده : إنكم لو تدومون على ما تكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم ، ، ولكن ياحنظلة ساعة وساعة ــ وكرر هذه الكلمة ساعة وساعة ثلاث مرات » وكان ﷺ يقول « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن » رواه أبو داود . وكان ﷺ ألين الناس ضحاكاً بساماً يمزح ولا يقول إلا حقاً ومما روى فى مزاحه أن امرأة عجوزاً جاءته تقول له : يارسول الله . ادع الله لى أن يدخلنى الجنة : فقال لها : « يأم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز » فبكت المرأة فبين النبى ﷺ لها أن العجوز لن تدخل الجنة عجوز بل ينشئها الله خلقاً آخر فتدخلها شابة بكراً وتلا عليها قوله تعالى : ﴿ إنا أنشأناهن إنشاءً فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً ﴾ وقال على ابن أبى طالب رضى الله عنه : إن القلوب تمل كما تمل الأبدان لها طرائف الحكمة . وقال : روحوا القلوب ساعة بعد ساعة فإن القلب إذا أكره عمى . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه : إنى لأستجم نفسى بالشىء من الباطل ليكون أعون لها على الحق . والمقصود بذلك شىء من اللهو المباح الحلال يكون بمثابة الملح للطعام وهو أليق بالنساء والصغار وحديثى العهد بمعرفة الإسلام وقد ذكرنا صوراً من الرياضات النافعة التى يحرص عليها المسلم لتحصيل أسباب القوة . ولكل مقام مقال والواجبات كثيرة فاحرص على الجمع بين المصالح .

حكم الأماكن المشهورة

لم تقتصر الشهرة على الأشخاص والعلوم والفنون بل تعدت ذلك كله إلى البقاع والجبال والآثار والقبور والمشاهد ونحو ذلك مما يحرص الناس على ارتياده وزيارته وشد الرحال إليه . بل وكثير من الأماكن المشهورة له قدسية خاصة عند كثير من الشعوب وكل ذلك له حكمه فى دين الله ونحن نذكر بإذن الله تعالى بعض المسائل والصور التى تتعلق بهذه القضية الهامة .

(١) إدراك السنن الربانية

فلله تعالى سنن فى خلقه أرشدنا إليها وطلب منا التعامل معها قال تعالى ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١) و قال سبحانه ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾(٢) وقال جل وعلا : ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾(٣) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَواْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ . حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّواْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلاَ يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ . لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٤).

﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴾(٥) ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴾(٦) والآيات فى هذا المعنى كثيرة وكلها تؤيد أن الحوادث متشابهة والمواقف متماثلة والتاريخ هو الذى يكشف عن هذه السنن التى هى غاية فى الدقة والعدل والثبات وهذه الفائدة من أهم ثمرات دراسة التاريخ . والسير فى الأرض لأخذ العظة والعبرة أمر شرعى دل عليه هذه النصوص التى ذكرنا وغيرها . وفى تفسير قوله تعالى ﴿ ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغماً كثير وسعة ﴾ ذكر القرطبى نقلاً عن ابن العربى أن العلماء قسموا الهجرة إلى قسمين هجرة هروب وهجرة طلب وأن هجرة الهروب ستة أقسام :

(١) الهجرة من دار الحرب إلى دار الإسلام وكانت فرضاً أيام النبى ﷺ وهى باقية

---

(١) آل عمران (١٣٧) . (٢) فاطر (٤٣) .
(٣) غافر : (٨٥) . (٤) يوسف (١٠٩ ، ١١٠، ١١١)
(٥) النمل (٦٩) . (٦) محمد (١٠)

مفروضة إلى يوم القيامة والتى انقطعت بالفتح هى القصد إلى النبى ﷺ حيث كان فإن بقي في دار الحرب عصى ويختلف في حاله .

(٢) الخروج من أرض البدعة . قال ابن القاسم سمعت مالكاً يقول : لا يحل لأحد أن يقيم بأرض يسب فيها السلف . قال ابن العربى : وهذا صحيح فإن المنكر إذا لم تقدر أن تغيره فزل عنه قال تعالى ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ﴾(١).

(٣) الخروج من أرض غلب عليها الحرام فإن طلب الحلال فرض على كل مسلم .

(٤) الفرار من الإصابة في البدن وذلك فضل من الله أرخص فيه فإذا خشى على نفسه فقد أذن الله في الخروج عنه والفرار بنفسه ليخلصها من ذلك المحذور وأول من فعله إبراهيم فإنه لما خاف من قومه قال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾(٢) وقال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾(٣) وقال الله تعالى مخبراً عن موسى ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾(٤) .

(٥) الخروج خوف المرض في البلاد الوخمة إلى الأرض النزهة وقد أذن النبى ﷺ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى المسرح فيكونوا فيه حتى يصحوا وقد استثنى من ذلك الخروج من الطاعون فمنع الله منه بالحديث الصحيح عن نبيه ﷺ غير أن العلماء قالوا : إنه مكروه (أى الخروج من الأرض التى نزل بها الطاعون) .

(٦) الفرار خوف الأذية في المال فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه والأهل مثله وأوكد .

ثم تحدث عن هجرة الطلب وقسمها قسمين : طلب دين وطلب دنيا والأول يتعدد بتعدد أنواعه إلى تسعة أقسام :

(١) سفر العبرة . قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ﴾(٥) وهو كثير .

---

(١) الأنعام (٦٨) .
(٢) الصافات (٩٩) .
(٣) العنكبوت (٢٦)
(٤) القصص (٢١) .
(٥) فاطر (٤٤) .

(٢) سفر الحج وهو فرض أما سفر العبرة فهو ندب.

(٣) سفر الجهاد وله أحكامه .

(٤) سفر المعاش فقد يتعذر على الرجل معاشه مع الإقامة فيخرج فى طلبه لايزيد عليه بصيد أو احتطاب أو غيرهما فهو فرض عليه .

(٥) سفر التجارة والكسب الزائد على القوت والحاجة وذلك جائز بفضل الله كما قال سبحانه : ﴿ لَيسَ عَلَيكُم جُنَاحٌ أَن تَبتَغُوا فَضلاً مِن رَبِّكُم ﴾[٦] وهى نعمة منّ الله بها فى سفر الحج فكيف إذا انفردت .

(٦) سفر فى طلب العلم وهو مشهور .

(٧) سفر لقصد الثغور والمرابطة فيها من أجل الجهاد .

(٩) سفر لزيارة الإخوان فى الله كما فى الحديث الذى يدل على « أن ملكاً أرصده الله فى طريق رجل ليزور أخاه فى الله وبشره بالجنة » رواه مسلم ا . هـ مختصراً .

دخول ديار الهلكى المعذبين (زيارة الآثار)

أصبحت الآثار من جملة المزارات التى يحرص الناس على ارتيادها مثل ديار عاد وثمود والأهرامات وغيرها من آثار الفراعنة وقد اشتدت حركة البحث والتنقيب عن الآثار هنا وهناك لأغراض كثيرة بل وقد أنشأت أقسام للآثار في الجامعات ثم هم يقسمون الآثار بعد ذلك بحسب العصر الذى وجدت فيه فيقولون هذه آثار فرعونية أو قبطية أو إسلامية والذى يعنينا هنا هو التنبيه على الآداب التى ينبغى أن تراعى ومن أهمها : أن يكون المقصد هو العظة والاعتبار من هذا الكشف أو من هذه الزيارة لا الانشغال بتفاهات وتفصيلات مثل أشكال الأوانى ونحو ذلك مما ينسينا الهدف والغاية والتى كان الواجب أن نركز عليها اللهم إلا أن يكون البحث فى التفصيلات له مقصد شرعى . وهذا المعنى نستفيده من قوله تعالى : ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾[١]

---

(٦) البقرة (١٩٨) .

(١) الكهف (٢٢) .

وهكذا فأنت ترى أن الخلاف حول عدد أصحاب الكهف يستخلص منه أن الناس دائماً يتعلقون بالأمور الجانبية التي لا فائدة ترجى من وراء معرفتها ويختلفون في ذلك ثم يخوضون بالجدل فيه بغير علم ويتركون المقاصد والأمور المهمة وهو أخذ العبرة من وراء سياق القصة وإنه ليستوى فى أخذ العبرة أن يكون عددهم ثلاثة أو خمسة أو أقل أو أكثر فالعبرة فى أمرهم حاصلة بالعدد القليل والكثير ولكن إذا وجد علم صحيح بعددهم فإنه لا مانع من الأخذ به وإثباته كحادثة تاريخية . أيضاً لا يصح أن نصف ما كان عليه الفراعنة أو قوم هود أو قوم صالح بوصف الحضارة حتى وإن أقاموا الأهرامات وأبا الهول والمسلات وأنشأوا المصانع والسدود ونحو ذلك . فالحضارة عند المسلمين معناها التطور أو التقدم أو الأخذ بأسباب القوة وفق منهج العبودية وإقامة الحياة على أساس دين الله جل وعلا ، أما هؤلاء الذين ذكرناهم فقد غلب عليهم الكفر ولذلك أخذهم ربنا أخذ عزيز مقتدر . ونحن لا نفرح ولا نفخر بالانتساب لفرعون الذى قال لقومه : ﴿ مَاعَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى ﴾(١) وقال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾(٢) وقال : ﴿ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِى مِن تَحْتِى ﴾(٣) وقال أيضاً : ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾(٤) فإذا اكتشفنا جثمانه فلا ينبغى أن نغفل قوله تعالى : ﴿ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾(٥) وقد أمرنا إذا مررنا بقبور المشركين أن نبشرهم بالعذاب وأن نسرع الانصراف والرحيل من ديار الهلكى المعذبين بل ومن الأماكن التى نزل العذاب بساحتهم فيها مثل وادى محسر الذى أهلك ربنا جل وعلا فيه أصحاب الفيل الذين قصدوا مكة لهدم الكعبة المشرفة . وجاء فى كتب الحديث والمغازى أن الرسول ﷺ وهو بالحجر قال : « لاتدخلوا على هؤلاء المعذبين ـ يعنى قوم صالح ـ إلا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل ما أصابهم » وفى رواية أنه ﷺ قال « وهو بالحجر » « لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم » إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه (أى غطاه كى لايرى) وأسرع السير حتى أجاز الوادى » رواه البخارى . وفى مغازى الواقدى : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن

(١) القصص (٣٨) . (٢) النازعات (٢٤) . (٣) الزخرف (٥١) .
(٤) غافر (٢٩) . (٥) يونس (٩٢) .

تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلاتدخلوا عليهم فيصيبكم ما أصابهم » . وقال أبو سعيد الخدرى رأيت رجلاً جاء إلى النبى ﷺ بخاتم وجده فى الحجر فى بيوت المعذبين قال فأعرض عنه واستتر بيده أن ينظر إليه وقال : القه فألقاه فما أدرى أين وقع حتى الساعة وكان ابن عمر يقول : إن رسول الله ﷺ قال لأصحابه حين حاذاهم « أى المعذبين »: « إن هذا وادى النفر » فجعلوا يوضعون فيه ركابهم (أى يحثونها لتسرع فى المشى حتى خرجوا منه » وكان أبو هريرة يحدث يقول : لما مررنا بالحجر (اسم ديار ثمود بوادى القرى بين المدينة والشام) استقى الناس من بئرها وعجنوا فنادى منادى النبى ﷺ : لا تشربوا من مائها ولا تتوضأوا للصلاة وما كان من عجين فأعلفوه الإبل قال سهل بن سعد : كنت أصغر أصحابى وكنت مقريهم فى تبوك فلما نزلنا (أى الحجر من ديار ثمود) عجنت لهم ثم تحينت العجين وقد ذهبت أطلب حطباً فإذا منادى النبى ﷺ ينادى : إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تشربوا من ماء بئرهم فجعل الناس يهرقون ما فى أسقيتهم قالوا : يا رسول الله قد عجنا قال : « أعلفوه الإبل » . قال سهل : فأخذت ما عجنت فعلفت نضوين فهما كانا أضعف ركابنا .

راجع (سيرة ابن هشام ـ السيرة الحلبية ـ البداية والنهاية ـ مغازى الواقدى).

لعنة الفراعنة

لقد تغير الحال وتبدل ودخل البعض ديار هؤلاء الهلكى المعذبين على وجه الضحك واللعب وكل همه أن تلتقط له صورة وقد رأينا كيف أن الصحابة يوم رجوعهم من تبوك عندما مروا بديار ثمود قال لهم النبى ﷺ : «لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم (أى من الهلاك) فالدخول على هؤلاء على غير الوجه المشروع سبب من أسباب الهلاك . وقد حاول البعض التصوير بأن لعنة الفراعنة هذه كانت منهم على وجه التهديد والإنذار فقد نقل أحد علماء الآثار المصرية قول امنحتب بن حابو الوزير الذى عاش في عصر امنوفيس الثالث ١٣٥٠ ق.م حين هدد بالآتى :« أجسادهم سوف تلعن وسوف ينتقم منهم الإله آمون . الذى سوف يقذف بهم إلى جهنم وبئس المصير وسوف تقذف الأفاعى النار فى

وجوههم وتلتهم الثعابين أجسادهم .وسوف يغرقون في قاع البحر حيث تتوارى جثثهم وسوف لا تقام لهم الطقوس الدينية عند موتهم وسوف يوارون التراب دون احتفال وسوف يتضوون جوعا وعطشاً في الآخرة فلاخبز ولا ماء لهم » نقلا عن مجلة أكتوبر العدد (٥٩٣) وقد حكى الدكتور صاحب المقال كيفية موت اللورد كارنارفون (أحد ممولي عمليات الآثار) صريعا وهو في حالة يرثى لها من الذعر والخوف وكذلك موت كارتر مكتشف مقبرة توت عنخ آمون ثم عقب بقوله : وهذا يشبه إلى حد ما النبوءة التي أشار إليها الإسكندر الأكبر عندما زار واحة سيوة وأخبره بها آمون ومات دون أن يعلم أحد بحقيقتها فقد أرسل الإسكندر الأكبر إلى أمه خطابا صغيراً قال لها فيه إنه سوف يبلغها بما جرى بينه وبين الإله آمون من حديث عند عودته إليها ولكنه مات ومعه السر الذى لم يبح به الى أى إنسان أ.هـ ولنا على كلام الدكتور عدة تعليقات .

أولا : لكي نحكم على لعنة الفراعنة وغيرها وهل هي خرافة أو حقيقة أو أسطورة فلابد من الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ وحينئذ يزول الإشكال وتنتهى الحيرة بإذن الله وقد أوردنا قول الصادق المصدوق فيما يتعلق بالدخول على ديار ثمود وهو يشمل كل من أهلكهم ربنا بالعذاب لكفرهم .

ثانيا : أورد الدكتور كلمات كثيرة وكأنها من المسلمات مثل نبوءة الإسكندر والإله آمون والسحر وإخناتون صاحب مذهب التوحيد . ومعلوم أن الإسكندر الأكبر كان مشركا ممن يعبد الكواكب ، والغيب لا يعلمه الا الله.﴿ **عَالِمُ الغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَىَ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَسُولٍ** ﴾[1] الآية فليس ذلك للإسكندر ولا لغيره . والسحر كفر والساحر كافر ﴿ **وَمَاهُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ** ﴾[2] ونسبة الألوهية لآمون كفر برب العزة جل وعلا فإذا نقل الإنسان مثل هذا الكلام فليكن على سبيل إبطاله ودحضه لا كما صنع الدكتور عالم الآثار . ثم هو يقول إخناتون صاحب مذهب التوحيد ... أى جهل هذا (!!) ألم يقرأ مرة وهوالمسلم في كتاب الله أوفى سنة رسول الله ﷺ قال تعالى : ﴿ **إن الدين عند الله الإسلام** ﴾. وقال سبحانه : ﴿ **ومَا**

(١) الجن : (٢٦) .   (٢) البقرة : (١٠٢) .

أمروا إلاّ ليعبدوا اللّهَ مخلصين لَهُ الدّينَ ﴾[1] مامن نبي إلا وقال لقومه ﴿ اعْبدوا اللّهَ مَالَكُم مِنْ إلَهٍ غيْرُهُ ﴾ [2] ﴿ ولَقدْ بعَثْناَ في كُلِّ أمةٍ رّسُولاً أنِ اعْبُدُوا الله واجْتَنبُوا الطّاغوتَ ﴾[3] ﴿ومَا أرسَلْنا مِن قَبلِكَ مِن رّسولٍ إلاَّ نوحي إليهِ أنّهُ لاإلهَ إلاَّ أنَاْ فَاعْبُدُون ﴾.[4]وقد ابتدأت البشرية بنبى مكلم هو آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام .

ثالثا : إذا كانت هذه هى حالة الأستاذ فكيف تكون حالة الطلبة فالمشتكى لله وحده من غربة الإسلام وسط بنيه . فعلى مثل هذه المناهج الخربة وعلى أيدى أمثال هؤلاء يتربى أبناء المسلمين الذين يؤمنون بالله ربا وبا لإسلام دنيا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا .

الزيارة الشرعية والزيارة البدعية

سئل شيخ الإسلام رحمه الله عن زيارة القدس وقبر الخليل عليه السلام فأجاب : الحمد لله . أما السفر إلى بيت المقدس للصلاة فيه والاعتكاف أو القراءة أو الذكر أو الدعاء : فمشروع مستحب باتفاق علماء المسلمين وقد ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ من حديث أبى هريرة وأبى سعيد أنه قال : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » والمسجد الحرام ومسجد رسول الله ﷺ أفضل منه وفى الصحيحين عنه أنه قال : « صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام » وأما السفر :إلى مجرد زيارة قبر الخليل أو غيره من مقابر الأنبياء والصالحين ومشاهدهم وآثارهم فلم يستحبه أحد من أئمة المسلمين لا الأربعة ولا غيرهم بل لونذر ذلك ناذر لم يجب عليه الوفاء بهذا النذر عند الأئمة الأربعة وغيرهم بخلاف المساجد الثلاثة فإنه إذا نذر السفر إلى المسجد الحرام لحج أو عمرة لزمه ذلك باتفاق الأئمة وإذا نذر السفر إلى المسجدين الآخرين لزمه السفر عند أكثرهم كمالك وأحمد والشافعى فى أظهر قوليه لقول النبى ﷺ : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه » رواه البخارى وإنما يجب الوفاء بنذر

(١) البينة : (٥) .
(٢) الأعراف : (٥٩) .
(٣) النحل : (٣٦) .
(٤) الأنبياء : (٢٥) .

كل ماكان طاعة : مثل من نذر صلاة أوصوما أو اعتكافاً أو صدقة لله أو حجا ولهذا لا يجب بالنذر السفر إلى غير المساجد الثلاثة لأنه ليس بطاعة لقول النبى ﷺ : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » فمنع من السفر إلى مسجد غير المساجد الثلاثة فغير المساجد أولى بالمنع لأن العبادة فى المساجد أفضل منها فى غير المساجد وغير البيوت بلاريب ولأنه قد ثبت فى الصحيح عنه ﷺ أنه قال :« أحب البقاع إلى الله المساجد » مع أن قوله « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد » يتناول المنع من السفر إلى كل بقعة مقصودة بخلاف السفر للتجارة وطلب العلم ونحو ذلك فإن السفر لطلب تلك الحاجة حيث كانت وكذلك السفر لزيارة الأخ فى الله فإنه هو المقصود حيث كان . وقد ذكر بعض المتأخرين من العلماء : أنه لا بأس بالسفر إلى المشاهد واحتجوا « بأن النبى ﷺ كان يأتى قباء كل سبت راكبا وماشيا» أخرجاه فى الصحيحين ولا حجة لهم فيه لأن قباء ليس مشهدا بل مسجد وهى منهى عن السفر إليها باتفاق الأئمة لأن ذلك ليس بسفر مشروع بل لوسافر إلى قباء من دويرة أهله لم يجز ولكن لو سافر إلى المسجد النبوى ثم ذهب منه إلى قباء فهذا يستحب كما يستحب زيارة قبور أهل البقيع وشهداء أحد . ا . هـ والمرابطة بالثغور أفضل من المجاورة فى المساجد الثلاثة.وهذا متفق عليه بين السلف حتى قال أبو هريرة رضى الله عنه : لأن أرابط ليلة فى سبيل الله أحب إلىّ من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود . وقد قال تعالى ﴿ **أجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الحَاجِ وعِمارةَ المسجدِ الحرام كَمن آمن بِالله واليومَ الاخرِ وَجَاَهَدَ فِي سبيلِ اللّه لاَ يَستَوُونَ عندَ اللّهُ وَاللهُ لاَيَهدِى القومَ الظالمين . الذّينَ آمنوا وَهَاجَروا وَجَاهَدُوا فى سَبِيلِ اللّه بأموالهم وأنفُسِهِم أعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّه ...** ﴾ الآية حتى ﴿ **إنَّ اللّه عِندَهُ أجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾ (١) وثبت أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان فى بعض الأسفار : فرأى قوما يتناوبون مكانا يصلون فيه فقال : ماهذا ؟ قالوا : مكان صلى فيه رسول الله ﷺ فقال : ومكانٌ صلى فيه رسول الله ﷺ أتريدون أن تتخذوا أثر الأنبياء لكم مساجد ؟ إنما هلك من كان قبلكم بهذا : من أدركته الصلاة فليصل وإلا فليمض وهذا لأن الله لم يشرع للمسلمين مكاناً يتناوبونه للعبادة إلا المساجد خاصة فما ليس بمسجد لم يشرع قصده للعبادة وإن كان

(١) التوبة : (١٩ ، ٢٢) .

مكان نبى أو قبر نبى . ومن تتبع هدى الصحابة رضوان الله عليهم وجد أنهم لم يكونوا يستحبون السفر لشيء من زيارات البقاع : لا آثار الأنبياء ولا قبورهم ولا مساجدهم إلا المساجد الثلاثة بل إذا فعل بعض الناس شيئا من ذلك أنكر عليه غيره كما أنكروا على من زار الطور الذى كلم الله عليه موسى حتى إن غار حراء الذى كان النبى ﷺ يتعبد فيه قبل المبعث لم يزره هو بعد المبعث ولا أحد من أصحابه. هذا وينبغي الحذر من التبرك بالأحجار والأشجار فعن أبي واقد الليثى قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فقلنا : يارسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . فقال رسول الله ﷺ : الله أكبر إنها السنن قلتم : والذى نفسى بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون لتركبن سنن من كان قبلكم » رواه الترمذى وصححه : وكان عمر ابن الخطاب رضى الله عنه يقول عن الحجر الأسود : والله إني لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك . ومكة المكرمة هى أحب بلاد الله إلى الله لما ثبت عن النبى ﷺ أنه قال لمكة وهو واقف بالحزورة « والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله ولولا أن قومى أخرجونى منك ماخرجت » قال الترمذى حديث صحيح وأما الحديث الذى يروى « أخرجتنى من أحب البقاع إلىّ فأسكنى أحب البقاع إليك » فهذا حديث موضوع كذب لم يروه أحد من أهل العلم . والنبى ﷺ حرم المدينة كما حرم إبراهيم مكة . وقد دل القرآن على بركة الشام فى خمس آيات وقال النبىَ ﷺ الإيمان يمان والحكمة يمانية ، والمكان الذى يكون الإنسان فيه أطوع لله ولرسوله هو الأفضل بالنسبة له فقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان الفارسى رضى الله عنهما يقول له : هلم إلى الأرض المقدسة فكتب إليه سلمان : إن الأرض لا تقدس أحداً وإنما يقدس الرجل عمله وهو كما قال سلمان الفارسى فإن مكة – حرسها الله تعالى – أشرف البقاع وقد كانت فى غربة الإسلام دار كفر وحرب يحرم المقام بها وحرم بعد الهجرة أن يرجع إليها المهاجرون فيقيموا بها وقد كانت الشام فى زمن موسى عليه السلام – قبل خروجه ببنى إسرائيل دار الصابئة المشركين الجبابرة الفاسقين وفيها قال الله تعالى لبنى إسرائيل : ﴿ سأريكم

دار الفاسقين ﴾ وليكن معلوما أن الفضيلة الدائمة فى كل وقت ومكان فى الإيمان والعمل الصالح يقول ابن تيمية « وهذه الأوقات يظهر فيها من النقص فى خراب (المساجد الثلاثة) علما وإيماناً مايتبين به فضل كثير ممن بأقصى المغرب على أكثرهم فلا ينبغى للرجل أن يلتفت إلى فضل البقعة فى فضل أهلها مطلقا بل يعطى كل ذى حق حقه ولكن العبرة بفضل الإنسان فى إيمانه وعمله الصالح والكلم الطيب ثم قد يكون بعض البقاع أعون على بعض الأعمال كإعانة مكة حرسها الله تعالى على الطواف والصلاة المضعفة ونحو ذلك وقد يحصل فى الأفضل معارض راجح يجعله مفضولا : مثل من يجاور بمكة مع السؤال والاستشراف والبطالة عن كثير من الأعمال الصالحة وكذلك من يطلب الإقامة بالشام لأجل حفظ ماله وحرمة نفسه لا لأجل عمل صالح فالأعمال بالنيات وهذا الحديث الشريف إنما قاله النبى ﷺ بسبب الهجرة فقال : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ماهاجر إليه » قال ذلك بسبب أن رجلا كان قد هاجر يتزوج امرأة يقال لها : أم قيس وكان يقال : مهاجر أم قيس وإذا فضلت جملة على جملة لم يستلزم ذلك تفضيل الأفراد على الأفراد كتفضيل القرن الثانى على الثالث وتفضيل العرب على ماسواهم وتفضيل قريش على ماسواهم فهذا هذا والله أعلم ا .هـ فالواجب على الإنسان أن يعيش طاعة الوقت فمن داهم العدو بلدهم كأهل أفغانستان تعين عليهم الجهاد ولا يحل لهم ترك بلدهم للاعتكاف بالمسجد الحرام ومن سمع النداء وجب عليه أن يحرص على صلاة الجماعة فى المسجد – هذا بالنسبة للرجال – حتى وإن كان يقرأ القرآن وقس على ذلك فلكل مقام مقال .

التحذير من اتخاذ القبور مساجد

وهذا التحذير يشمل حرمة بناء المسجد على قبر وحرمة الصلاة إلى قبر وحرمة الصلاة على قبر وقد ذهب العلماء إلى ذلك استناداً لنصوص كثيرة منها ماورد عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ فى مرضه الذى لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » قالت : فلولا ذاك أبرز قبره غير أنه

خشي أن يتخذ مسجداً » متفق عليه وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» وعن عائشة وابن عباس أن رسول الله ﷺ لما حضرته الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له فإذا اغتم كشفها عن وجهه وهو يقول : « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » تقول عائشة : « يحذر مثل الذي صنعوا » متفق عليه – وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لما كان مرض النبي ﷺ تذاكر بعض نسائه كنيسة بأرض الحبشة يقال لها : مارية - وقد كانت أم سلمة وأم حبيبة قد أتتا أرض الحبشة فذكرن من حسنها وتصاويرها قالت : فرفع النبي ﷺ رأسه - فقال : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ثم صوروا تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله » متفق عليه – وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اللهم لا تجعل قبري وثنا لعن الله قوما اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» رواه أحمد وغيره بسند صحيح وعن عبد الله بن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد » قال ابن تيمية إسناده جيد وصححه الألباني . وقد عظمت الفتنة والبلية بالمقبورين في المساجد حيث صرفت لهم العبادة من دون الله فترى من يستغيث بأبي العباس ويذبح للسيد البدوي ويلتمس المدد من الحسين رضي الله عنه ويدعو السيدة زينب وينذر لإبراهيم الدسوقي . فأصبحت المقابر داخل المساجد ذريعة لكل شرك وكفر قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾(1) فلا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر والمفاسد إنما تحدث عند القبور المزورة لا المندرسة ولو كانت حقيقية وقبر الحسين رضي الله عنه هو من جملة القبور المزورة البارزة ومعلوم بالاتفاق أنه لم يدفن هنا في مصر وبالرغم من هذا فكل مظاهر الشرك تحدث في المسجد المنشيء على هذا القبر الوهمي . وقد قال البخاري (باب مايكره من اتخاذ المساجد على القبور) : ولا يخفى على أحد أن الكراهة هنا للتحريم لورود اللعن ووصف المخالفين بأنهم شرار الخلق ولذلك فالمذاهب الأربعة على حرمة اتخاذ المساجد على القبور وقد نقل شيخ الإسلام ابن تيمية الاتفاق على التحريم به وقال لايصلى في مثل هذا المسجد فرضا ولا نفلا .

(1) الجن : (18) .

بل مثل هذا المسجد أضر من مسجد الضرار وفى كتاب تحذير الساجد قال الحافظ العراقى : فلوبنى مسجدا يقصد أن يدفن فى بعضه دخل فى اللعنة بل يحرم الدفن فى المسجد وإن شرط أن يدفن فيه لم يصح الشرط لمخالفة وقفه مسجدا » . وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية « هل تصح الصلاة فى المسجد إذا كان فيه قبر والناس تجتمع فيه لصلاتى الجماعة والجمعة أم لا ؟ وهل يمهد القبر أو يعمل عليه حاجز أو حائط ؟ فأجاب : الحمد لله اتفق الأئمة أنه لايبنى مسجد على قبر لأن النبى ﷺ قال :« إن من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإنى أنهاكم عن ذلك » وأنه لا يجوز دفن ميت فى مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديدا وإن كان المسجد بنى بعد القبر فإما أن يزال المسجد وإما تزال صورة القبر فالمسجد الذى على القبر لايصلى فيه فرض ولانفل فإنه منهى عنه » . ا.هـ وقد كان عثمان بن عفان رضى الله عنه يأمر بتسوية القبور . وقال على بن أبى طالب لأبى الهياج الأسدى ألا أبعثك على مابعثنى عليه رسول الله ﷺ : ألا تدع قبرا مشرفا إلا سويته ولا صورة إلا طمستها . وقد وصى أبو موسى الأشعرى عند موته فقال ولا تجعلوا على قبرى بناء ولما رأى ابن عمر فسطاطاً على قبر عبد الرحمن قال : انزعه ياغلام فإنما يظله عمله وكان سعيد بن المسيب يقول إذا أنا مت فلا تضربوا على قبرى فسطاطا وقد تذرع القبوريون ببعض الشبهات الضعيفة التى لا تقوم بها حجة فى مواجهة هذه النصوص الصريحة وهذه الأقوال الواضحة فمن جملة شبهاتهم الاستدلال بقوله تعالى ﴿ **قال الذين غلبوا على أمرهم لنتخذن عليهم مسجدا** ﴾ والذين قالو هذا القول إما أن يكونوا من أهل القهر والغلبة أو هم من المسلمين والصحيح المتقرر من أقوال العلماء أن شريعة من قبلنا ليست شريعة لنا وقول المسلم إذا صادم به كتابا أو سنة علم أم جهل لايعمل به ولا يعول عليه إذ مرد الحكم لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ ﴿ **فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر** ﴾ وكل إنسان يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ وقد حكى القرآن كثيرا من أقوال أهل الكفر مبطلا لها كقول فرعون وقارون وشبيه بهذا قولهم بأن أبا جندل بنى مسجدا على قبر أبى بصير وهذا القول ليس له إسناد تقوم به الحجة ولم يقره النبى ﷺ على ذلك إن

ثبت ولوعلم لكان ذلك قبل التحريم وقالو أيضا قُبر فى مسجد الخيف سبعون نبيا والصحيح أنه صلى فى مسجد الخيف سبعون نبيا بل حتى لو صح الأمر فالقبور ليست ظاهرة بل مندرسة وبالتالى فلا محظور وقالوا بأن إسماعيل دفن فى الحجر وهذا لم يرد فى كتب السنة ثم أين قبره عليه السلام ومعلوم أن الأرض مقبرة الأحياء قال تعالى : ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً﴾[1] قال الشعبى : بطنها لأمواتكم وظهرها لأحيائكم . أيضا كثيرا مايحتجون بأن قبر النبى ﷺ داخل المسجد ومعلوم أن النبى ﷺ مات فى حجرة السيدة عائشة رضى الله عنها وكانت الحجرة ملتحقة بالمسجد وسواء أدخلوا الحجرة برمتها داخل المسجد كما نقل الشيخ الألبانى واحتاطوا ببناء جدار من وراء جدار أو مازالت الحجرة خارج المسجد بحيث لا يستطيع أحداستقبال القبر فعلى كلا القولين يُصلى فى مسجد النبى ﷺ بلا حرج لأنه ليس كبقية المساجد والصلاة فيه بألف صلاة فيما سواه وهذه خصوصية للمسجد النبوى الشريف والقاعدة تقول (مامنع سدا للذريعة أبيح للمصلحة الراجحة) وبالتالى فلايقاس المسجد النبوى على غيره من المساجد كمسجد أبى العباس المرسى أو السيد البدوى فليس لهما مثل هذه الخصوصية فضلا عن أن تكون الحجرة خارج المسجد كما تقول لجنة الفتوى بالسعودية . وأحيانا نجد البعض يقول: لوكان بناء المساجد غلى القبور حراما فلماذا يجيز ذلك من ينتسب للعلم الشرعى والإجابة على ذلك يسيرة بإذن الله تعالى فلا يلتفت لقول من صادم الكتاب والسنة واتفاق من قبله من علماء الأمة وقد كان الواجب عليه قبل أن يتكلم أويفتى أن يتعلم مواطن الاتفاق والاختلاف بين علماء الأمة ثم الواجب علينا أن نحذر علماء السوء الذين هم أشر من قطاع الطريق .

فتوى هامة فى كتاب مختصر الفتاوى المصرية
الدفن فى المسجد غير جائز

والمفتى هو فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم سنة ١٣٥٩ هـ الموافق سنة ١٩٤٠ وكان قد سئل لبيان الحكم الشرعى فيما طلبه رئيس خدم مسجد عز الدين أيبك من دفنه فى

---

(١) المرسلات : (٢٥ ـ ٢٦) .

أحد القبرين اللذين بهذا المسجد فأجاب « ونفيد : أنه قد أفتى شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه لا يجوز أن يدفن في المسجد ميت : لا صغير ولا كبير ولا جليل ولا غيره فإن المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر . وقال في فتوى أخرى إنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غُير إما بتسوية القبر وإما بنبشه إن كان جديداً الخ ا .هـ وذلك لأن في الدفن في المسجد إخراجاً لجزء من المسجد عما جعل له من صلاة المكتوبات وتوابعها من النفل والذكر وتدريس العلم وذلك غير جائز شرعاً ولأن اتخاذ قبر في المسجد على هذا الوجه الوارد في السؤال يؤدى إلى الصلاة إلى هذا القبر أو عنده . وقد وردت أحاديث كثيرة دالة على حظر ذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٥٨ ما نصه « إن النصوص عن النبي ﷺ تواترت بالنهى عن الصلاة عند القبور مطلقاً واتخاذها مساجد أو بناء المساجد عليها » ا . هـ ومن الأحاديث ما رواه مسلم عن أبي مرثد قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها » وقال ابن القيم « نص الإمام أحمد وغيره على أنه : إذا دفن الميت في المسجد نبش : وقال ــ أي ابن تيمية ــ لا يجتمع في دين الإسلام مسجد وقبر بل أيهما طرأ على الآخر منع منه وكان الحكم للسابق : إلى آخر ما قال في كتابه (زاد المعاد) وقال الإمام النووى في شرح المهذب ص ٣١٦ ما نصه « اتفقت نصوص الشافعي والأصحاب على كراهة بناء مسجد على القبر سواء كان الميت مشهوراً بالصلاح أو غيره لعموم الأحاديث ــ قال الشافعي والأصحاب : وتكره الصلاة إلى القبور سواء كان الميت صالحاً أو غيره قال الحافظ أبو موسى : قال الإمام الزعفراني رحمه الله : ولا يصلى إلى قبر ولا عنده تبركاً به ولا إعظاماً له للأحاديث ا . هـ وتشتد الحرمة كلما كان القبر معظماً وفي مقدمة المصلين ومن صلى جاهلاً وجود القبر فلا إعادة عليه .وفي مغازى ابن اسحاق من زيادات يونس بن بكير عن أبي خلدة : خالد بن دينار حدثنا أبو العالية قال : لما فتحنا تستر وجدنا في بيت مال الهرمزان سريراً عليه رجل ميت عند رأسه مصحف فأخذنا المصحف فحملناه إلى عمر فدعا له كعباً فنسخه بالعربية فأنا أول رجل قرأه من العرب قرأته مثل ما أقرأ القرآن فقلت لأبي العالية :ما كان فيه ؟ قال : سيرتكم وأموركم ولحون كلامكم وما هو كائن بعد قلت : فما صنعتم بالرجل ؟ قال : حفرنا له

بالنهار ثلاثة عشر قبراً متفرقة فلما كان بالليل دفناه وسوينا القبور كلها لنعميه على الناس لا ينبشونه قلت : وما يرجون منه ؟ قال : كانت السماء إذا حبست عنهم برزوا بسريره فيمطرون فقلت : من كنتم تظنون الرجل ؟ قال : رجل يقال له دانيال فقلت : منذ كم وجدتموه مات ؟ قال : منذ ثلاث مائة سنة قلت : ما كان تغير منه شيء ؟ قال : لا إلا شعيرات من قفاه إن لحوم الأنبياء لا تبليها الأرض . قال ابن القيم : ففى هذه القصة ما فعله المهاجرون والأنصار من تعمية قبره لئلا يفتتن به ولم يبرزوه للدعاء عنده والتبرك به ولو ظفر به المتأخرون لجالدوا عليه بالسيوف ولعبدوه من دون الله وقال شيخ الإسلام : وهو إنكار منهم لذلك فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها ولم يستحب الشارع قصدها فهو من المنكرات وبعضه أشد من بعض سواء قصدها ليصلى عندها أو ليدعو عندها أو ليقرأ عندها أو ليذكر الله عندها أو ليسكن عندها بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التى لم يشرع تخصيصها به لا نوعاً ولا عيناً ا . هـ .

وذكرهم بأيام الله

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾(١) أى قل لهم قولاً يتذكرون به أيام الله تعالى قال ابن عباس ومجاهد وقتادة : بنعم الله عليهم وقاله أبى بن كعب ورواه مرفوعاً أى بما أنعم الله عليهم من النجاة من فرعون ومن التيه إلى سائر النعم وقد تسمى النعم بالأيام وعن ابن عباس أيضاً ومقاتل: بوقائع الله فى الأمم السابقة وقال ابن زيد : يعنى الأيام التى انتقم فيها من الأمم الخالية وقال الطبرى : وعظهم بما سلف فى الأيام الماضية لهم أى بما كان فى أيام الله من النعمة والمحنة وقد كانوا عبيداً مستذلين واكتفى بذكر الأيام عنه لأنها كانت معلومة عندهم وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبى ابن كعب قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « بينا موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله - وأيام الله بلاؤه ونعماؤه » وذكر حديث الخضر . . ودل هذا على جواز الوعظ المرقق للقلوب المقوى لليقين الخالى من كل بدعة والمنزه عن كل ضلالة

---

(١) إبراهيم (٥) .

وشبهة ومن الأيام المشهورة يوم الجمعة وهو يوم عيد لهذه الأمة ، قال رسول الله ﷺ : « نحن الآخرون الأولون بَيْدَ أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فهذا يومهم الذى اختلفوا فيه فهدانا الله له فاليهود غداً والنصارى بعد غد » رواه البخارى . وفى هذا اليوم خلق آدم وفيه مات وفيه تقوم الساعة وفيه ساعة إجابة يتحراها المسلم بالدعاء والعمل الصالح ومن الأيام الفاضلة يوم عرفة وعشر ذى الحجة ويوم عاشوراء فعن أبى قتادة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » رواه الجماعة إلا البخارى والترمذى وعن حفصة قالت : أربع لم يكن يدعهن رسول الله ﷺ : صيام عاشوراء والعشر (أى من ذى الحجة) وثلاثة أيام من كل شهر والركعتين قبل الغداة رواه أحمد والنسائى وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا ــ أهل الإسلام ــ وهى أيام أكل وشرب » رواه الخمسة إلا ابن ماجه وصححه الترمذى وقد نهى النبى ﷺ عن صوم يوم عرفة لمن وقف بعرفات وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قدم النبى ﷺ المدينة فرأى اليهود تصوم عاشوراء فقال : « ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح نجى الله فيه موسى وبنى إسرائيل من عدوهم فصامه موسى فقال ﷺ : « أنا أحق بموسىَ منكم فصامه وأمر بصيامه » متفق عليه . وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : كان يوم عاشوراء تعظمه اليهود وتتخذه عيداً فقال رسول الله ﷺ : « صوموه أنتم » متفق عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله ﷺ يوم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يارسول الله : إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال إذا كان العام المقبل ـ إن شاء الله ـ صمنا اليوم التاسع قال : فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله ﷺ رواه مسلم وأبو داود .

وأفضل الليالى ليلة القدر لقوله تعالى ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾[1] أى العمل فيها من الصلاة والتلاوة والذكر خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وهى تنتقل فى ليالى الوتر من العشر

---

(١) القدر (١-٣) .

الأواخر وأرجى الوتر ليلة السابع والعشرين من رمضان روى البخارى ومسلم عن أبى هريرة أن النبى ﷺ قال : « من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه » وروى أحمد وابن ماجه والترمذى ـ وصححه ـ عن عائشة رضى الله عنها قالت : قلت : يا رسول الله أرأيت إن علمت أىُّ ليلة ليلة القدر ماأقول فيها ؟ قال : « قولى اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى » والأعياد من أعظم شعائر الدين وعيد الأضحى هو أشرف العيدين فعن أنس رضى الله عنه قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة ولهم يومان يلعبون فيهما فقال ما هذان اليومان ؟ قالوا : كنا نلعب فيهما فى الجاهلية فقال ﷺ « أبدلكم الله بهما خيراً منهما يوم الأضحى ويوم الفطر » رواه أبو داود وهو صحيح وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال : « كان رسول الله ﷺ يغدو إلى المصلى فى يوم عيد » رواه البخارى ومسلم ويندب إحياء ليلتى العيدين بالذكر والتكبير والدعاء والاستغفار والعطاء للبائسين قال تعالى ﴿ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[1] وقال سبحانه ﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ ﴾[2] قال البخارى : قال ابن عباس : هى أيام التشريق وهى : اليوم الحادى عشر والثانى عشر والثالث عشر من ذى الحجة وروى عقبة بن عامر عن النبى ﷺ أنه قال « يوم عرفة ويوم النحر وأيام منى : عيدنا أهل الإسلام وهى أيام أكل وشرب » رواه الترمذى وقال حديث حسن صحيح وقال ﷺ : « يا أبا بكر إن لكل قوم عيداً وهذا عيدنا » وفى الصحيحين أيضاً أنه قال : « دعهما ياأبا بكر فإنهما أيام عيد وتلك الأيام أيام منى » .

مخالفة أصحاب الجحيم فى أعيادهم

فموافقة أهل الكتاب فى أعيادهم لا تجوز لأن هذا ليس من ديننا ولا عادة سلفنا وفى موافقتهم مفسدة أى مفسدة وقد قال رسول الله ﷺ من تشبه بقوم فهو منهم وفى تفسير قوله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾[3] قال ابن سيرين هو الشعانين وقال مجاهد هو أعياد المشركين وكذلك عن الضحاك وقال عمر

---

(١) البقرة : (١٨٥) . (٢) البقرة : (٢٠٣) . (٣) الفرقان : (٧٢) .

« إياكم ورطانة الأعاجم وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم فى كنائسهم وأعياد المشركين جمعت الشبهة والشهوة والباطل ولا منفعة فيها فى الدين وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم فصارت زوراً وحضورها شهودها . والعيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتادعائد . إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك وفى شروط عمر رضى الله عنه التى اتفقت عليها الصحابة وسائر الفقهاء بعدهم : أن أهل الذمة من أهل الكتاب لا يظهرون أعيادهم فى دار الإسلام وسموا الشعانين والباعوث فإذا كان المسلمون قد اتفقوا على منعهم من إظهارها فكيف يسوغ للمسلمين فعلها ؟ أو ليس فعل المسلم لها أشد من فعل الكافر لها مظهراً ؟ لها وعن عبد الله بن عمرو قال « من بنى ببلاد الأعاجم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة » وقد كره على رضى الله عنه موافقتهم فى اسم يوم العيد الذى ينفردون به فكيف بموافقتهم فى العمل ؟ وما يفعلونه فى أعيادهم معصية لله لأنه إما محدث وإما منسوخ وأحسن أحواله ـ ولا حسن فيه ـ أن يكون بمنزلة صلاة المسلم إلى بيت المقدس ومعلوم أن استقبال الكعبة ركن من أركان الصلاة ..نعم هؤلاء اليهود والنصارى يقرون على دينهم المبتدع والمنسوخ بشرط أن يكونوا مستسرين به والمسلم لا يقر على دين مبتدع ولا منسوخ لا سراً ولا علانية وأما مشابهة الكفار فكمشابهة أهل البدع وأشد . ومشابهتهم فى بعض أعيادهم كعيد الميلاد توجب سرور قلوبهم بما هم عليه من الباطل بل هم ودوا لو بذلوا الأموال العظيمة فى سبيل مشاركة المسلمين لهم فى أعيادهم فلا يصح إجابة الدعوة لأعياد الكفار ولا تقبل هداياهم بل لا يبيعهم المسلم ما يستعينون به على عيدهم ولا يجوز معاونتهم فى أعيادهم وقد انخدع كثير من المسلمين بحيل الكفار فتراهم فى عيد الميلاد وشم النسيم ونحوها يظهرون الفرحة والسرور ويخرجون إلى المنتزهات ويعلقون الأنوار والزينات ويملأون المحال التجارية والفنادق بشجرة عيد الميلاد وبابا نويل وكل هذا تشبه بأهل الكتاب ثم هم هم يستنكفون عن لبس الجديد وإظهار الفرحة والبهجة بحجة كبر السن وهكذا كما قال العلماء ما دخلت بدعة إلا خرجت فى المقابل سنة والمشتكى إلى الله من غربة الإسلام وسط بنيه . ولكنها غمة توشك أن تزول بإذن الله .

بدعة عيد مولد النبي ﷺ

والبدع لم تقف بالناس عند حد فقد اخترع الناس مواسم وأعياداً مثل عيد الأم وعيد الربيع وعيد الطفل .... وبدعة عيد خم والاحتفال بليلة النصف من شعبان وبأول خميس من رجب والاحتفال بليلة الإسراء والمعراج وكل هذه بدع وكلها أيضاً ضلالات لأن الأعياد أمور توقيفية تؤخذ دون زيادة ودون نقصان ويرجع في معرفتها لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ لا لاختراعات البشر قال تعالى ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا** ﴾(١) ومن هذه البدع ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة للنصارى في ميلاد عيسى عليه السلام وإما محبة للنبي ﷺ وتعظيماً له والمحبة الحقيقية هي التي توجب الاتباع لسنته ﷺ ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾(٢) وقال تعالى ﴿ **فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا** ﴾(٣) وقال تعالى ﴿ **إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُواْ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ واتخاذ مولد النبي ﷺ عيداً مع اختلاف الناس في مولده أمر لم يفعله السلف مع قيام المقتضى له وعدم المانع منه ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً لكان السلف رضي الله عنهم أحق به منا فإنهم كانوا أشد محبة لرسول الله ﷺ وتعظيماً له منا وهم على الخير أحرص وإنما كمال محبته وتعظيمه في متابعته وطاعته واتباع أمره واحياء سنته باطنا وظاهراً ونشر ما بعث به والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان فإن هذه هي طريقة السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان .

وهؤلاء الذين يحرصون على أمثال هذه البدع فتورهم واضح تجاه كثير من السنن وهم بمنزلة من يحلي المصحف ولا يقرأ فيه ولا يتبعه . فاحرص رحمك الله على التمسك بالسنة ظاهراً أو باطناً في خاصتك وخاصة من يطيعك واعرف المعروف وأنكر المنكر وادعو الناس إلى الاستمساك بسنة النبي ﷺ فهو سبيل النجاة . راجع كتاب اقتضاء الصراط المستقيم (لشيخ الإسلام ابن تيمية) .

---

(١) المائدة : (٣) . (٢) آل عمران : (٣١) .

(٣) النساء : (٦٥) . (٤) النور : (٥١) .

كيف نجهل شهر ذى القعدة وذى الحجة ونعرف مارس وأبريل ؟

يقول الله تعالى : ﴿ إنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهراً فِي كِتَابِ اللَّهِ يَومَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُم ﴾ [1] فبين سبحانه أنه وضع هذه الشهور وسماها بأسمائها على مارتبها عليه يوم خلق السماوات والأرض وأنزل ذلك على أنبيائه فى كتبه المنزلة وحكمها باق على ما كانت عليه لم يزلها عن ترتيبها تغيير المشركين لأسمائها والمقصود من ذلك اتباع أمر الله فيها ورفض ما كان عليه أهل الجاهلية من تأخير أسماء الشهور وتقديمها وتعلق الأحكام على الأسماء التى رتبوها عليه ولذلك قال عليه الصلاة والسلام فى خطبته فى حجة الوداع : « أيها الناس إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض » وأن الذى فعل أهل الجاهلية من جعل المحرم صفراً وصفر محرماً ليس يتغير به ما وصفه الله تعالى والأشهر الحرم الأربعة المذكورة فى هذه الآية : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذى بين جمادى الآخرة وشعبان وهو رجب مضر وقيل له رجب مضر لأن ربيعة بن نزار كانوا يحرمون شهر رمضان ويسمونه رجباً وكانت مضر تحرم رجباً نفسه وروى البخارى عن أبى رجاء العطاردى قال : كنا نعبد الحجر فإذا وجدنا حجراً هو خير منه ألقيناه وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجراً جمعنا حثوة من تراب ثم جئنا بالشاء فحلبنا عليه ثم طفنا به فإذا دخل شهر رجب قلنا منصل الأسنة فلم ندع رمحاً فيه حديدة ولا سهماً فيه حديدة إلا نزعناها فألقيناه . فلا تظلموا فيهن أنفسكم أى بارتكاب الذنوب لأن الله سبحانه إذا عظم شيئاً من جهة واحدة صارت له حرمة واحدة وإذا عظمه من جهتين صارت حرمته متعددة ومن أطاع الله فى الشهر الحرام فى البلد الحرام ليس ثوابه ثواب من أطاعه فى الشهر الحلال فى البلد الحرام وقد خص الله تعالى الأربعة الأشهر الحرم بالذكر ونهى عن الظلم فيها تشريفاً لها وإن كان منهياً عنه فى كل الزمان كما قال : ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج ﴾ فالطاعة فى هذه الأشهر ليست كالطاعة

---

(١) التوبة (٣٦) .

في بقية العام وكذلك المعصية في هذه الأشهر ليست كالمعصية في غيرها من الأشهر .

قال القرطبي هذه الآية تدل على أن الواجب تعليق الأحكام من العبادات وغيرها إنما يكون بالشهور والسنين التي تعرفها العرب دون الشهور التي تعتبرها العجم والروم والقبط وإن لم تزد على اثنى عشر شهراً لأنها مختلفة الأعداد منها ما يزيد على ثلاثين ومنها ما ينقص وشهور العرب لا تزيد على ثلاثين وإن كان منها ما ينقص والذى ينقص ليس يتعين له شهر وإنما تفاوتها في النقصان والتمام على حسب اختلاف سير القمر في البروج ا . هـ فكيف يتعبد الإنسان لربه إذا جهل الأشهر العربية وما ارتبط بها من أحكام ؟ يقول تعالى : ﴿ الحَجُّ أشهُرٌ مَّعلومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الحَجِ ﴾ (١) وهى شهر شوال وذى القعدة وذى الحجة وقال سبحانه : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذى أُنزِلَ فيه القُـرءَانُ هُدًى للنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِن الهُدَى وَالفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ منكُم الشَّهرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ (٢) وقال جل شأنه: ﴿ يَسئَلُونَكَ عنِ الأهِلَّةِ قُل هِيَ مَواقِيتُ للنَّاسِ وَالحَجِّ ﴾ (٣) وقال : ﴿ والفَجْرِ ولَيَالٍ عَشْرٍ والشَّفْعِ وَالْوَترِ ﴾(٤) وسواء كانت العشر هي عشر ذى الحجة أو عشر رمضان الأخيرة أو غير ذلك فكل هذا يتعلق بالأشهر العربية وهي أيام مباركات أقسم بها رب العزة جل وعلا . وقال : ﴿ يَسئَلُونَكَ عَنْ الشَّهرِ الحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وكُفْرٌ بِهِ ﴾ (٥) . وقال : ﴿ والمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بأنفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوءٍ ﴾ (٦) وقال : ﴿ وَالَّذِينَ يُتَوفَّونَ منكُمْ وَيَذَرُونَ أزواجًا يَتَرَبَّصنَ بأنفُسِهِنَّ أربَعَةَ أشهُرٍ وَعَشرًا ﴾(٧) ويقول النبي ﷺ : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر » رواه الجماعة إلا البخارى والنسائى وعن أبى هريرة قال : سئل رسول الله ﷺ : أى الصلاة أفضل بعد المكتوبة ؟ قال : « الصلاة في جوف الليل » قيل : ثم أى الصيام أفضل بعد رمضان ؟ « قال شهر الله الذى تدعونه المحرم » رواه أحمد ومسلم .

---

(١) البقرة : (١٩٧) . (٢) البقرة : (١٨٤) . (٣) البقرة : (١٨٩) .
(٤) الفجر : (١ - ٢ - ٣) . (٥) البقرة : (٢١٧) . (٦) البقرة : (٢٢٨) .
(٧) البقرة : (٢٣٤) .

وقالت عائشة رضى الله عنها : (ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان وما رأيته فى شهر أكثر منه صياماً فى شعبان) رواه البخارى ومسلم وعن أسامة بن زيد قال : قلت يا رسول الله : لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان ؟ قال : « ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم » رواه أبو داود وصححه ابن خزيمة وعن رجل من باهلة : أنه أتى النبى ﷺ فقال : يا رسول الله أنا الرجل الذى جئتك عام الأول فقال : « فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة ؟ قال : ما أكلت طعاماً إلا بليل منذ فارقتك : فقال رسول الله ﷺ : لم عذبت نفسك ؟ ثم قال : صم شهر الصبر ويوماً من كل شهر . قال : زدنى فإن بى قوة قال : صم يومين قال : زدنى قال : صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها » رواه أحمد وأبو داود والبيهقى بسند جيد وقال عمر رضى الله عنه « إن رسول الله ﷺ نهى عن صيام هذين اليومين أما يوم الفطر ففطركم من صومكم وأما يوم الأضحى فكلوا من نسككم » رواه أحمد والأربعة وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ بعث عبد الله بن حذافة يطوف فى منى « أن لا تصوموا هذه الأيام فإنها أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل » رواه أحمد بإسناد جيد وقال عمار بن ياسر رضى الله عنه : (من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم ﷺ) رواه أصحاب السنن . وهذا الذى ذكرناه وغيره كثير يدل دلالة واضحة على أهمية التعرف على الأشهر العربية ومعرفة الأحكام التى ارتبطت بها فمن العيب الكبير أن نستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير فنتعرف على يناير وفبراير وأن هذا الشهر فيه كذبة أبريل وهذا يشتمل على شم النسيم أو عيد الميلاد أو غير ذلك من الأمور التى تضر ولا تنفع والعلم بها غالباً هو من جملة العلم الذى لا ينفع وعلينا أن نعود بأنفسنا وأبناءنا وإخواننا مرة ثانية للتعرف على الأشهر العربية وإشاعتها وسط الناس ودعوة الناس جميعاً لتقديم ما قدم الله ورسوله وتأخير ما أخره الكتاب والسنة .

آدم أول من تكلم باللغات كلها

قال تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ الأَسمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُم عَلَى المَلائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُم صَادِقِينَ ﴾ (١) قال ابن عباس وعكرمة وقتادة ومجاهد وابن جبير : علمه أسماء جميع الأشياء كلها جليلها وحقيرها ولما ذكروا اسم الآنية واسم السوط عند ابن عباس قال : وعلم آدم الأسماء كلها . وفي البخاري من حديث أنس عن النبي ﷺ قال : « ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيأتون آدم فيقولون : أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء » الحديث . قال ابن منداد : في هذه الآية دليل على أن اللغة مأخوذة توقيفاً وأن الله تعالى علمها آدم عليه السلام جملة وتفصيلا كذلك قال ابن عباس : علمه أسماء كل شيء حتى الجفنة والمحلب وعن قتادة قال : علم آدم من الأسماء أسماء خلقه ما لم يعلم الملائكة وسمى كل شيء باسمه وأنحى منفعة كل شيء إلى جنسه قال النحاس : وهذا أحسن ماروى في هذا والمعنى علمه أسماء الأجناس وعرفه منافعها هذا كذا وهو يصلح لكذا وقال الطبري علمه أسماء الملائكة وذريته واختار هذا ورجحه بقوله : ﴿ ثم عرضهم على الملائكة ﴾ وقال ابن زيد : علمه أسماء ذريته كلهم وقيل أسماء الأجناس والأنواع . والقول الأول أصح . وروى عن كعب الأحبار أن أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها وتكلم بالألسنة كلها آدم عليه السلام وقاله غير كعب الأحبار . فإن قيل قد روى عن كعب الأحبار من وجه حسن قال : أول مَن تكلم بالعربية جبريل عليه السلام وهو الذي ألقاها على لسان نوح عليه السلام وألقاها نوح على لسان ابنه سام . وروى عن النبي ﷺ أنه قال : « أول من فتق لسانه بالعربية المبينة إسماعيل وهو ابن عشر سنين » وقد روى أيضاً : أن أول من تكلم بالعربية يعرب بن قحطان . وقد روى غير ذلك قال القرطبي في تفسيره : الصحيح أن أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام والقرآن يشهد له قال الله تعالى : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ واللغات كلها أسماء فهي داخلة تحته وبهذا جاءت السنة قال ﷺ : « وعلم آدم الأسماء كلها

---

(١) البقرة : (٣١) .

حتى القصعة والقصيعة » وما ذكروه يحتمل أن يكون المراد به أول من تكلم بالعربية من ولد إبراهيم عليه السلام إسماعيل عليه السلام وكذلك إن صح ما سواه فإنه يكون محمولاً على أن المذكور أول من تكلم من قبيلته بالعربية بدليل ما ذكرنا والله أعلم . وكذلك جبريل أول من تكلم بها من الملائكة وألقاها على لسان نوح بعد أن علمها الله آدم أو جبريل على ما تقدم والله أعلم ا . هـ وقد جعل سبحانه اختلاف الألسنة آية من آياته فقال سبحانه : ﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾ (١) فاختلاف اللغات تبعاً لاختلاف الألسنة من عربية وعجمية وتركية ورومية واختلاف الألوان في الصور : من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحداً إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين فلا بد من فاعل فاعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل الدلائل على المدبر البارىء ﴿ إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾ أي للبر والفاجر . والناس كلهم لآدم وآدم من تراب ولافضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى .

العامية دعوة تغريبية
ومعرفة العربية فرض واجب

وذلك لأن فهم الكتاب فرض ولا يتم إلا بفهم العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب وقد كتب عمر لأبي موسى الأشعري : أما بعد فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية وأعربوا القرآن فإنه عربي . ويقول : تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم . وقد عود المسلمون أهل مصر وغيرها العربية وكانت لغة أهلها رومية ولما هجرت العربية بخراسان غلبت عليها الفارسية وهذا مكروه وينبغي تلقين اللغة العربية للصغار حتى يظهر شعار الإسلام وأهله ويكون أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وقد كره أحمد أشد الكراهة تسمية الشهور بالفارسية وبأسماء لا تعرف خشية كونه محرماً فلا ينطق المسلم بما لا يعرف معناه وكراهة أن يتعود الرجل النطق بغير العربية فاللسان العربي شعار الإسلام وأهله وقد كره الفقهاء

(١) الروم : (٢٢) .

الأدعية التي في الصلاة والذكر بغير العربية . أما الخطاب بالفارسية ونحوها من اللغات من غير حاجة في أسماء الناس والشهور كالتواريخ ونحو ذلك فهو منهي عنه مع الجهل بالمعنى بلا ريب وأما مع العلم به فكلام أحمد بيّن في كراهته أيضاً فإنه كره أذرماه
١ ومعناه ليس محرماً وكره الدعاء في الصلاة بالفارسية وقال لسان سوء واستدل بنهي عمر عن الرطانة مطلقاً ومنع الشافعي من التكلم بغير العربية فينبغي لكل أحد يقدر على تعلم العربية أن يتعلمها لأنها اللسان الأولى بأن يكون مرغوباً فيه من غير أن يحرم على أحد أن ينطق بالعجمية ومعلوم أن الواجبات تسقط بالعذر والعجز وبعدم الاستطاعة ولكن لابد من بذل الوسع في الأخذ بالأسباب . وقد كره العلماء أن يتكلم الرجل بالعربية خالطاً لها بالعجمية قال عمر رضي الله عنه : ما تعلم الرجل الفارسية إلا خبّ ولا خبّ رجل إلا نقصت مروءته ولما سمع محمد بن سعد بن أبي وقاص قوماً يتكلمون بالفارسية فقال : ما بال الفارسية بعد الحنيفية وقال رسول الله ﷺ : « من يحسن أن يتكلم بالعربية فلا يتكلم بالعجمية فإنه يورث النفاق » ونقل عن طائفة منهم أنهم كانوا يتكلمون بالكلمة بعد الكلمة من العجمية ولعل لكون المخاطب بها أعجمياً أو قد اعتاد العجمية يريدون بذلك تقريب الأفهام عليه كقول النبي ﷺ لأم خالد وكانت صغيرة وولدت بأرض الحبشة فكساها قميصاً وقال : « يا أم خالد هذا سنا والسنا بلغة الحبشة الحسن » وقال أبو هريرة لمن أوجعه بطنه : أشكم بدرد . أما بالنسبة لمخاطبة أهل الاصطلاح باصطلاحهم ولغتهم فليس بمكروه إذا احتيج إلى ذلك وكانت المعاني صحيحة كمخاطبة العجم من الروم بلغتهم فإن هذا حسن للحاجة وإنما كرهه الأئمة إذا لم يحتج إليه وقراءة كتب الأمم وكلامهم بلغتهم وترجمتها بالعربية أمر لا بأس به كما أمر النبي ﷺ زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك حيث لم يأتمن اليهود عليه . وقد كثرت اللهجات في اللغة الواحدة حتى حالت دون سهولة الاتصال فترى المصري لا يفهم لهجة المغربي أو الجزائري مثلاً ولو تكلم الجميع باللغة العربية لغة القرآن لسهل التفاهم وتحققت منافع كثيرة وتأكدت الروابط بين أبناء الأمة فاللغات من أعظم شعائر الأمم . ولذلك فإحلال العامية محل اللغة العربية ما هي إلا محاولات لقطع الصلات بين العالم الإسلامي ومقاومة لغة القرآن لإبعاد المسلمين عن دينهم وهذه المخططات تخرج بعناوين براقة مثل قول

البعض : نحن نملك اللغة كما كان القدماء يملكونها ولنا أن نضيف إليها ما نحتاج إليه من ألفاظ لم تكن مستعملة من قبل ، والدعوة لإسقاط القافية ونظرية الحداثة .... ويساعد فى الترويج لهذه الدعوة أدباء وكتاب وشعراء مستخدمين فى ذلك كل وسائل التوجيه من جرائد ومجلات وإذاعة ومدارس أجنبية ولغات . ونحن نعيش هذه الصحوة المباركة لابد من حماية اللغة من اقتحام ألفاظ اللغات الأجنبية والحذر من خطر الدعوة إلى اسقاط حركات الإعراب وذلك لأن اعتياد اللغة يؤثر فى العقل والدين والأخلاق . ومن عجيب الأمر أن ينتبه الغرب والشرق لأهمية اللغة ونفرط نحن فى لغتنا بهذه البساطة ففى فرنسا يقولون : إن اللغة هى الجنسية وفى ألمانيا اللغة مادة المواد والمادة العليا وفى أفريقيا حيث التبشير يوجه للغة أكبر قدر من الحرب من أجل معارضة نمو الإسلام وقد كانت له السيادة فى أفريقيا قبل إحلال اللغة العربية باللغات الأجنبية واللهجات الأفريقية وفى خرب الجزائر التى استمرت مائة عام تم فيها القضاء على اللغة وتحويل اللسان الجزائرى إلى لسان فرنسى ومراكز تعليم اللغة العربية فى جامعات فرنسا وبريطانيا وبرلين تنفر أبناء المسلمين غير العرب من تعلم العربية وتردد قول المستشرقين بأنها لغة لاتصلح للحياة إلا لمجتمع بدوى وأنها لا تساير الحياة الحضارية فهل يليق بنا بعد ذلك أن نتشرب هذا السم وهذه المؤامرات فنستبدل الأسماء العربية بأسماء أجنبية ويحدث ذلك فى المحلات وفى تسمية الأبناء . فانتبهوا رحمكم الله لما يراد بكم فالغزو الثقافى على اللغة ، بالغ الدقة حيث أنها مفتاح الحرب نحو العقيدة والقرآن نفسه والاحتلال البريطانى عندما بدأ هنا قام بوضع خطة لتحطيم اللغة وكان من جملة ما صنعوه أن مدرس اللغة العربية كان يتقاضى أربعة جنيهات فى الوقت الذى كان يتقاضى فيه مدرسو اللغة الإنجليزية اثنى عشر جنيهاً شهرياً ولك أن تتخيل ما يترتب على ذلك من استهانة باللغة العربية وكل ما يمت لها بصلة فلابد من العودة للإسلام ولتعلم لغة القرآن إذا كنا نطلب الرفعة والسيادة .

أسباب الشهرة وصناعة المشاهير

ذكرنا أن الشهرة قد تكون بالحق وقد تحدث بالباطل وأسبابها قد تكون مباحة

ومشروعة وقد توصف بالتحريم ثم بالنظر إلى موضوع الشهرة فقد يكون خلقيا جبليا وقد يكون مكتسباً وبالجملة فالفضل كله بيد الله والخير كله بيديه سبحانه والشر ليس إليه وقد كان من دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه : رب احملني على فضلك ولا تحملني على عدلك . وذلك لأن الإنسان لو وكل لنفسه لهلك : ﴿ وَمَا أُبَرِّىءُ نَفسِي إِنَّ النَّفسَ لأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾[1] والعبد يحتاج لهداية ربه وتوفيقه وتسديده أكثر من احتياجه للماء والهواء ولذلك لاعجب أن يدعو ربه كل يوم فى صلاته ويقول : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ والناس على اختلاف أصنافهم وأشكالهم يتقلبون بين الفضل والعدل فى الدنيا والآخرة.ففى الحديث القدسى الذى رواه مسلم : « ياعبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » وفى نهايته يقول رب العزة جل وعلا : « ياعبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه » فمن تمام رحمته سبحانه ورأفته بالخلق أنه ركب بالعباد عقولاً وأودع فيهم فطراً وأنزل لهم الكتب وأرسل لهم الرسل ليحيى من حيىَّ عن بينة ويهلك من هلك أيضاً عن بينة ولن يهلك على الله إلا هالك فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم . والفعل لكى يتم لابد من علم وقدرة وإرادة فمثلاً قيام الليل لا يتم إذا لم يعلم العبد فضيلته أو مشروعيته أو افتقد القدرة على القيام بأن كان عاجزاً أو لم تنبعث نيته ولم تتحرك همته تجاه هذه الطاعة ، ثم العبد قد يكون جاهلاً فيعذر بجهله والواجب عليه أن يأخذ بأسباب العلم لرفع الجهالة عن نفسه .و ﴿ لاَ يكلِّفُ الله نفساً إلا وسعها ﴾ والواجبات تسقط بالعذر والعجز وعدم الاستطاعة . والعبد مع حرصه على إخلاص العبودية لله جل وعلا قد يشتهر أمره ويرتفع ذكره وخبره بل وردت أدلة تُفيد استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل ونحن نتكلم بإذن الله على بعض هذه المعانى .

﴿ واجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾

وهذا من جملة الدعاء الذى توجه به إبراهيم عليه السلام لربه تبارك وتعالى بعد ثناءه

---

(١) يوسف (٥٣) .   (٢) الشعراء (٨٤)

عليه قال ابن عباس : هو اجتماع الأمم عليه وقال مجاهد : هو الثناء الحسن . قال ابن عطية : هو الثناء وخلد المكانة بإجماع المفسرين وكذلك أجاب الله دعوته وكل أمة تتمسك به وتعظمه وهو على الحنيفية التي جاء بها محمد ﷺ . وقال ليث بن أبي سليم : كل ملة تحبه وتتولاه وكذا قال عكرمة وقال مكي : وقيل معناه سؤاله أن يكون من ذريته في آخر الزمان من يقوم بالحق فأجيبت الدعوة في محمد ﷺ قال ابن عطية : وهذا معنى حسن إلا أن لفظ الآية لا يعطيه إلا بتحكم على اللفظ وقال القشيرى : أراد الدعاء الحسن إلى قيام الساعة فإن زيادة الثواب مطلوبة فى حق كل أحد وقد استجاب ربنا جل وعلا دعاء إبراهيم فليس أحد يصلي على النبى ﷺ إلا وهو يصلى على إبراهيم وخاصة فى الصلوات وعلى المنابر التى هى أفضل الحالات وأفضل الدرجات والصلاة دعاء بالرحمة . وروى أشهب عن مالك قال : قال الله عز وجل : ﴿ **واجعل لي لسان صدق في للآخرين** ﴾ لا بأس أن يحب الرجل أن يثنى عليه صالحاً ويرى فى عمل الصالحين إذا قصد به وجه الله تعالى وقد قال الله تعالى : ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي** ﴾[1] وقال : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ ءامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمنُ وُدًّا** ﴾[2] أى حباً فى قلوب عباده وثناء حسناً فنبه تعالى بقوله : ﴿ **واجْعَل لّي لسان صدْقٍ فى الآخرِينَ** ﴾[3] على استحباب اكتساب ما يورث الذكر الجميل قال الليث بن سليمان : إذ هى الحياة الثانية . قيل : قد مات قوم وهم فى الناس أحياء .

قال ابن العربى : قال المحققون من شيوخ الزهد فى هذا دليل على الترغيب فى العمل الصالح الذى يكسب الثناء الحسن ا . هـ . وهذا الدعاء وذلك الحرص ليس خاصاً بإبراهيم عليه الصلاة والسلام إذ هو إمام الحنفاء وقد أمرنا بالاقتداء به ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾ .

صلة الرحم سبب بقاء الذكر الجميل

أخرج الترمذى وقال حسن غريب عن سلمان الفارسى رضى الله عنه قال : قال

(١) طه (٣٩) . (٢) مريم (٩٦) .
(٣) الشعراء (٨٤) .

رسول الله ﷺ : « لا يرد القضاء إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر » وفي رواية « إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا الرزق » أخرجه ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه عن ثوبان رضى الله عنه وفي لفظ الحاكم تقديم وتأخير وعن رافع بن مكيث قال : قال رسول الله ﷺ : « حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء » أخرجه أحمد والطبراني في الكبير والبيهقي بسند رجاله ثقات إلا أن فيه راوياً لم يسم . وعن عبد الرحمن بن سمرة رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة وقال : « إني رأيت البارحة عجباً : رأيت رجلاً من أمتي أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه » رواه أبو موسى المديني في الترغيب وقال : هذا حديث حسن جداً . قال ابن تيمية : إن أصول السنة شاهدة له قال : وإذا تتبعت متفرقات شواهده رأيت منها كثيراً . (نقله المناوى في الفيض) وقد يقول قائل : إن الآجال مقدرة لا تزيد ولا تنقص ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لاَ يَسْتَئخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ ﴾(١) قد أجاب العلماء عن هذا بأجوبة .

الأول : أن الزيادة على حقيقتها وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر وقد سبق في علم الله أن يبر أو يعق فالذى في علم الله لا يتقدم ولا يتأخر وهو سبحانه يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون والذى في علم الملك هو الذى يمكن فيه الزيادة والنقصان .

الثاني : أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت ذكره القاضى عياض وقال الطيبي : ويجوز أن يكون المعنى أن الله يبقى أثر واصل الرحم في الدنيا طويلاً فلا يضمحل سريعاً كما يضمحل أثر قاطع الرحم ومن هذا قول الخليل عليه السلام ﴿ وَاجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الآخِرِينَ ﴾(٢) .

الثالث : أن زيادة العمر ذرية صالحة فعن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة إلا من : صدقة جارية أو علم

---

(١) النحل (٦١) . (٢) الشعراء (٨٤) .

ينتفع به أو ولد صالح يدعوله » رواه مسلم . وعن أبى هريرة أيضاً « إن مما يلحق المؤمن من عمله وحسناته بعد موته علماً علمه ونشره وولداً صالحاً تركه ومصحفاً ورثه أو مسجد بناه أو بيتاً لابن السبيل بناه أو نهراً أجراه أو صدقة أخرجها من ماله فى صحته وحياته يلحقه من بعد موته » أخرجه ابن ماجه بإسناد حسن ورواه ابن خزيمة . وابن الإنسان من عمله وكسبه وهو من جملة آثاره ﴿ ونكتب ما قدموا وءاثارهم ﴾(١) ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾ (٢) لذلك كان حرص الأنبياء على طلب الولد الصالح فمن دعائهم ﴿ ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ﴾(٣) ودعا زكريا ربه فقال : ﴿ وإنى خفت الموالى من وراءى وكانت امرأتى عاقراً فهب لى من لدنك ولياً . يرثنى ويرث من ءال يعقوب واجعله رب رضياً ﴾(٤) والوراثة المذكورة فى الآية هى وراثة العلم النافع والعمل الصالح .

وكانت العرب تسمى من كان له بنون وبنات ثم مات البنون وبقى البنات(أبتر) فيقال : إن العاص وقف مع النبى ﷺ يكلمه فقال له جمع من صناديد قريش : مع من كنت واقفاً ؟ فقال : مع ذلك الأبتر وكان قد توفى قبل ذلك عبد الله بن رسول الله ﷺ وكان من خديجة فأنزل الله جل شأنه : ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾(٥). أى المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة . وقيل نزلت بشأن أبى جهل أو عقبة بن أبى معيط وبالجملة فكل أمر انقطع من الخير فهو أبتر .

الرابع : أن المراد نفى الآفات عن صاحب البر فى فهمه وعقله .

الخامس : أن الزيادة فى الأوقات المعدودة لافى الأنفاس المحدودة .

السادس : وهو الذى ارتضاه الجم الغفير وصححه النووى أن الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك قال الحافظ : ومثل هذا ما جاء أن النبى ﷺ تقاصر أعمار أمته

---

(١) يس (١٢) . (٢) النجم (٣٩) . (٣) الفرقان (٧٤) .
(٤) مريم (٥-٦) . (٥) الكوثر (٣) .

بالنسبة لأعمار من مضى من الأمم فأعطاه الله ليلة القدر وحاصله أن البر يكون سبباً للتوفيق للطاعة والصيانة عن المعصية فيبقى بعده الذكر الجميل فكأنه لم يمت ومن جملة ما يحصل له من التوفيق العلم الذى ينفع به من بعده والصدقة الجارية والخلف الصالح ا . هـ .

﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾[1] .

أى انشر ما أنعم الله عليك بالشكر والثناء والتحدث بنعم الله . والاعتراف بها شكر وعن مجاهد ﴿ **وأما بنعمة ربك** ﴾ قال بالقرآن وعنه قال : بالنبوة : أى بلغ ما أرسلت به والخطاب للنبى ﷺ والحكم عام له ولغيره وعن الحسن بن على رضى الله عنهما قال : إذا أصبت خيراً أو عملت خيراً فحدث به الثقة من إخوانك وعن عمرو بن ميمون قال : إذ لقى الرجل من إخوانه من يثق به يقول له رزق الله من الصلاة البارحة كذا قرأت كذا وصليت كذا وذكرت الله كذا وفعلت كذا فقلنا له ياأبا فراس إن مثلك لا يقول هذا قال يقول الله تعالى : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ وتقولون أنتم : لا تحدث بنعمة الله ونحوه عن أيوب السختيانى وأبى رجاء العطاردى رضى الله عنهم وروى الشعبى عن النعمان بن بشير قال : قال النبى ﷺ : « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله والتحدث بالنعم شكر وتركه كفر والجماعة رحمة والفرقة عذاب » وروى النسائى عن مالك بن نضلة الجشمى قال : كنت عند رسول الله ﷺ جالساً فرآنى رث الثياب فقال : « ألك مال ؟ » قلت نعم يارسول الله من كل المال قال : إذا أتاك الله مالا فلير أثره عليك » وروى أبو سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده » . والنعمة سبب الشكر والشكر سبب المزيد فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾[2] وقد يشكل على البعض الجمع بين ما ذكرناه وبين ما جاء فى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظلة يوم لاظل إلا ظله ومنهم رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لاتعلم شماله ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خالياً

---

(١) الضحى : (١١) . (٢) إبراهيم : (٧) .

ففاضت عيناه وهي تدل على الحرص على إخفاء الطاعات والاستتار بها . ولا تعارض ولاتنافي بين المعنيين فالأمر يدور بين الأتقياء البارزين المشهورين وبين الأتقياء الأخفياء وكلاهما سواء أظهر طاعته أم استتر بها فله نية حسنة ومقصد نبيل ولا يصح اتهام الناس في نواياهم حتى وإن نصحناهم بإخلاص العبودية لله تعالى إذ لا يطلع على ما في القلوب إلا الله تعالى ﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ (١) وشبيه بهذا قيام الليل وهل الأفضل فيه الجهر أم الاستسرار فمن فضل الجهر قال لأن الخير فيه متعد للآخرين وفيه زيادة عمل وقد يتأس به الآخرون في فعله ومن فضل الاستسرار قال لأنه أبعد عن الرياء وحتى لايوقظ من احتاج للنوم وعموماً فالأمر يحتاج إلى نظر وروية ومعرفة بواقع الحال وعدم تسرع في الحكم على الخلائق والسلامة لا يعدلها شيء وخصوصاً إذا ضعف الإيمان وتخوف الإنسان الرياء على نفسه وإلا فمن يأمن على نفسه وخصوصاً مع معرفته بتقصيرها وتفريطها والأمر كما ترى يحتاج إلى مجاهدة صادقة في الجمع بين المصالح ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾(٢) .

سبب شهرة الأئمة الأربعة

اشتهر الأئمة الأربعة بالعلم والصلاح وهم : الإمام أبو حنيفة النعمان ومالك ابن أنس ومحمد بن إدريس الشافعي وأحمد بن حنبل رحمهم الله جميعاً ومحبتهم في قلوب الخلق ومعلوم مدى البذل الذي بذلوه والجهاد الذي جاهدوه في إبلاغ الحق إلى الخلق فقد جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح ولكن من عجيب الأمر أن هذه المعاني تواجدت فيهم وفي غيرهم من علماء الأمة المعتبرين كسفيان الثوري رحمه الله والليث بن سعد وغيرهم وعلماء الأمة لا يحصون كثرة ولا يقتصرون على الأئمة الأربعة فلماذا اشتهر هؤلاء دون غيرهم ؟ والإجابة على ذلك أن الله تعالى قيض تلامذة خدموا مذاهب الأئمة الأربعة في فهم الكتاب والسنة ، وكثر عدد المشتغلين عليهم بطلب العلم فانتشر خبرهم واشتهر علمهم أكثر من غيرهم وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء .

---

(١) غافر : (١٩) . (٢) العنكبوت : (٦٩) .

كثرة القراء والسبب في الاقتصار على السبعة

قد أسهم المؤلفون فى القراءات فى الاقتصار على عدد معين لأنهم إذ يؤلفون مقتصرين على عدد مخصوص من أئمة القراء يكون ذلك من دواعى شهرتهم وإن كان غيرهم أجل منهم قدراً فيتوهم الناس بعد أن هؤلاء الذين اقتصر التأليف على قراءاتهم هم الأئمة المعتبرون فى القراءات وقد صنف ابن جبير المكى كتاباً فى القراءات فاقتصر على خمسة اختار من كل مصر إماماً وإنما اقتصر على ذلك لأن المصاحف التى أرسلها عثمان كانت خمسة إلى هذه الأمصار ويقال إنه وجه سبعة : هذه الخمسة ومصحفاً إلى اليمن ومصحفا إلى البحرين لكن لما لم يسمع لهذين المصحفين خبر وأراد ابن مجاهد وغيره مراعاة عدد المصاحف استبدلوا من مصحف البحرين ومصحف اليمن قارئين كمل بهما العدد ولذا قال العلماء : إن التمسك بقراءة سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة وإنما هو من جمع بعض المتأخرين فانتشر فلو أن ابن مجاهد مثلاً كتب عن غير هؤلاء السبعة بالإضافة إليهم لاشتهروا قال أبو بكر بن العربى : ليست هذه السبعة متعينة للجواز حتى لا يجوز غيرها كقراءة أبى جعفر وشيبة والأعمش ونحوهم فإن هؤلاء مثلهم أو فوقهم وكذا قال غير واحد من أئمة القراء وقال أبو حيان : ليس فى كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة إلا النزر اليسير فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راوياً ثم ساق أسماءهم واقتصر فى كتاب ابن مجاهد على اليزيدى واشتهر عن اليزيدى عشرة أنفس فكيف يقتصر على السوسى والدورى وليس لهما مزية على غيرهما لأن الجميع مشتركون فى الضبط والاتقان والاشتراك فى الأخذ قال : ولا أعرف لهذا سبباً إلا ما قضى من نقص العلم ا . هـ من الاتقان وضوابط القراءة الصحيحة هى :

(١) موافقة القراءة للعربية بوجه من الوجوه سواء أفصح أم فصيحاً .

(٢) أن توافق القراءة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً .

(٣) أن تكون القراءة مع ذلك صحيحة الإسناد لأن القراءة سنة متبعة يعتمد فيها على سلامة النقل وصحة الرواية .

وخلاصة القول أن من أعظم أسباب بقاء الذكر الجميل الدعاء وتحقق الإنسان بالعلم النافع والعمل الصالح وتقييض من يساعد ويساهم فى اشتهار الحال كطلبة علم كما حدث مع الأئمة الأربعة أو بكتاب متداول مشهور ككتاب أبى بكر بن مجاهد مما ساعد على اشتهار القراء السبعة وقد تكون الخصومة والعدواة سبباً فى اشتهار أمر الإنسان كما حدث من كفار قريش مع رسول الله ﷺ فى بداية الدعوة فقد وقفوا على مشارف الطرق يحذرون الناس من رسول الله ﷺ مما دعا هؤلاء للتعرف عليه وعلى دعوته وسيرته العطرة ﷺ وربنا جل وعلا قد يخدم هذا الدين بالرجل الفاجر . وكما ترى فالأمر كله يعود إلى الأخذ بالأسباب الشرعية متى وجدت وتفويض الأمر كله لله وأن تعلم أن الأمور تجرى بقدر وأن الفضل كله بيد الله .

ميكيا فيللى أحد صناع الشهرة الزائفة

ولد هذا الخبيث عام ١٤٦٩ م وتوفى عام ١٥٢٧ م . وقد أودع تعاليمه الخربة كتابه (الأمير) الذى يحرص رجال السياسة والحكم على التتلمذ عليه والاهتداء بهديه وقد وصلت به الجرأة إلى تنبيه الناس إلى نبذ الفضائل عند الاقتضاء وتحت عنوان (كيف يكون وفاء الأمير) يقول ما نصه : لا ينبغى للأمير الحذر أن يحفظ العهود إذا كانت ضد مصلحته وما دامت الأسباب التى دعت للوعد قد انقضى عهدها (المقصود بالأمير حاكم المقاطعة) إذا كان الناس كلهم أخياراً فإن القاعدة التى ذكرتها تكون لاشك سيئة ولكنهم أشرار ولن يحفظوا لك عهداً فلست مضطراً لحفظ عهودهم ثم إن الأمير لا يفقد حيلة شرعية يركن إليها إذا لم يف بوعده وأن الأمثال فى هذا الباب كثيرة تثبت أن السلم قد تزعزع مراراً وأن الوعود قد نسيت تكراراً بأمراء لا وفاء لهم وأن الذين استطاعوا من الأمراء تقليد الثعلب قد فازوا وانتصروا ولكن من الضرورى أن يخفى الرجل هذه الخليقة وأن يكون ماهراً فى فن التظاهر بغير شعوره ثم أن الناس من البساطة بمكان وهم أصحاب حاجات وصاحبها أرعن مطيع فلا يعدم الخادع فريسته . ثم يقول ميكيافيللى بعد ذلك بقليل ما نصه : ليس من الضرورى أن يتصف الأمير حقيقة بكل الفضائل التى سبق الكلام عليها ولكن من الضرورى أن يذاع عنه الاتصاف بها وإننى

أجسر فأقول : إن الاتصاف بكل تلك الفضائل خطر ولكن الظهور بالتحلى بها نافع إنه من الخير لك أن تظهر بالتقوى والأمانة وحب الإنسانية والدين والإخلاص وأن تكون فى الواقع كذلك ولكن ينبغى أن تكون منتبهاً بحيث إذا اضطررت للتحول إلى الصفات الأخرى كان ذلك بدون مشقة وينبغى العلم بأن الأمير لاسيما الحديث لا يمكنه ممارسة كل تلك الخلال الموصوفة بالحسن لدى الرجال لأنه يكون فى أغلب الأحيان مضطراً للاحتفاظ بالملك فيعمل ضد الإيمان والإحسان والإنسانية والدين لذا ينبغى أن يكون له عقل سهل التحول والانتقال حسبما يقتضيه تقلب الأحوال وألا يترك صنع الخير ما استطاع وأن يكون قادراً على صنع الشر إذا احتاج لذلك وينبغى للأمير ألا يحرك لسانه بكلمة لاتدل على أنه متحل بالخلال الخمس السالفة الذكر فلا يرى فيه الرائى ولا يسمع منه السامع إلا الأمانة والعفة والتقوى وحب الإنسانية وأهم تلك الصفات صفة التقوى لأن الرجال يحكمون عادة بالنظر لا بالخبرة وكل الناس ترى فيك مظاهرك وقليلون يلمسون حقيقتك وهؤلاء القليلون لا يستطيعون أن يقاوموا الكثيرين المحتمين بسلطة الأمير . فليعش الأمير وليحافظ على عرشه دون النظر فى الوسائل فإنها ستبقى على الدوام معتبرة شريفة يمدحها الكل لأن العامة مأخوذون بالظواهر وبنتائج الأشياء والعالم لا يشمل إلا العامة والقليلون من الخاصة لا يظهرون إلا عندما يضل الكثيرون ا . هـ .

فالغاية عنده تبرر الوسيلة والدين لديه مطية ووسيلة للمحافظة على الحكم فحسب وأقواله لاتحتاج لتعليق كثير فهى تدل على عدم إيمان بالله ولا باليوم الآخر ثم لا تغفل الفارق الكبير بين رجال السياسة ورجال الدعوة وإلا فرجل الدعوة قد يقف فى مواطن الهداية حتى وإن كلفته نفسه كصاحب ﴿ يس ﴾ الذى أتى من أقصى المدينة يسعى قال : ﴿ **يا قوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون ومالى لاأعبد الذى فطرنى وإليه ترجعون** ﴾ فأخذوه وعاجلوه بالقتل فنصحهم ميتاً كما نصحهم حيا قال : ﴿ **ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين** ﴾ .

كيف صنعوا المشاهير ببلادنا

كمثال والأمثلة كثيرة لا تنحصر انظر لما حدث فى ثورة سنة ١٩١٩ م فقد أبرق

اللورد اللنبى إلى وزارة الخارجية البريطانية يقول (بعد تحريه شهراً وبعد تغيير انجلترا لمندوبها فى مصر) .

(١) الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته .

(٢) أفرجوا عن سعد زغلول وأرسلوه إلى القاهرة . فخرج سعد ليصرف الثورة من دينية إلى وطنية تنادى بتحرير التراب ويشترك فيها الجميع وقال قولته المشهورة : الدين لله والوطن للجميع . وكأن التراب بذلك أهم على صاحب الثورة من دينه وكان ما كان بعد ذلك من رفع شعار الوطنية كبديل عن كلمة الإسلام وليصبح بذلك سهماً من جملة السهام المسمومة التى أُطلقت على جسم هذه الأمة لإبعادها عن دينها وعن إسلامها . وقد كتبت المصور يوم وفاة سعد زغلول تقول : وقد شارك البنائين الأحرار الماسون فى تشييع جنازة الزعيم الكبير وكان رحمه الله قطب من أقطاب الماسونية ـ ونشرت المقطم يوم الجمعة ٢٦ أغسطس سنة ١٩٢٧ (حداد الماسونية على فقيد البلاد الأعظم ـ فقدت الماسونية المصرية بفقد سعد العظيم الخالد عضواً كبيراً وفضلاً كثيراً وذخراً وفيراً كانت تعتز بفضله وستقام حفلة جنائز ماسونية للفقيد الأعظم يعلن موعدها فيما بعد ا . هـ والأمر لا يدعو للتعجب فهو قبل موته كان يقول : خسرنا كل شىء وكسبنا صداقة الإنجليز . وقال أيضاً : الإنجليز خصوم شرفاء معقولون .

وقد بين جورج كيرك مؤلف كتاب (موجز تاريخ الشرق الأوسط) أن القومية العربية ولدت فى دار المندوب السامى البريطانى وأظهر كيف أقامت أمريكا زعامات كاملة تدافع عن القومية العربية وما حدث من انقلابات من أجل ذلك .

ومن الأمثلة أيضاً : مصطفى كمال أتاتورك الذى وصف بالبطولة وأنه محرر الشعب التركى من سلطة السلاطين واتخذ مثالاً يحتذى لكثير من الثورات فى البلاد العربية حتى أن شوقى بعد الانتصار المدبر على الإنجليز أنشد يقول :

الله أكبر كم فى الفتح من عجب . يا خالد الترك جدد خالد العرب

ولكن ما لبث أن ظهر على حقيقته حيث ألغى الخلافة واللغة العربية حتى فى الآذان

وألغى المحاكم الشرعية وفرض العلمانية على الشعب التركى ونزع الحجاب ثم ظهرت الوثائق التاريخية فأثبتت عمالته للإنجليز وصلته بالماسونية حتى أنه عندما جضرته الوفاة استدعى السفير الإنجليزى وطلب منه أن يتولى حكم تركيا من بعده فاعتذر السفير بلباقة حتى لا تتكشف العمالة . وقد كان أتاتورك من يهود الدونمة وقدمت عائلته من المغرب وأخذ يترقى فى الجيش التركى وأحكمت خطة التلميع والإشهار بإنسحاب انجلترا أمامه ليرجع بعد ذلك بصورة البطل المنتصر ويتمم الدور المطلوب منه بإلغاء الخلافة .

وفى محيط المرأة حدث نوع من الإشهار لبعض النسوة لجرأتهن على دين الله ولتحللهن من شرع الله وقد ركزت الجهات المشبوهة دوماً على دور المرأة ودعوتها للاختلاط بالرجال وخلع الحجاب والتحلل الذى يطلقون عليه اسم (حرية المرأة أو التحرر) ومن جملة النماذج السيئة المشهورة هدى شعرواى التى أسست الاتحاد النسائى المصرى سنة ١٩٢٣ وكانت أول امرأة تسافر بلا محرم إلى أوربا وحضرت أو ل مؤتمر دولى نسائى عقد فى روما سنة ١٩٢٣ والمؤتمر الثانى سنة ١٩٢٤ ولما وصلت من هناك نزعت الحجاب أمام الجماهير هى وسيزا نبراوى سكرتيرتها وداسته بأقدامهما . وكذلك أمينة السعيد التى قضت عمرها تصرخ بحرية المرأة وتعتدى على الإسلام وآدابه وأحكامه .

وخلاصة القول أن نعلم أن : صناعة هؤلاء المشاهير المزيفين وإبراز أفكارهم وآرائهم واضفاء الهالة حولهم ليكونون قدوة وقادة للناس إنما تتولاه فى الأعم الأغلب أجهزة ودوائر مشبوهة ويلعب أعداء الإسلام والمسلمين بصفة خاصة دوراً كبيراً فى ذلك فاليهودية العالمية وما يتبعها من مؤسسات وهيئات وأندية ماسونية كالروتارى والليونز ونحوهما تسعى لجذب الشخصيات الهامة سواء كانت سياسية أو فكرية أو فنية لتكون بمثابة الأداة لها لترويج أفكارها ثم تسلط الأضواء عليهم ويكفى أن تنظر للسيل الجرار من المجالات التى تركز على حياة الفنانين والفنانات مثل (الشبكة _ الموعد _ سمر _ غرام _ الفتاة الشرقية ... وماذا يراد من ورائها إلا تحطيم وهدم هذه الأمة وإشهار كل ساقط وساقطة ولقد كان عدد كبير من فنانى مصر المشهورين أعضاء فى المحافل المصرية

الماسونية قبل إغلاقها سنة ١٩٦٦ م . وإذا كانت النفس المطمئنة قرينها الملك يسددها ويوفقها . فالنفس الأمارة بالسوء قرينها الشيطان يعدها ويمنيها . والشيطان يحرص على زخرفة الباطل وتحسين صورته كما صنع مع أبينا آدم حين قال : ﴿ **هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى** ﴾ (١) فصور له أنه إن أكل من هذه الشجرة التى نهى عنها فسيعيش حياة الخلد . ولذلك فهو يحرص أيضاً على إشهار أوليائه من الكافرين والمنحرفين حتى يفتتن بهم الناس فيضلونهم ويقودونهم إلى حتفهم . وقد وصفه رب العزة جل وعلا بأنه ﴿ **يَدعُواْ حِزبَهُ لِيَكُونُواْ مِن أَصحَابِ السَّعِيرِ** ﴾ (٢) . فإذا رأيت الرجل يزداد شهرة مع انحرافه وتسلط عليه الأضواء مع انسلاخه من دين الله بل ويعيش مع ذلك حياة النجوم فلابد من الحذر والتوجس واعلم أنه ما هو إلا ألعوبة فى يد الشيطان لإضلال عباد الله ولفتح أبواب الشر والفساد على خلق الله ﴿ **وَيَأبَى اللَّهُ إلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الكَافِرُون** ﴾(٣) . وقد ساعدت المخترعات الحديثة على سهولة الاتصال بحيث أصبح العالم بمثابة دائرة مغلقة فالأخبار التى تحدث فى أقاصى الدنيا تنقل فى نفس اللحظة وتدخل إلى كل بيت عن طريق الإذاعة والتليفزيون وغيرهما وهذا وإن كان فيه خير كثير إلا أنه لم يخلو من شر وفساد عظيم والواجب علينا أن نعيش حياة البصيرة حتى نميز بين الغث والسمين والإيمان والكفر والحق والباطل ويكون ميزاننا فى ذلك كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ﴿ **قُل هَذِهِ سَبِيلِى أَدعُواْ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِى وَسُبحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ المُشرِكِينَ** ﴾(٤) .

---

(١) طه (١٢٠) . (٢) فاطر (٦) .

(٣) التوبة (٣٢) . (٤) يوسف (١٠٨) .

آفات الشهرة

الطريق إلى الشهرة طريق محفوف بالمخاطر لا ينفك عن كثير من الآفات التي قد تصل بالإنسان إلى أن يبيع دينه لنيل شهرة زائفة أو هالة كاذبة والمضرة قد لاتقتصر على شخصه بل هي كثيراً ما تنسحب إلى غيره ومن هنا ورد الحث على التواضع وترك حب الظهور فعن أبي هريرة مرفوعاً « رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره » رواه أحمد ومسلم وقال الحافظ (فيه ترك حب الرئاسة والشهرة وفضل الخمول والتواضع) . واليك بعض الآفات التي تتعلق بالشهرة لتكون منها على حذر :

(١) إرادة الإنسان بعمله الدنيا

وهذه صورة من صور الشرك وفيها يستخدم الإنسان دينه لنيل مآرب الدنيا كالذى يجاهد للقطيفة والخميلة ونحو ذلك ولذلك سماه النبى ﷺ عبداً ففى الصحيح عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم تعس عبد الخميصة تعس عبد الخميلة إن أعطى رضى وإن لم يعط سخط تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له وإن شفع لم يشفع » رواه البخارى . وإذا شيك فلا انتقش : أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش وقال الطيبى : المعنى أنه إذا وقع فى البلاء لا يترحم عليه فإن من وقع فى البلاء إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ويتسلى بعض التسلى وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء أو شماتتهم . وهؤلاء رضاهم لغير الله وسخطهم لغير الله وهكذا حال من كان متعلقاً برئاسة أو بصورة أو نحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل له رضى وإن لم يحصل له سخط فهذا عبد ما يهواه من ذلك رقيق له إذ الرق والعبودية فى الحقيقة هو رق القلب وعبوديته فما استرق القلب واستعبده فهو عبده . وهذه الأمور نوعان . فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ومنكحه ومسكنه ونحو ذلك فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه فيكون المال عنده يستعمله فى حاجته بمنزلة حماره الذى يركبه وبساطه الذى يجلس عليه من غير أن

يستعبدوه فيكون هلوعاً . ومنها ما لا يحتاج إليه العبد فهذه ينبغي أن لا يعلق قلبه بها فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً لها وربما صار بالإضافة لذلك معتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لغير الله وهذا من أحق الناس بقول النبي ﷺ : تعس عبد الدينار وتعس عبد الدرهم ... وعبد الله من يرضيه ما يرضى الله ويسخطه ما يسخط الله ويحب ما أحب الله ورسوله ويبغض ما أبغضه الله ورسوله ويوالى أولياء الله ويعادى أعداء الله فهذا هو الذى استكمل الإيمان . ثم قال طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه (وهو المجاهد في سبيل الله) قال بعضهم : قيل إن هذا إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأربابها بحيث لا يبتغي مالاً ولاجاهاً عند الناس بل يكون عند الله وجيهاً ولم يقبل الناس شفاعته ويكون عند الله شفيعاً مشفعاً . وفى تفسير قوله تعالى : ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الحَيَاةَ الدُّنيا وَزِينَتَها نُوفِ إِلَيهِم أَعمَالَهُم فِيهَا ﴾[1] قال ابن عباس : (من كان يريد الحياة الدنيا) ، أى ثوابها أى مآلها وزينتها (نوف إليهم) نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسرور فى الأهل والمال والولد (وهم فيها لا يبخسون) لا ينقصون . (وحبط ما صنعوا فيها) قال بعض المفسرين : وحبط في الآخرة ما صنعوا وصنيعهم يعنى لم يكن لهم ثواب لأنهم لم يريدوا به الآخرة وإنما أرادوا به الدنيا وقد وفى إليهم ما أرادوا (وباطل ما كانوا يعملون) أى كان عمله فى نفسه باطلاً لأنه لم يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له . وسبيل النجاة والسلامة أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله بل ولك فى سلف الأمة أسوة وقدوة فقد كانوا وعلى الرغم من تقواهم وإخلاصهم يقول الواحد منهم : لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب وذلك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ ﴾[2] . بقى أن يقال إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرض الله ثم يحج بعده لأجل الدنيا كما هو واقع فهو لما غلب عليه منهما وقد قال بعضهم القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخلص وأهل النار الخلص ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله .

---

(١) هود (١٥) . (٢) المائدة (٢٧) .

(٢) الرياء

فطالب الشهرة يعمل ليراه الناس ويعظموه ويرى أنه لن يتحصل على الشهرة ولن يحافظ عليها إلا بالرياء والعمل لأجل المدح والجلالة فى أعين الناس وهذا صنف خاسر كسابقه إذ لا يقبل الله من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه فعن أبى هريرة مرفوعاً قال الله تعالى : « أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه » رواه مسلم . فالمرائى قصد بعمله الله تعالى وغيره وجعل الله شريكاً فإذا كان كذلك فالله تعالى هو الغنى على الإطلاق والشركاء بل جميع الخلق فقراء إليه . وفى رواية ابن ماجه وغيره « فأنا منه برىء وهو للذى أشرك » كحال المنافقين فى صلاتهم ﴿ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ ﴾(١) وكذلك وصف الله الكفار بالرياء فى قوله: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِم بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ ﴾(٢) . فلا اعتداد ولا ثواب إلا لما خلصت فيه النية لله تعالى . والفرق بين الرياء والسمعة: أن الرياء هو العمل لرؤية الناس والسمعة العمل لأجل سماعهم . فالرياء يتعلق بحاسة البصر والسمعة بحاسة السمع ويدخل فيه أن يخفى عمله لله تعالى ثم يحدث به الناس وفى حديث شداد بن أوس مرفوعاً : « من صلى يرائى فقد أشرك ومن صام يرائى فقد أشرك ومن تصدق يرائى فقد أشرك وإن الله عز وجل يقول: أنا خير قسيم لمن أشرك بى . فمن أشرك بى شيئاً فإن جسده وعمله قليله وكثيره لشريكه الذى أشرك به أنا منه غنى » رواه أحمد . وحديث الضحاك بن قيس مرفوعاً : « إن الله عز وجل يقول : « أنا خير شريك فمن أشرك معى شريكاً فهو لشريكى » يأيها الناس أخلصوا أعمالكم لله عز وجل فإن الله لا يقبل من الأعمال إلا ما خلص له ولا تقولوا هذا لله وللرحم فإنها للرحم وليس لله منه شىء ولا تقولوا هذا لله ولوجوهكم فإنه لوجوهكم وليس لله منه شىء » رواه البزار وابن مردويه والبيهقى بسند قال المنذرى : لابأس به وحديث أبى أمامة الباهلى أن رجلاً جاء رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ما له ؟ فقال رسول الله : « لا شىء له » فأعادها

---

(١) النساء (١٤٢) . (٢) الأنفال (٤٧) .

عليه ثلاث مرات يقول له رسول الله : « لا شيء له » ثم قال : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبو داود والنسائي بإسناد جيد . أما لو خالط نية الجهاد مثلاً نية غير الرياء مثل أخذ أجرة للخدمة أو أخذ شيء من الغنيمة أو التجارة نقص بذلك أجر جهادهم ولم يبطل بالكلية . وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ « إن الغزاة إذا غنموا غنيمة تعجلوا ثلثي أجرهم فإن لم يغنموا شيئاً تم لهم أجرهم . وقال الإمام أحمد : التاجر والمستأجر والمكارى أجرهم على قدر ما يخلص من نيتهم في غزواتهم ولا يكونون مثل من جاهد بنفسه وماله لا يخلط به غيره . وقال أيضاً فيمن يأخذ جعلاً على الجهاد إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس . وأما إن كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ودفعه فلا يضره بغير خلاف وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا يضره ذلك ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف حكاه الإمام أحمد وابن جرير الطبرى ورجحا أن عمله لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى وهو مروى عن الحسن البصرى وغيره ويستدل لهذا القول بما أخرجه أبو داود في مراسيله عن عطاء الخراساني أن رجلاً قال : يا رسول الله إن بنى سلمة كلهم يقاتل فمنهم من يقاتل للدنيا ومنهم من يقاتل نجدة ومنهم من يقاتل ابتغاء وجه الله قال : « كلهم إذا كان أصل أمره أن تكون كلمة الله هى العليا » وذكر ابن جرير أن هذا الاختلاف إنما هو في عمل مرتبط آخره بأوله كالصلاة والصيام والحج فأما ما لا ارتباط فيه كالقراءة والذكر وإنفاق المال ونشر العلم فإنه ينقطع بنيته الرياء الطارئة عليه ويحتاج إلى تجديد نية .

فأما إذا عمل العمل لله خالصاً ثم ألقى له الثناء الحسن في قلوب المؤمنين ففرح بفضل الله ورحمته واستبشر بذلك لم يضره وفي هذا المعنى جاء حديث أبي ذر عن النبي ﷺ أنه سئل عن الرجل يعمل العمل من الخير يحمده الناس عليه فقال : « تلك عاجل بشرى المؤمن » رواه مسلم ، وروى مسلم في صحيحه حديث الثلاثة الذين هم أول من تسعر بهم النار : المقاتل ليقال جرىء والمتعلم ليقال عالم والمتصدق ليقال جواد . وعن أبي سعيد مرفوعاً ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندى من المسيح الدجال ؟ قالوا : بلى . قال : « الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى فيزين صلاته لما يرى من نظر

رجل » رواه أحمد وابن ماجه والبيهقي وحسنه البوصيري في الزوائد .

قال ابن القيم : وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنع للخلق والحلف بغير الله وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت وهذا من الله ومنك وإنا بالله وبك وما لي إلا الله وأنت وأنا متوكل على الله وعليك ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا وقد يكون هذا شركاً أكبر بحسب حال قائله ومقصده » ا . هـ وضد الشرك الأكبر والأصغر التوحيد والإخلاص وهو إفراد الله بالعبادة باطناً وظاهراً والرياء أن يكون ظاهره خيراً من باطنه ومعلوم أن حب الرياسة والجاه عند الناس هو الحامل له على الرياء قال الطيبي : وهو من أضر غوائل النفس وبواطن مكائدها يبتلى به العلماء والعباد والمشمرون عن ساق الجد لسلوك طريق الآخرة فإنهم مهما قهروا أنفسهم وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح فطلبت الاستراحة إلى التظاهر بالخير وإظهار العلم والعمل فوجدت مخلصاً من مشقة المجاهدة إلى لذة القبول عند الخلق ولم تقنع باطلاع الخالق تبارك وتعالى وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله وحده فأحب مدحهم وتبركهم بمشاهدته وخدمته وإكرامه وتقديمه في المحافل فأصابت النفس في ذلك أعظم اللذات وأعظم الشهوات وهو يظن أن حياته بالله تعالى وبعبادته وإنما حياته هذه الشهوة الخفية التي تعمى عن دركها العقول الناقدة قد أثبت اسمه عند الله من المنافقين وهو يظن أنه عند الله من عباده المقربين وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها إلا الصديقون ولذلك قيل : آخر ما يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة ا. هـ . وكان حذيفة يتعوذ بالله من خشوع النفاق فلما قيل له وما خشوع النفاق ؟ قال : أن يرى البدن خاشعاً والقلب ليس بخاشع ، ولما رأى عمر شاباً قد طأطأ رأسه قال له يابن أخي ارفع رأسك فإن الخشوع لا يزيد على ما في القلب .

(٣) الكبر

والتكبر يحدث بالعلم والمال والجمال والحسب والنسب وكثرة الأتباع والأنصار والعشيرة وفي الحديث : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» فقال

رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال : « إن الله جميل يحب الجمال . الكبر بطر الحق وغمط الناس » وبطر الحق أى الاستنكاف عن قبوله ورده والنظر إليه بعين الاستصغار وذلك للترفع والتعاظم ومعنى غمط الناس : ازدراؤهم واحتقارهم . قال تعالى : ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾(1) وقال سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴾(2) وقال : ﴿ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾(3) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(4) وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال حبة من خردل من كبر » رواه البخارى . وقال النبى ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل يجر إزاره بطراً » رواه البخارى ومسلم وقال النبى يقول الله تعالى : « الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحداً منهما ألقيته فى جهنم ولا أبالى » رواه مسلم بنحوه . وعيب على من خرج من مجرى البول مرتين أن يتكبر. وقال المأمون : ما تكبر أحد إلا لنقص وجده فى نفسه ولا تطاول إلا لوهن أحس من نفسه وقيل من وضع نفسه دون قدره رفعه الناس فوق قدره ومن رفعها عن حده وضعه الناس دون حده وقال ابن المعتز : لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً ويرفع حقيراً وليس بفاعل :

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته ... انظر خلاك فإن النتن تثريبُ
لو فكر الناس فيما فى بطونهم ... ما استشعر الكبر شبانٌ ولا شيب
هل فى ابن آدم مثل الرأس مكرمة ... وهو بخمس من الأقذار مضروب
أنف يسيل وأذن ريحها سهك ... والعين مرفضة والثغر ملعوب
يا ابن آدم ومأكول التراب غداً ... أقصر فإنك مأكول ومشروب

وقال ابن السماك لعيسى بن موسى : تواضعك فى شرفك أشرف لك من شرفك . وروى عن عمر أنه نادى : الصلاة جامعة . فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيه ثم قال : أيها الناس لقد رأيتنى أرعى على خالات لى من بنى مخزوم فيقبضن لى القبضة من التمر والزبيب فأظل اليوم وأى يوم ؟ فقال عبد الرحمن

(1) الأعراف (146) . (2) غافر (35) .
(3) النحل (23) . (4) غافر (60) .

ابن عوف : والله ياأمير المؤمنين مازدت على أن قصرت بنفسك فقال عمر : ويحك يا ابن عوف إني خلوت بنفسي فقالت : أنت أمير المؤمنين فمن ذا أفضل منك فأردت أن أعرفها نفسها . وجاء أن عمر بن عبد العزيز أتاه ليلة ضيوف وكان يكتب فكاد السراج يطفأ فقال الضيف : أقوم إلى السراج فأصلحه فقال : ليس من كرم الرجل أن يستخدم ضيفه قال : أفأنبه الغلام ؟ فقال : هي أول نومة نامها فقام وملأ المصباح زيتاً فقال الضيف : قمت أنت ياأمير المؤمنين فقال : ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر ما نقص مني شيء وخير الناس من كان عند الله متواضعاً . فمن طلب التواضع فليقتد به ﷺ فلقد كان أعظم خلق الله في الدنيا والدين . عن أنس أن ناساً قالوا : يا رسول الله يا خيرنا وسيدنا وابن سيدنا فقال : «يأيها الناس لا يستهونكم الشيطان أنا محمد بن عبد الله فقولوا عبد الله ورسوله» . وعن ابن مسعود قال : أتى النبي رجل يكلم فأرعد (ارتعدت فرائصه) فقال له النبي ﷺ : «هون عليك فلست بملك أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد» . وسأل عمر رجلاً فقال له من سيد قومك ؟ فقال أنا : قال له عمر كذبت لو كان كذلك لم تقله . وقال الشافعي : أرفع الناس قدراً من لايرى قدره وأكثرهم فضلاً من لايرى فضله . وقال الفضيل بن عياض : رأس الأدب معرفة الرجل قدره . ولما قيل للعباس بن عبد المطلب عم رسول الله : أنت أكبر أم رسول الله قال : هو أكبر مني وأنا أسن منه (وكان أكبر سناً من رسول الله ﷺ) وقيل لأبي وائل : أيكما أكبر أنت أم الربيع بن خيثم قال : أنا أكبر منه سناً وهو أكبر مني عقلا ، قيل لعبد الله بن المبارك : ما التواضع ؟ قال : التكبر على المتكبرين ، وقال عبد الملك بن مروان : أفضل الرجال من تواضع عن رفعة وعفا عن ذروة وأنصف عن قوة . وكانوا يقولون : لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإن ظن أنه قد علم فقد جهل . وإن العفو لا يزيد العبد إلا عزاً فاعفوا يعزكم الله وإن التواضع لا يزيد العبد إلا رفعة فتواضعوا يرفعكم الله .

(٤) العجب والغرور

فالتفرد والامتياز قد يصيب الإنسان بحالة من حالات العجب والغرور وهذه من جملة الآفات المهلكات قال تعالى ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم

شيئاً ﴾ وقال النبي ﷺ « ثلاث منجيات وثلاث مهلكات فأما المنجيات فتقوى الله في السر والعلانية والقول بالحق في الرضا والسخط والقصد في الغني والفقر وأما المهلكات فهوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن » رواه البيهقي وهو حسن لطرقه كما قال الألباني . وقال النبي ﷺ : « بينما رجل يتبختر في بردين وقد أعجبته نفسه خسف الله به الأرض يتجلجل فيها إلى يوم القيامة » ولذلك قال تعالى : ﴿ فَلاَ تُزَكُّواْ أَنفُسَكُم ﴾(١) وقال سبحانه : ﴿ لاَ تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾(٢) والمن وليد العجب وهذا واضح من قول قارون ﴿ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾(٣) ومن قول صاحب الجنتين ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَراً ﴾(٤) وقال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(١) وقال ﷺ « إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية ـ أي عجبها وكبرها ـ كلكم لآدم وآدم من تراب » رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة وحسنه الألباني . وقال في خطبة الوداع : « أيها الناس إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب وليس لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أبيض ولا لأبيض على أحمر فضل إلا بالتقوى اللهم بلغت اللهم فاشهد ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب » . وقال تعالى ﴿ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴾(٧) ﴿ إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾(٨) وقال سبحانه ﴿ ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً ﴾ وثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه . وقال النبي ﷺ : « لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو أكبر منه العجب العجب . ولما قيل لعائشة رضي الله عنها « متى يكون الرجل سيئاً . قالت : إذا ظن أنه محسن . وقال عليّ أصعب ما على الإنسان معرفة نفسه . إذا أعجب الإنسان بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنبه فقد استحكمت هلكته وقيل لعامر بن مرة الزهري : من أحمق الناس ؟ قال : من ظن أنه أعقل الناس . وقيل

---

(١) النجم (٣٢) . (٢) البقرة (٢٦٤) .
(٣) القصص (٧٨) . (٤) الكهف (٣٤) .
(٢) الحجرات : (١٣) . (٢) الإسراء (٣٧) .

لحمسة بن رافع : من أحق الناس بالمقت ؟ قال الفقير المحتال والضعيف الصوال والغنى القوال . وقال النبى ﷺ « ما منكم من أحد ينجيه عمله قالوا : ولا أنت يا رسول الله قال : ولاأنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » متفق عليه . وحكى أن مطرف بن عبد الله الشخير نظر إلى المهلب بن أبى صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشى بالخيلاء فقال يا أبا عبد الله : ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال المهلب : أما تعرفنى ؟ فقال بلى أعرفك : أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة . فأخذ ابن عوف هذا الكلام فنظمه شعراً فقال :

عجبت من معجب بصبورته * وكان بالأمس نطفة مذرة
وفى غد بعد حسن صورته * يصير فى اللحد جيفة قذرة
وهو على تيهه ونخوته * ما بين ثوبيه يحمل العذرة

ومن أقوى أسباب الإعجاب كثرة مديح المتقربين وإطراء المتملقين الذين جعلوا النفاق عادة ومكسباً والتملق خديعة وملعباً .

﴿ألهاكم التكاثر حتى زرتم المقابر﴾(١) .

قال القرطبى « أى شغلكم المباهاة بكثرة المال والعدد عن طاعة الله حتى متم ودفنتم فى المقابر . وقيل ألهاكم أنساكم التكاثر أى من الأموال والأولاد قاله ابن عباس والحسن وقال قتادة : أى التفاخر بالقبائل والعشائر وقال الضحاك أى ألهاكم التشاغل بالمعاش والتجارة . وقال مقاتل وقتادة وغيرهما نزلت فى اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بنى فلان وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا ضلالاً . وقال ابن عباس ومقاتل والكلبى نزلت فى حيين من قريش : بنى عبد مناف وبنى سهم تعادوا وتكاثروا بالسادة والأشراف فى الإسلام فقال كل حى منهم نحن أكثر سيد وأعز عزيزاً وأعظم نفراً وأكثر عائذ فكثر بنو عبد مناف سهماً ثم تكاثروا بالأموات فكثرتهم سهم فنزلت ﴿ألهاكم التكاثر﴾ بأحيائكم فلم ترضوا حتى زرتم المقابر مفتخرين بالأموات . وعن قتادة قال : كانوا يقولون نحن أكثر من بنى فلان ونحن أعد من بنى فلان وهم كل يوم يتساقطون إلى آخرهم والله مازالوا كذلك حتى صاروا من أهل القبور كلهم . قال

القرطبى قلت الآية تعم جميع ماذكر وغيره وفى صحيح مسلم عن مطرف عن أبيه قال : أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قال : « يقول ابن آدم : مالى مالى وهل لك ياابن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت أما ما سوى ذلك فذاهب وتاركه للناس . وروى البخارى عن ابن شهاب أخبرنى أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لو أن لابن آدم وادياً من ذهب لأحب أن يكون له واديان ولن يملأ فاه إلا التراب ويتوب الله على من تاب » قال ثابت عن أنس عن أبى : كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قال ابن العربى : وهذا نص صحيح مليح غاب عن أهل التفسير فجهلوا وجهلّوا . والحمد لله على المعرفة وقال ابن عباس قرأ النبى ﷺ ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قال تكاثر الأموال جمعها من غير حقها ومنعها من حقها وشدها فى الأوعية ا . هـ . وعن أبى مالك الأشعرى أن رسول الله قال : « أربع فى أمتى من أمر الجاهلية لا يتركونهن الفخر فى الأحساب والطعن فى الأنساب والاستسقاء بالنجوم والنياحة وقال : « النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » رواه مسلم . والفخر بالأحساب أى التشرف بالآباء والتعاظم بعد مناقبهم ومآثرهم وفضائلهم وذلك جهل عظيم إذ لا شرف إلا بالتقوى كما قال تعالى ﴿ وَمَا أَموالُكُم وَلاَ أَولاَدُكُم بِالَّتِى تُقَرِّبُكُم عِندَنَا زُلفَى إِلاَّ مَن ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم ﴾[2] فالناس مؤمن تقى أو فاجر شقى وكلهم لآدم وآدم من تراب قال رسول الله « ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التى تدفع بأنفها النتن » رواه أبو دواد عن أبى هريرة مرفوعاً .

(٥) الحسد

فحب الرياسة وطلب الجاه من أعظم أسباب الحسد وذلك كالرجل الذى يريد أن يكون عديم النظير فى فن من الفنون إذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من واحد الدهر وفريد العصر فى فنه وأنه لا نظير له فإنه لو سمع بنظير له فى العالم لساءه ذلك وأحب موته أو زوال النعمة عنه التى بها يشاركه المنزلة من شجاعة أو علم أو عبادة

(١) سبأ (٣٧) . (٢) الحجرات (١٣) .

أو صناعة أو جمال أو ثروة أو غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسبب تفرده وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة الرسول ﷺ ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رياستهم وجاههم رغم أن البشارة به موجودة فى كتبهم التى بين أيدهم ويتعبدون بقراءتها .
والحسد من أعظم المهلكات وهو كبيرة من الكبائر وفى الحديث « لا حسد إلا فى اثنتين : رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل آتاه الله علماً فهو يعمل به ويعلمه الناس » متفق عليه وفى حديث أبى كبشة الأنمارى قال « مثل هذه الأمة مثل أربعة : رجل آتاه الله مالاً وعلماً فهو يعمل بعلمه فى ماله ورجل آتاه الله علماً ولم يؤته مالا فيقول رب لو أن لى مالاً مثل مال فلان لكنت أعمل فيه بمثل عمله فهما فى الأجر سواء ورجل آتاه الله مالاً ولم يؤته علماً فهو ينفقه فى معاصى الله ورجل لم يؤته الله علماً ولم يؤته مالاً فيقول لو أن لى مثل مال فلان لكنت أنفقه فى مثل ما أنفقه فيه من المعاصى فهما فى الوزر سواء » رواه ابن ماجه والترمذى وقال حسن صحيح والفارق كبير بين الغبطة والحسد فالغبطة ليس فيها تمنى زوال النعمة ولا كراهتها وترجع إلى إرادة المساواة واللحوق به فى النعمة وليكن معلوماً أن فتنة الجاه أعظم من فتنة المال ولا يقطع الطمع عن الناس إلا بالقناعة فمن قنع استغنى عن الناس وإذا استغنى الإنسان لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته فى القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه إلا بالقناعة وقطع الطمع .
فالكمال محبوب ولذيذ وكل ما يدل عليه ويؤكده قد تتطلع إليه النفوس ولذلك فالنفس تحب المدح والثناء وترتاح به وتنفر من الذم وتبغضه ولذلك عرف أبو حازم الزهد بقوله « أن يكون مادحك وذامك فى الحق سواء وأن يكون حالك فى المصيبة وحالك إذا لم تصب بها سواء وأن تكون بما فى يد الله أوثق منك بما فى يد نفسك » . .

يقول شيخ الإسلام ابن تمية فى مجموع الفتاوى « ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل فى الظالمين نفعه الله بتقواه كما جرى لزينب بنت جحش - رضى الله عنها - فإنها كانت هى التى تسامى عائشة من أزواج النبى ﷺ - وحسد لنساء بعضهن لبعض غالب لا سيما المتزوجات بزوج واحد فإن المرأة تغار على زوجها لحظها منه فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظها وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين فى رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر ويكون بين النظراء لكراهة أحدهما أن يفضل الآخر

عليه كحسد إخوة يوسف وكحسد ابنى آدم أحدهما لأخيه فإنه حسده لكون الله تقبل قربانه ولم يتقبل قربان هذا . فحسده على ما فضله الله من الإيمان والتقوى ـ كحسد اليهود للمسلمين وقتله على ذلك ولهذا قيل أول ذنب عصى الله به ثلاثة الحرص والكبر والحسد فالحرص من آدم والكبر من إبليس والحسد من قابيل حيث قتل هابيل . وفى الحديث « ثلاث لا ينجو منهن أحد : الحسد والظن والطيرة وسأحدثكم بما يخرج من ذلك إذا حسدت فلا تبغض وإذا ظننت فلا تحقق وإذا تطيرت فامض » رواه ابن أبى الدنيا من حديث أبي هريرة .

تقديم المفضول على الفاضل بسبب الشهرة

التقديم والتأخير يجب أن يكون وفق الموازين الشرعية التى جاءت فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ ولا تصلح الشهرة وحدها ضابطاً لذلك والإخلال بهذا المعنى يترتب عليه كثير من المخالفات الشرعية منها محبة ذوى الفسق والفجور وتقديمهم لشهرتهم على ذوى الصلاح والتقى من المغمورين فنجد البعض يتباهى برؤية بعض المغنين أو الراقصين أو الممثلين أو سماعهم أو حفظ سيرتهم وأخبارهم بينما هو لا يعبأ بعلماء الأمة وصالحيها بل ولم يحفظ شيئاً من كتاب الله ولا سنة رسول الله ﷺ فلا هو يعرف كيف يوحد ربه ولا كيف يصلى وما الذى تصح به الصلاة وماالذى تبطل به . والأمر لا يقتصر على ذلك فالبعض يقدم المقبورين كالسيد البدوى بشهرتهم على صحابة النبى ﷺ وذلك فى الحب والتعظيم ومعلوم أن كل صحابى أفضل من كل من جاء بعده . ويحدث هذا التقديم المغلوط أيضاً فى الإمامة وطلب العلم فيترك الناس الأخذ ممن كملت أهليته ويذهبون للمشاهير حتى وإن كانوا مفضولين أو على بدعة يقول الماوردى فى كتابه أدب الدنيا والدين « وليأخذ المتعلم حظه فمن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت وحسن الذكر باتباع أهل المنازل من العلماء إذا كان النفع بغيرهم أعم إلا أن يستوى النفعان فيكون الأخذ عمن اشتهر ذكره وارتفع قدره أولى لأن الانتساب إليه أجمل والأخذ عنه أشهر وقد قال الشاعر :

إذا أنت لم يشهرك علمك لم تجد * لعلمك مخلوقاً من الناس يقبله

وإن صانك العلم الذى قد حملته .. أتاك من يجتنيه ويحملـــــه

أى صانك عن المطامع الدنية والوقوف فى مواقف الريب .

وهكذا فأنت ترى أن الشهرة تقتضى تصرفات غير مشروعة أحياناً وتجعل الإنسان يقصر فى الخير إذا لم يتحقق له ما يريد وقد يؤدى التنافس عليها إلى أنواع من الشرور والخصومات عدا عن كونه قد يؤثر فى أصل النية فيحبط العمل وقد تفضى الشهرة بالناس إلى تقديس المشهورين وتقليدهم تقليداً أعمى وبالتالى فلابد من وقفة تحاسب فيها نفسك وتجردها لله عز وجل .

حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا

وزنوا أعمالكم قبل أن توزن وتهيئوا للعرض الأكبر يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية فحرى بك أن تقف مع نفسك هذه الوقفة وأن تحاسب نفسك هذه المحاسبة فما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار ومثل طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما زاد شرباً منه زاد عطشاً حتى يقتله ولوفكر الطامع فى عاقبة الدنيا لقنع ولوتذكر الجائع فضول مآلها لشبع فأنت من الشباب إلى الهرم ومن الصحة إلى السقم ومن الوجود إلى العدم وكان ميمون ابن مهران يقول « يا معشر الشيوخ ماينتظر بالزرع إذا ابيض قالوا الحصاد فنظر إلى الشباب فقال إن الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد وقبيح بالشباب تأخير التوبة وأقبح منه تأخير الشيوخ فخذ من صحتك لمرضك ومن فراغك لشغلك ومن حياتك لموتك وكن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح وقل لنفسك :

ألا يا نفس ويحك ساعدينى .. بسعى منك فى ظلم الليـــالى
لعلك فى القيامة أن تفوزى .. بطيب العيش فى تلك العلالى

وتحسس قلبك . فالقلب ملك مؤمر وقد قال النبى ﷺ : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله » رواه البخارى ومسلم .

ولا يسلم من عذاب الله إلا من آتى ربه بقلب سليم ﴿ **يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ واحذر أن تكون من أصحاب القلوب الميتة فصاحب هذا القلب يتبع كل شيطان مريد الدنيا تسخطه وترضيه إن أحب أحب لهواه وإن أبغض أبغض لهواه وإن منع منع لهواه فالهوى إمامه والشهوة قائده والجهل سائقه والغفلة مركبه واقف مع شهواته ولوكان فيها سخط ربه وغضبه فيه من محبة الشهوات وإيثارها والحرص على تحصيلها والحسد والعجب والكبر وحب العلو والفساد فى الأرض والرياسة ما هو مادة هلاكه وعطبه . فإن تنج من هذه الآفات تنج من ذى عظيمة وقد قال النبى ﷺ « تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصيرعوداً عوداً فأى قلب أشربها نكتت فيه نكتة سوداء وأى قلب أنكرها نكتت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين قلب أسود مرباد كالكوز مجخيا لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً إلا ما أشرب من هواه وقلب أبيض لاتضره فتنة مادامت السماوات والأرض » رواه مسلم وعن أبى سعيد مرفوعاً « إن من ضعف اليقين أن ترضى الناس بسخط الله وأن تحمدهم على رزق الله وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا يرده كراهية كاره (ضعيف ومعناه صحيح) وتمامه » وإن الله بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضى واليقين وجعل الهم والحزن فى الشك والسخط . فمن قوى يقينه علم أن الله وحده هو النافع الضار وأنه لا معول إلا على رضاه وليس لسواه من الأمر شىء كائنا ما كان فلا يهاب أحداً ولايخشاه لخوف ضرر يلحقه من جهته كما قال تعالى ﴿ **وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا** ﴾[1] (وإن تحمدهم على رزق الله) لا ينافى ذلك حديث « من لايشكر الناس لا يشكر الله » لأن المراد هنا إضافة النعمة إلى السبب ونسيان الخالق وعن عائشة أن رسول الله ﷺ قال « من التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس ومن التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس » رواه ابن حبان فى صحيحه « قال ابن رجب » فمن تحقق أن كل مخلوق فوق التراب فهو تراب فكيف يقدم طاعة من هو تراب على طاعة رب الأرباب أم كيف يرضى التراب بسخط الملك الوهاب ؟ إن هذا لشىء عجاب . وما

(١) الأحزاب (٣٩) .

أحسن ما قيل :

إذا صح منك الود يا غاية المنى .. فكل الذى فوق التراب تراب

وفى الحديث عقوبة من خاف الناس وآثر رضاهم على رضى الله وأن العقوبة قد تكون فى الدين عياذاً بالله من ذلك فإن المصيبة فى الدين أعظم من المصيبة فى الأموال والأبدان وفيه شدة الخوف على عقوبات الذنوب لاسيما فى الدين فإن كثيرا من الناس يفعل المعاصى ويستهين بها ولا يرى أثراً لعقوبتها ولا يدرى المسكين بمَ أصيب فقد تكون عقوبته فى قلبه كما قال تعالى ﴿ **فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** ﴾ اللهم إنا نعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لانحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك . واعلم أن الناقد بصير والعقبة كئود والحمل ثقيل والسفر طويل فخفف ظهرك من المعاصى والأوزار . روى عن على رضى الله عنه أنه قال : ما أحسنت إلى أحد قط ولا أسأت إليه فرفع الناس رؤوسهم تعجباً فقال ﴿ **إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا** ﴾[1] وفى خطاب ينصح فيه ابنه الحسن قال : يا بنى اجعل لنفسك ميزاناً فيما بينك وبين غيرك فأحب لغيرك ما تحب لنفسك واكره ما تكره لها ولا تظلم كما لاتحب أن تظلم وأحسن كما تحب أن يحسن إليك واستقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك وارض من الناس ما ترضاه لهم من نفسك ولا تقل ما لا تعلم وقل ما تعلم ولا تقل ما لاتحب أن يقال لك ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً واعلم أن حفظ ما فى يدك أحب إليك من طلب ما فى يد غيرك ولا تأكل من طعام ليس لك فيه حق فبئس الطعام الحرام وجد فى الحصول على معاشك » وكتب عمر إلى سعد بن أبى وقاص يقول : إن الله إذا أحب عبداً حببه إلى خلقه فاعتبر منزلتك من الله بمنزلتك من الناس واعلم أن ما لك عند الله مثل ما للناس عندك . فأعط كل ذى حق حقه وإذا عرفت فالزم فليس لك إلا أن تتابع صراط الله المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً وهؤلاء لم يبحثوا عن شهرة زائفة كاذبة وإنما أخلصوا العبودية لله فى أقوالهم وأفعالهم

---

(١) الإسراء (٧) .

فرفع ربنا ذكرهم وأعلى أثرهم وجعل العاقبة لهم فازدادوا تواضعاً لربهم ومعرفة بحقه وشكراً لفضله ـ وإياك أن تكون ممن يتابع السبل المعوجة طلباً لشهرة الندامة والحسرة فتبيع دينك بدنيا غيرك ويغرك بالله الغرور وتكون قد أخذتها من حرام ووضعتها فى حرام وتمتلىء نفسك بعد ذلك غروراً وكبراً ورياء وعجباً ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(1) وتذكر حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله وفوت رضاه مع علمك بأنك بعت كل ذلك بثمن بخس دراهم معدودة إذ لم تبع ذلك إلا بشهوات حقيرة فى الدنيا أياماً قصيرة ﴿ **وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة وهم لايؤمنون إنا نحن نرث الأرض ومن عليها وإلينا ترجعون** ﴾ وعن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ أن موسى عليه السلام سأل ربه : ماأدنى أهل الجنة منزلة ؟ فقال : رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم ؟ فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا ؟ فيقول رضيت رب فيقول له : لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت رب فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال : رب فأعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدى وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر) رواه مسلم .

موعظة وتذكرة

اعلم يا مسكين أنك على القرب لا محالة مرتحل وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار وأكثر من ذكر الموت فإنك لا تكون فى ضيق من أمرك ومعيشتك فتذكر الموت إلا اتسع ذلك عليك ولا تكون فى سرور من أمرك وغبطة فتذكر الموت إلا ضيق ذلك عليك

---

(1) الزمر (٥٤ ـ ٥٨) .

فإن من كان قبلكم كانوا يجمعون كثيراً ويبنون شديداً ويأملون بعيداً فأصبح جمعهم بوراً وبنيانهم قبوراً وأملهم غروراً فكم من مستقبل يوما لا يستكمله ومنتظر غداً لا يبلغه ولو نظرتم إلى الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ثلاث أضحكتنى حتى أبكتنى « طالب دنيا والموت يطلبه وضاحك ملء فيه ولا يدرى أأرضى ربه أم أسخطه وغافل ليس بمغفول عنه » وتفكر وتأمل فيما ستصير إليه فعلك تنطق كما نطق عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقال « قبور خرقت الأكفان ومزقت الأبدان ومصت الدم وأكلت اللحم ترى ما صنعت بهم الديدان ؟ محت الألوان وعفرت الوجوه وكسرت الفقار وأبانت الأعضاء ومزقت الأشلاء ، ترى أليس الليل والنهار عليهم سواء أليس هم فى مدلهمة ظلماء ؟ كم من ناعم وناعمة أصبحوا وجوههم بالية وأجسادهم عن أعناقهم نائية قد سالت الحدق على الوجنات وامتلأت الأفواه دماً وصديداً ثم لم يلبثوا والله إلا يسيراً حتى عادت العظام رميماً ، قد فارقوا الحدائق فصاروا بعد السعة إلى المضائق ثم راح ينادى » يا ساكن القب غداً ما الذى غرك من الدنيا ؟ أين دارك الفيحاء ؟ وأين رقاق ثيابك ؟ ليت شعرى ، كيف ستصبر على خشونة الثرى وبأى خديك يبدأ البلى ؟ ثم يأتى الحسن البصرى ينادى « المبادرة المبادرة فإنما هى الأنفاس لو حبست انقطعت عنكم أعمالكم أنكم أصبحتم فى أجل منقوص والعمل محفوظ والموت والله فى رقابكم والنار بين أيديكم فتوقعوا قضاء الله عز وجل فى كل يوم وليلة لقد فضح الموت فلم يترك لذى لب فرحاً وإن أمرأ هذا الموت آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وإن أمرأ هذا الموت أوله لحقيق أن يخاف آخره إنك والله وأن تصحب أقواما يخوفونك حتى تدرك أمنا خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف . وينكشف للإنسان بالموت ما لم يكن مكشوفاً له فى الحياة والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما ينكشف له ما يضره وينفعه من حسناته وسيئاته فلا ينظر إلى سيئة إلا ويتحسر عليها وعند ذلك يقال له ﴿ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً ﴾[1] فانظر إلى هذا المأخوذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك به من الخوف والخجلة والحياء والتحسر والندم فهذا حال الميت الفاجر المغتر بالدنيا المطمئن إليها قبل نزول عذاب القبر

(١) الإسراء : (١٤) .

به بل عند موته نعوذ بالله منه فإن الخزى والافتضاح وهتك الستر أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرهما وأعظم من ذلك كله الأخطار التى بين يديه من نفخ الصور والبعث يوم النشور والعرض على الجبار والسؤال عن القليل والكثير ونصب الميزان لمعرفة المقادير ثم جواز الصراط مع دقته وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإسعاد وإما بالإشقاء فهذه أحوال لا بد لك من معرفتها ثم الإيمان بها على سبيل الجزم والتصديق ثم تطويل الفكر فى ذلك لينبعث من قلبك دواعى الاستعداد لها وكما قالوا من لم يردعه ذكر الموت والقبور والآخرة فلو تناطحت الجبال بين يديه لم يرتدع . ويكفى أن تنظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة غرلا إلى أرض المحشر أرض بيضاء قاع صفصف لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً ولا ترى عليها ربوة يختفى الإنسان ورائها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها يساقون إليه زمراً فسبحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هى النفخة الأولى والرادفة هى النفخة الثانية وحقيق لتلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة . قال رسول الله ﷺ « يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرص النقى ليس فيها معلم لأحد » متفق عليه . قال تعالى ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ﴾(١) فانظر يا مسكين فى هول ذلك اليوم وشدته فإنه إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لخمود سراجها فبيناهم كذلك إذ دارت السماء من فوق رءوسهم وانشقت مع غلظها والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فيا هيبة ليوم تنشق فيه السماء فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالمهل وصارت الجبال كالعهن واشتبك الناس كالفراش المبثوث وهم حفاة عراة مشاة قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان حتى قالت السيدة عائشة واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال النبى ﷺ شغل الناس عن ذلك بهم ﴿ لِكُلِّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴾(٢) فأعظم بيوم تنكشف فيه العورات ويؤمن فيه مع ذلك النظر والالتفات . كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه

(١) إبراهيم : (٤٨) .   (٢) عبس (٣٧) .

قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركباناً ومشاة وعلى وجوههم» فقال رجل يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال «الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم» رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة . فإياك أن تنكر شيئاً من عجائب يوم القيامة لمخالفته قياس ما فى الدنيا فإنك لو لم تكن قد شاهدت عجائب الدنيا ثم عرضت عليك قبل المشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر فى قلبك صورتك وأنت واقف عارياً مكشوفاً ذليلاً مدحوراً متحيراً مبهوتاً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالسعادة أو بالشقاوة وأعظم هذه الحال فإنها عظيمة . وما ظنك بيوم قاموا فيه على أقدامهم مقدراً خمسين ألف سنة لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشاً واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آنية قد آن حرها واشتد لفحها فلما بلغ المجهود منهم مالا طاقة لهم به كلم بعضهم بعضاً فى طلب من يكرم على مولاه ليشفع فى حقهم فقال كل نبى نفسى نفسى و قال كل واحد قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا ﷺ لمن يؤذن له فيه لا يملكون الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولاً . فتأمل فى طول هذا اليوم وشدة الإنتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن المعاصى فى عمرك المختصر والمؤمن له شأن آخر يوم القيامة قال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة المكتوبة يصليها فى الدنيا» ثم توهم نفسك وقد أخذت الملائكة بعضديك وأنت واقف بين يدى الله تعالى يسألك شفاهاً فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب ؟ ففيماذا أبليته ؟ ألم أمهل لك فى العمر ؟ ففيماذا أفنيته ؟ ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته ؟ وفيماذا أنفقته ؟ ألم أكرمك بالعلم ؟ فماذا عملت فيما علمت ؟ فكيف ترى حياءك وخجلتك وهو يعد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه ومساويك فإن أنكرت شهدت عليك جوارحك قال أنس رضى الله عنه : كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال «أتدرون مم أضحك ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال «من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تجرنى من الظلم قال يقول بلى قال فيقول فإنى

لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام الكاتبين شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقي قال فتنطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بُعداً لكن وسحقاً فعنكن كنت أناضل » رواه مسلم فنعوذ بالله من الافتضاح على ملأ الخلق بشهادة الأعضاء . إلا أن الله تعالى وعد المؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له : كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول عملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إني سترتها عليك في الدنيا وإني أغفرها لك اليوم »رواه مسلم . ثم تفكر في عظم حيائك إذا ذكرك ذنوبك شفاهاً إذ يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزتني بالقبيح واستحييت من خلقي فأظهرت لهم الجميل ؟ أكنتُ أهون عليك من سائر عبادي ؟ أستخففت بنظري إليك فلم تكترث واستعظمت نظر غيري ألم أنعم عليك ؟ فماذا غرك بي ؟ أظننت أني لا أراك وأنك لا تلقاني ؟ قال رسول الله ﷺ « ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالاً ؟ فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولاً ؟ فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر إلى شماله فلا يرى إلا النار فليتق أحدكم النار ولو بشق تمرة فإن لم يجد فبكلمة طيبة » .

ثم يأيها الغافل عن نفسه المغرور بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال دع الفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك برت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً ﴾(١) فأنت من الورود على يقين من النجاة في شك فاستشعر في قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه وتأمل في حال الخلائق وقد قاسوا من دواهي القيامة ما قاسوا فبينما هم في كربها وأهوالها وقوفاً ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لهب وسمعوا لها زفيراً وجرجرة تفصح عن شدة الغيظ والغضب فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجثت الأمم على الركب حتى أشفق البرآء من سوء المنقلب

(١) مريم (٧١) .

وخرج المنادى من الزبانية قائلاً : أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل المضيع عمره فى سوء العمل ؟ فيبادرونه بمقامع من حديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد وينكسونه في قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴾[1] فاسكنوا داراً يوقد فيها السعير شرابهم فيها الحميم ومستقرهم الجحيم الزبانية تقمعهم والهاوية تجمعهم أمانيهم فيها الهلاك وما لهم منها فكاك قد شدت أقدامهم إلى النواصى واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى ﴿ وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴾[2] ويقال لهم : ﴿ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾[3] ولو أخرجتم لكنتم إلى ما نهيتم عنه تعودون فعند ذلك يقنطون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ، ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف بل يكبون على وجوههم مغلولين النار تحيط بهم من كل جانب . قال رسول الله ﷺ : « إن أدنى أهل النار عذاباً يوم القيامة ينتعل بنعلين من نار يغلى دماغه من حرارة نعليه » متفق عليه وقال ابن عباس : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معايشهم فكيف من يكون طعامه ذلك » رواه الترمذى وقال حسن صحيح . وقال النبى ﷺ: « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك » رواه مسلم . فسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمام الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال الملك العظيم وتسلم من العذاب الأليم قال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ : « ينادى مناد : ياأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً فذلك قوله تعالى : ﴿ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[4] فشمر عن ساعد الجد وإذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه فى الآخرة وإن استطعت ألا يسبقك إلى الله أحد فافعل . ولا أظنك بعد ذلك ستطلب ظهوراً بالباطل أو ستشترى شهرة زائفة كاذبة على حساب دينك ثم احذر أن توالى أو تحب من كفر بالله حتى وإن كان مشهوراً وذلك لأن أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله واحرص على طاعة ربك والبعد عن كل ما يغضبه سبحانه

---

(١) الدخان (٤٩) . (٢) الزخرف (٧٧) .
(٣) المؤمنون (١٠٨) . (٤) الأعراف (٤٣) .

تفز بسعادة الدارين وقل : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾(١) .

حياة العبودية لهم خير لو كانوا يعلمون

وقد فقه ذلك فريق من الناس فسعد ، وانتقل من هذه الدار بسلام إلى دار السلام ، علموا أن العبادة لله هي الغاية المحبوبة له والمرضية له التي خلق الخلق لها كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾(٢) وبها أرسل جميع الرسل كما قال نوح لقومه : ﴿ اعْبُدُواْ اللَّهَ مَالَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾(٤) وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾(٥) وجعل ذلك لازماً لرسوله إلى الموت كما قال : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾(٦) وبذلك وصف ملائكته وأنبياءه فقال تعالى : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴾(٧) وذم المستكبرين عن عبادته بقوله : ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾(٨) ووصف بها صفوة خلقه فقال : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾(٩) وقال : ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً ﴾(١٠) ولما قال الشيطان : ﴿ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴾(١١) قال الله تعالى : ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾(١٢) وقال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَداً لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدّاً أَن

(١) طه (٨٤) .
(٢) الذاريات (٥٦) .
(٣) الأعراف (٥٩) .
(٤) النحل (٣٦) .
(٥) الأنبياء (٢٥) .
(٦) الحجر (٩٩) .
(٧) الأنبياء (١٩) .
(٨) غافر (٦٠) .
(٩) الإنسان (٦) .
(١٠) الفرقان (٦٣) .
(١١) الحجر (٣٩ : ٤٠) .
(١٢) الحجر : (٤١ ــ ٤٢) .

دَعَواْ لِلرَّحمنِ وَلَدًا وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحمَنِ أَن يَتخذَ وَلَدًا إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرضِ إِلا ءَاتِي الرَّحمَنِ عَبدًا لَّقَد أَحصَاهُم وَعَدَّهُمْ عَدا وَكُلُّهُم ءَاتِيهِ يَومَ القِيَامَةِ فَردًا ﴾(١) وقال تعالى عن المسيح الذى ادعيت فيه الإلهية والنبوة : ﴿ إِن هُوَ إِلا عَبدٌ أَنعَمنَا عَلَيهِ وَجَعَلنَهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسرَائِيلَ ﴾(٢) ولهذا قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح : « لا تطرونى كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله » وقد نعته الله بالعبودية فى أكمل أحواله فقال فى الإسراء : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِى أَسْرَى بِعَبدِهِ لَيلاً ﴾(٣) وقال : ﴿ فَأَوحَى إِلَى عَبدِهِ مَاأَوحَى ﴾(٤) وقال فى الدعوة : ﴿ وَأَنَّهُ لَما قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيهِ لِبَداً ﴾(٥) وقال فى التحدى : ﴿ وَإِن كُنتُم فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلنَا عَلَى عَبدِنَا فَأتوا بِسُورَةٍ مِّن مِثلِه ﴾(٦) فالدين كله داخل فى العبادة وقد ثبت فى الصحيح أن جبريل لما جاء إلى النبى ﷺ فى صورة أعرابى وسأله عن الإسلام : قال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً » قال : فما الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره ؛ قال : فما الإحسان ؟ قال : « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » - ثم قال فى آخر الحديث : « هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم » فجعل هذا كله من الدين . والعبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب . فهى تتضمن غاية الذل لله بغاية المحبة له ومن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون عابداً له ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له كما قد يحب الرجل ولده وصديقه ولهذا لايكفى أحدهما فى عبادة الله تعالى بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شىء وأن يكون الله أعظم عنده من كل شىء بل لا يستحق المحبة والذل التام إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة وما عظم بغير أمر الله فتعظيمه باطل قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُم وَإِخوَانُكُم وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَموَالٌ اقتَرفتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ

---

(١) مريم (٨٨ .... ٩٥) .
(٢) الزخرف (٥٩) .
(٣) الإسراء (١) .
(٤) النجم (١٠) .
(٥) الجن (١٩) .
(٦) البقرة (٢٣) .

تَرضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي القَوْمَ الفَاسِقِينَ ﴾(١) وإذا كانت العبادة هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة فلا يليق بك أن تجزىء أو أن تبعض هذا المفهوم وعليك أن تقيس أقوالك وأفعالك ومشاعرك وأحاسيسك بهذا الميزان . والعبادة التى نتقرب بها لله تعالى لكى تكون مقبولة فلا بد فيها من نية وصحة أو إخلاص ومتابعة . كما لا بد وأن تشتمل على الحب والخوف والرجاء ، ولأهمية هذه المعانى وشدة تعلقها بأمر الشهرة نفرد كلا منها بكلمة مختصرة سريعة .

الإخلاص

قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُواْ إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾(٢) وقال سبحانه : ﴿ فَمن كَانَ يَرجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً ﴾(٣) وقال تعالى : ﴿ الَّذِى خَلَقَ المَوْتَ وَالحَيَاةَ لِيبلُوكُم أَيُّكُمْ أَحسَنَ عَمَلاً ﴾(٤) قال الفضيل بن عياض : هو أخلصه وأصوبه قالوا : يا أبا على ما أخلصه وأصوبه؟ فقال : إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً وصواباً والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ . ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص لقوله تعالى : ﴿ إلا عِبَادكَ مِنهُم المُخلَصِينَ ﴾(٥) وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال :جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « لاشىء له » فأعادها ثلاث مرار ويقول رسول الله ﷺ : « لا شىء له » ثم قال : « إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصاً وابتغى به وجهه » رواه أبو دواد والنسائى بإسناد جيد . وفى الحديث : « ثلاث لا يغل عليهن قلب امرىء مؤمن ؛ اخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم » رواه البزار بإسناد حسن . فاحذر أن تكون ممن قال الله

---

(١) التوبة (٢٤) . (٢) البينة (٥) . (٣) الكهف (١١٠) .
(٤) الملك (٢) . (٥) ص (٨٣) .

فيهم : ﴿ وَبَدَا لَهُم مِنَ اللَّهِ مَا لَم يَكُونُوا يَحتَسِبُونَ وَبَدا لَهُم سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ﴾(١) ﴿ قُل هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخسَرِينَ أَعْمَالاً الَّذِينَ ضَلَّ سَعيُهُم فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَهُم يَحسَبُونَ أَنَّهُم يُحسِنُونَ صُنعاً ﴾(٢) ﴿ وَقَدِمنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِن عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنثُورا ﴾(٣) وكان البعض يقول : إخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : لو أعلم أن الله تقبل منى سجدة لكان فرحي بالموت أشد من فرح الأهل بقدوم الغائب وذلك لأن الله يقول : ﴿ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ ﴾(٤) ولما قيل للإمام سهل : أى شىء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب فالنفس تحب الظهور والشهرة والمدح والرياسة ولذلك كان أشد شىء على النفس إخلاص النية لله عز وجل . قال أيوب تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال . وإذا كان الإخلاص شرط قبول العبادة فعليك بإفراد الله عز وجل بالقصد فى الطاعات وجرد هذا القصد عن جميع الشوائب واعلم أن الخلق جميعاً لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً فضلاً عن أن يملكوا ذلك لك أنت والجنة والنار بيد الله سبحانه لا بيد أحد سواه فأخلص عملك لله وليكن عملك هنا ونظرك فى السماء واطرح المخلوقين من حساباتك وذلك لأن ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك . والإخلاص أن يعافيك الله منهما وكان عمر بن الخطاب يقول : اللهم اجعل عملى كله صالحاً واجعله لوجهك خالصاً ولا تجعل لأحد فيه شيئاً . فاجعل حساباتك حسابات أخروية ولك فى أنبياء الله ورسله أسوة وقدوة قال تعالى : ﴿ وَاذْكُر عِبادَنَا إِبراهِيمَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ أُولِي الأَيدِى وَالأَبْصَارِ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكرَى الدَّارِ وَإِنَّهُم عِندَنَا لَمِنَ المُصطَفَينَ الأَخيَارِ ﴾(٥) وقال فى حق يوسف : ﴿ كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا المُخلَصِينَ ﴾(٦) وقال : ﴿ سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ إِلاَّ عِبَادَ اللَّهِ المُخلَصِينَ ﴾(٧) وفى المسند عن ابن عمر عن النبى ﷺ أنه قال : « بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له وجعل رزقى تحت ظل رمحى وجعل الذلة والصغار على من خالف أمرى » .

(١) الزمر (٤٨) . (٢) الكهف (١٠٣) . (٣) الفرقان (٢٣) .
(٤) المائدة (٢٧) . (٥) ص (٤٥-٤٦) . (٦) يوسف (٢٤) .
(٧) الصافات (١٥٩-١٦٠) .

الاتــــباع

فالتوحيد توحيدان توحيد المرسل جل وعلا وتوحيد متابعة الرسول ﷺ والاتباع هو الشرط الثانى لقبول العمل وهو الجزء الثانى من كلمة الشهادة التى يدخل بها العباد فى الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله . وكل الطرق مسدودة إلا طريق رسول الله ﷺ ولذلك قال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾(١) وقال سبحانه: ﴿ فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُواْ فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾(٢) وقال سبحانه: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا ﴾(٣) حكى الشافعى إجماع الصحابة فمن بعدهم على أنه من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس أيا كان . ثم السنة تشمل أحكام الشرع التكليفية من واجب ومندوب ومباح لا كما يتوهم البعض أنها قاصرة على المستحبات بل هى تشمل أيضاً المسائل الاعتقادية ولذلك أطلقوا وصف أهل السنة والجماعة على من كان على مثل ما كان عليه رسول الله ﷺ وصحابته الكرام تمييزاً لهم عن أهل البدعة والافتراق قال تعالى ﴿ يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدعة والافتراق . وقالوا أهل السنة هم الذين يعرفون ما يدخلونه فى بطونهم . وطاعة النبى ﷺ واجبة وهى تارة تأتى مفردة مستقلة وتارة أخرى ترد مقرونة بطاعة الله والسنة لها شأن مع القرآن فهى تأتى مطابقة لما فى القرآن وتارة أخرى تخصص العام أو تقيد المطلق أو تفصل المجمل وقد تأتى بأحكام غير موجودة فى القرآن وكل ذلك وحى من عند الله والنبى ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾(٥) ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾(٦) ﴿ يَا أَيُّهَا

---

(١) آل عمران (١٠٦) .
(٢) آل عمران (٣١) .
(٣) النساء (٦٥) .
(٤) الأحزاب (٣٦) .
(٥) النور : (٥٤) .
(٦) الحشر : (٧) .

الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتم فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُم تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾(١)
والشرع مبنى على الكتاب والسنة ولذلك قال رسول الله ﷺ : « ألا إن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله » وفعل النبى ﷺ سنة وتركه أيضاً سنة طالما وجد المقتضي وانتفى المانع مثل ترك الآذان لصلاة العيدين وترك قراءة القرآن على الموتى فهذا الترك يُعد سنة وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالاتباع ونهانا عن الابتداع فقال : « من أحدث فى أمرنا هذا ماليس منه فهو رد » رواه البخارى ومسلم وفى رواية لمسلم « من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد » وفى حديث العرباض بن سارية : « فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافاً كثيراً فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة » رواه أحمد والترمذى وقال حسن صحيح وكان ﷺ يقول فى خطبته : « إن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة » رواه مسلم وعن سفيان قال : لا يقبل قول إلا بعمل ولا يستقيم قول وعمل إلا بنية ولا يستقيم قول وعمل ونية إلا بموافقة السنة وقال : استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء وعن ابن شوذب قال : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخى صاحب سنة يحمله عليها قال شيخ الإسلام ابن تيمية « وانما ينجو العبد منها (أى من الأمور التى تعرض لأهل السلوك والتوجه) بملازمة أمر الله الذى بعث به رسوله فى كل وقت كما قال الزهرى : كان من مضى من سلفنا يقولون : (الاعتصام بالسنة نجاة) وذلك أن السنة كما قال مالك رحمه الله : مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق . والعبادة والطاعة والاستقامة ولزوم الصراط المستقيم ونحو ذلك من الأسماء : مقصودها واحد ولها أصلان . أحدهما : أن لا يعبد إلا الله والثانى : أن لا يعبده إلا بما أمر وشرع لا يعبده بغير ذلك من الأهواء والظنون والبدع . قال تعالى : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾(٢) وقال تعالى : ﴿ **بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند**

---

(١) النساء (٥٩) . (٢) البقرة (١١٢) .

ربه ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ وقال تعالى : ﴿ ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفاً واتخذ اللهُ إبراهيم خليلاً ﴾(١) واتخذ الله إبراهيم خليلاً فالعمل الصالح : هو الإحسان وهو فعل الحسنات . والحسنات هي ماأحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمْر إيجاب أو استحباب فما كان من البدع في الدين التي ليست في الكتاب ولا في صحيح السنة فإنها وإن قالها من قالها وعمل بها من عمل : ليست مشروعة أ . هـ ونحن في هذا المنهج لا نحتقر طاعة من الطاعات حتى وإن كانت مستحبة قال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ﴾(٢) والمتهاون في المستحبات يوشك أن يتهاون في الواجبات وإن كنا لا نجعل الواجب كالمستحب كذلك يجب علينا أن نحذر هؤلاء الذين يتركون السنة بزعم الاكتفاء بالقرآن ويطلقون على أنفسهم وصف القرآنيين ولو فهموا القرآن لعلموا وجوب متابعة السنة قال تعالى: ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾(٣) وقال النبي ﷺ : « ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه » أي السنة . كما نحذر أيضاً هؤلاء الذين يستهزئون ويستخفون بسنة رسول الله ﷺ أو ينتقصون أهلها قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله ﴾ وجعل سبحانه من محبطات الأعمال رفع الصوت بحضرة رسول الله ﷺ ﴿ يأيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون ﴾(٤) ولا شك أن هذا الذم يلحق من رفع صوته بالاستهزاء والاستخفاف على سنة النبي ﷺ من بعده ويكفي هنا أن ننقل ما قاله الإمام مالك فقد آتاه رجل فقال له : من أين أحرم ؟ قال له الإمام : من حيث أحرم رسول الله ﷺ . فقال له الرجل فإني أريد أن أحرم من أبعد منه فقال له الإمام : فلا تفعل ، قال : ولما ؟ قال أخاف عليك الفتنة قال الرجل : وأى فتنة في ازدياد الخير؟ فقال له الإمام : ﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾(٥) .

---

(١) البقرة (٢٠٨) . (٢) النور (٦٣) . (٣) النساء (١٢٥) .
(٤) الحجرات (٢) . (٥) النور (٦٣) .

محبة الله تعالى

قال تعالى : ﴿ ومِنَ النَّاسِ مَن يَتخذ من دُونِ اللَّه أندَادًا يُحبُونَهُم كحبُ اللَّهِ وَالذِّينَ أمنُوا أشدُّ حُباً للَّهِ ﴾(١) وقال سبحانه : ﴿ يأيّها الذينَ آمنوا مَن يَرتدَّ منكُم عَن دِينه فَسوفَ يأتىَ اللَّه بقومٍ يُحبهُمْ ويُحبُونَهُ أذلَةٍ عَلَى المُؤمنينَ أعِزة عَلَى الكافِرينَ يُجاهدونَ فِي سبيلِ اللّهِ وَلا يخَافونَ لَوْمَةَ لائِم ﴾ وعن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار متفق عليه . وعن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ بعث رجلا على سرية فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ قل هو الله أحد فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال : سلوه لأى شيء يصنع ذلك؟ فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن وأنا أحب أن أقرأ بها فقال رسول الله ﷺ : « أخبروه أن الله تعالى يحبه » متفق عليه . والإله هو الذى تألهه القلوب بالمحبة والإجلال والتعظيم والذل له والخضوع والعبادة لا تصلح إلا له وحده سبحانه وهى عبارة عن كمال الحب مع كمال الخضوع والذل ، والرب تعالى يحب لذاته من جميع الوجوه وماسواه فإنما يحب تبعاً لمحبته وهو سبحانه يتحبب إلينا بالنعم رغم غناه عنا ﴿ ومابكم من نعمة فمن الله ﴾ فخيره إلينا نازل وشرنا إليه صاعد فهو أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، يقيل العثرات ويكشف الكربات ويغيث اللهفات ويغفر الخطيئات ويستر العوزات . يرحم عبده حيث لا يرحم نفسه ويستر عبده حيث لا يستر نفسه ويستحى من عبده حيث لا يستحى العبد منه فهو سبحانه أحق من ذكر وأحق من شكر وأحق من عبد وأرأف من ملك وأكرم من قصد وأعز من التجيء إليه وأكفى من توكل عليه ، أخذ بالنواصى وكتب الآثار ونسخ الآجال فالقلوب له مفضية والسر عنده علانية والغيب لديه مكشوف ، وكل أحد اليه ملهوف ، عنت الوجوه لنور وجهه ودلت الفطر على امتناع مثله وشبهه ، يطاع فيشكر ويعصى فيغفر فهو أقرب شهيد وأجل حفيظ وأوفى بالعهد وأعدل قائم بالقسط ﴿ ولله الأسماء

---

(١) البقرة (١٦٥) . (٢) المائدة (٥٤) .

الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ﴾ فكل مامنه إلى عبده يدعوه إلى محبته سبحانه ، خلقك لنفسه وخلق كل شيء لك في الدنيا فلا تنشغل بما خلق لك عما خلقت أنت من أجله . وقد جعل الله لأهل محبته علامتين : اتباع الرسول والجهاد في سبيله وذلك لأن الجهاد حقيقته الاجتهاد في حصول مايحبه الله من الإيمان والعمل الصالح وفى دفع مايبغضه الله من الكفر والفسوق والعصيان وقد قال تعالى: ﴿ **قل إن كان أباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم** ﴾ إلى قوله : ﴿ **حتى يأتى الله بأمره** ﴾(1) .

فتوعد من كان أهله وماله أحب إليه من الله ورسوله والجهاد فى سبيله بهذا الوعيد الشديد بل قد ثبت عنه ﷺ في الصحيح أنه قال : « والذى نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين » وفى الصحيح أن عمربن الخطاب قال : يارسول الله والله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسى فقال : لا ياعمر حتى أكون أحب إليك من نفسك فقال : فوالله لأنت أحب إلى من نفسى فقال : « الآن ياعمر» فحقيقة المحبة : لا تتم إلا بموالاة المحبوب وهو موافقته فى حب مايحب وبغض مايبغض والله يحب الايمان والتقوى ويبغض الكفر والفسوق والعصيان . بل محبة محبوب المحبوب من تمام محبة المحبوب فإذا أحب الأنبياء وأولياء الله لأجل قيامهم بمحبوبات الحق لا لشيء آخر فقد أحبهم لله لا لغيره وقد قال تعالى : ﴿ **فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين** ﴾(2) ومعلوم أن المحبوبات لاتنال غالبا إلا باحتمال المكروهات سواء كانت محبة صالحة أو فاسدة فالمحبون للمال والرئاسة والصور لا ينالون مطالبهم إلا بضرر يلحقهم فى الدنيا مع مايصيبهم من الضرر بالمال.نفسه فى الدنيا والآخرة فالمحب لله ورسوله إذا لم يحتمل مايرى من تحمل المحبين لغير الله مايحتملون فى سبيل حصول محبوبهم دل ذلك على ضعف محبته لله إذ كان مايسلكه أولئك فى نظرهم هو الطريق الذى يشير به العقل ومن المعلوم أن المؤمن أشد حبا لله كما قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾(3) والعبد لن يخلص من آلام الدنيا ونكد عيشها إلا

(1) التوبة (24) . (2) المائدة : (54) (3) البقرة (165) .

بإخلاص الحب لله بحيث يكون الله هو غاية مراده ونهاية مقصوده وهو المحبوب له بالقصد الأول وكل ماسواه إنما يحبه لأجله لا يحب شيئا لذاته إلا الله ومتى لم يحصل له هذا لم يكن قد حقق حقيقة « لا إله إلا الله » ولا حقق التوحيد والعبودية والمحبة لله . فمتى كان يحب غير الله لذاته أو يلتفت إلى غير الله أنه يعينه كان عبدا لما أحبه وعبدا لما رجاه بحسب له ورجائه إياه والخلة : هي كمال المحبة المستلزمة من العبد كمال العبودية لله ومن الرب سبحانه كمال الربوبية لعباده الذين يحبهم ويحبونه وهي لا تحتمل الشركة بخلاف أصل الحب فإنه ﷺ قد قال في الحديث الصحيح في الحسن وأسامة : « اللهم إني أحبهما فأحبهما وأحب من يحبهما » وسأله عمرو بن العاص : أي النساء أحب اليك ؟ فقال عائشة . قال فمن الرجال ؟ قال أبوها» وقال لعلي رضي الله عنه : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله . والخلة ثابتة لرسول ﷺ فهو خليل الله . والخلة ليس لغير الله فيها نصيب ولذلك قال النبي ﷺ : « لو كنت متخذا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا » ومن هذا يعلم مزيد مرتبة الخلة على مطلق المحبة ، ومحبة هذه الأمة لله أكمل من محبة من قبلها وعبوديتهم لله أكمل من عبودية من قبلهم وأكمل هذه الأمة في ذلك هم أصحاب محمد ﷺ .

ومن كان بهم أشبه كان ذلك فيه أكمل فاتباع هذه الشريعة والقيام بالجهاد بها من أعظم الفروق بين أهل محبة الله وأوليائه الذين يحبهم ويحبونه وبين من يدعى محبة الله وليس له حظ إلا اتباع البدع ، ولا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له وإن كان جزاء الله لعبده أعظم يقول ابن تيمية : وإنما دين الحق هو تحقيق العبودية لله بكل درجة وبقدر تكميل العبودية تكمل محبة العبد لربه وتكمل محبة الرب لعبده وبقدر نقص هذا يكون نقص هذا وكلما كان في القلب حب لغير الله كانت فيه عبودية لغير الله بحسب ذلك وكل محبة لا تكون لله فهي باطلة وكل عمل لا يراد به وجه الله فهو باطل كما أن كل عمل لا يكون على الصحيح الصريح من هدى رسول الله فهو باطل فالدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ماكان لله ولا يكون لله إلا ما أحبه الله ورسوله وهو المشروع أ.هـ راجع كتاب العبودية يقول

« وإذا كان العبد مخلصا لله اجتباه ربه فأحيا قلبه واجتذبه إليه فينصرف عنه ما يضاد ذلك من السوء والفحشاء ويخاف من حصول ضد ذلك بخلاف القلب الذى لم يخلص لله فإنه فى طلب وإرادة وحب مطلق فيهوى كل ما يسنح له ويتشبث بما يهواه كالغصن أى نسيم مر به عطفه وأماله فتاره تجتذبه الصور المحرمة وغير المحرمة فيبقى أسيرا عبدا لمن لو اتخذه هوعبدا لكان ذلك عيبا ونقصا وذماً ، وتارة يجتذبه الشرف والرئاسة فترضيه الكلمة وتغضبه الكلمة ويستعبده من يثنى عليه ولو بالباطل ويعادى من يذمه ولو بالحق. وتارة يستعبدهم الدرهم والدينار وأمثال ذلك من الأمور التى تستعبد القلوب والقلوب تهواها فيتخذ إلهه هواه ويتبع هواه بغير هدى من الله ومن لم يكن محبا خالصا لله عبدا له قد صار قلبه معبدا لربه وحده لا شريك له بحيث يكون أحب إليه من كل ماسواه ويكون ذليلا له خاضعا وإلا استعبدته الكائنات واستولت على قلبه الشياطين وكان من الغاوين إخوان الشياطين وصار فيه من السوء والفحشاء ما لايعلمه إلا الله وهذا أمر ضرورى لا حيلة فيه أ.هـ ».

الخوف من الله

كلما قويت معرفة العبد بنفسه وبربه كلما ازداد خشية ورهبة من الله تعالى ولذلك قال النبى ﷺ : « أنا أخوفكم لله » رواه البخارى وعند البخارى ومسلم من حديث عائشة والله إنى لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية ولما قيل للإمام الشعبى يا عالم قال إنما العالم من يخشى الله ﴿ **إنما يخش الله من عباده العلماء** ﴾ إذ قد علم أن الله سبحانه وتعالى لو أهلك العالمين لم يبال ولم يمنعه مانع ﴿ **ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبو ماترك على ظهرها من دابة** ﴾ فبحسب معرفة الإنسان بعيوب نفسه ونقصها وتقصيرها ومعرفته بجلال الله تعالى واستغنائه وأنه لا يسأل عما يفعل يكون خوفه وهذا الخوف عندما يتمكن من القلب تظهر آثاره على الجوارح . قال ابن مسعود رضى الله عنه : كفى بخشية الله علماً وكفى بالاغترار جهلاً ، وهناك خوف قاصر يدعو العبد لمواقعة الفواحش والمعاصى والإفراط فى الخوف قد يجر إلى اليأس والقنوط من رحمة الله والاعتدال فيه مطلوب ومحمود وبمقتضاه يسارع العبد فى طاعة ربه ويتباعد بنفسه عن

كل مايغضب الله تعالى . قال الفضيل : إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت . وقيل ليس الخائف من يبكي ثم يمسح دموعه بل من يترك مايخاف أن يعاقب عليه وقال بعضهم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه وقد وردت أخبار كثيرة في فضل الخوف من الله منها قوله تعالى ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ وقوله تعالى ﴿ رَّضِىَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾[1] .

وجمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم قال تعالى ﴿ هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾[2] بل وأمر به سبحانه وجعله شرطا فى الإيمان فقال سبحانه ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[3] فلذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وكلما قوى إيمانه قوى خوفه وشدة الرهبة والخشية علامة على قوة الإيمان . والمؤمن لا ينبغى أن يخاف أحدا إلا الله فالنفع والضر بيد الله والأرض والسموات ملك له سبحانه . وقد تتمهد أسباب الخوف من سبع أو نحوه ومثل هذا لا يذم قال تعالى ﴿ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴾[4] وكان موسى عليه الصلاة والسلام قد قتل رجلا من شيعة فرعون وقال تعالى حاكيا عن أهل الجنة ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾[5] وقال سبحانه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴾[6] وقال النبى ﷺ : قال الله عز وجل : « وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين ولا خوفين إن أمننى فى الدنيا أخفته يوم أجمع عبادى وإن خافنى فى الدنيا أمنته يوم أجمع عبادى » رواه أبو نعيم وسنده حسن وقال النبى ﷺ سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم : « رجلاً ذكر الله خاليا ففاضت عيناه » رواه البخارى ومسلم . وعن ابن عباس عن النبى ﷺ أنه قال : « عينان لا تمسهما النار عين بكت من

---

(١) البينة (٨) . (٢) الأعراف (١٥٤) .
(٣) آل عمران (١٧٥) . (٤) طه (٤٥) .
(٥) الطور (٢٥-٢٨) . (٦) المؤمنون (٥٧-٦١) .

خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله » رواه الضياء وغيره وسنده صحيح وعن أبي هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « كان رجل يسرف على نفسه لما حضره الموت قال لبنيه لئن قدر الله علي ليعذبني عذابا ماعذبه أحدا فلما مات فعل به ذلك فأمر الله الأرض فقال اجمعي مافيك ففعلت فإذا هو قائم فقال : ماحملك على ماصنعت ؟ قال خشيتك يارب أو قال مخافتك فغفر له » متفق عليه وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا إن سلعة الله الجنة . والدلجة هى السير أول الليل والخائف بحق هو الذى يبادر إلى الأعمال الصالحة . ومن تأمل حالة النبى ﷺ وصحابته الكرام وجدهم جمعوا بين شدة الخوف من الله مع شدة الاجتهاد فى طاعة الله فقد روت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير ويتردد فى الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله . رواه البخارى ومسلم . وكان إذا دخل فى الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل » رواه أحمد وأبو دواد والترمذى وعن أنس رضى الله عنه قال : خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط فقال : « لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرا » فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم ولهم خنين » رواه البخارى ومسلم . وكان أبو بكر رضى الله عنه يقول : وددت أنى شعرة في جنب عبد مؤمن وكان إذا قام إلى الصلاة كأنه عود من خشية الله عز وجل وقس على ذلك بقية الصحابة رضوان الله عليهم بشروا بالجنة وهذا هو خوفهم والواحد منا إيمانه لا يجاوز حنجرته وكأنه في مأمن من عذاب الله . قال مكحول : من عبد الله بالخوف فقط فهو حرورى ومن عبده بالرجاء فهو مرجيء ومن عبده بالمحبه فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد . قال بعض السلف لو نودى ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلا واحداً لخشيت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودى ليدخل النار كل الناس إلا رجلا واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل . فلابد من الخوف من الله لإحراق نار الشهوة ولقطع دابر حب الظهور بالباطل .

الرجاء

اعلم أن الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود ومطيتان

بهما يقطع من طريق الآخرة كل عقبة كؤود ولما كانت الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية مجرى تنقية الأرض وتطهيرها ومجرى حفر الأنهار وسياقة الماء إليها وأن القلب المستغرق بالدنيا كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة هو يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا مازرع ولا ينمو زرع إلا من بذر بذر الإيمان وقل أن ينفع إيمان مع خبث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو البذر في الأرض السبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد المغفرة برجاء صاحب الزرع . فالانتظار من غير سبب هو عبارة عن حمق وغرور ولذلك قالوا :

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها .. إن السفينة لا تجرى على اليبس

والرجاء إنما يصدق على انتظار محبوب تمهدت أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ماليس إلى اختياره وهو فضل الله سبحانه يصرف الموانع المفسدات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاه ماء الطاعات وطهر القلوب من شوك الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى ثباته على ذلك إلى الموت وحسن الخاتمة المفضية إلى المغفرة كان انتظاره لذلك رجاءً محموداً باعثاً على المواظبة على الطاعات والقيام بمقتضى الإيمان إلى الموت بعكس من قال فيهم ﴿ **فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا** ﴾ وذم القائل ﴿ **ولئن رددت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلباً** ﴾ ولذلك قال معروف: رجاؤك لرحمة من لا تطيعه خذلان وحمق . وهذا شبيه بحالة من ينهمك في المعاصي ثم يقول إن الله غفور رحيم ونسى أن عذابه هو العذاب الأليم . قال الحسن « ليس الإيمان بالتمنى ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل وإن قوما غرتهم أماني المغفرة ذهبوا ولاحسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا . لو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل . والأخبار في الرجاء كثيرة منها مارواه أبو هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « قال الله عز وجل : « أنا عند ظن عبدى بى » متفق عليه . وقال تعالى ﴿ **قُلْ يَاعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحمَةِ اللَّه إِنَّ اللَّه يَغفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(١) وقال سبحانه ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشرَكَ بِهِ وَيَغفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ** ﴾(٢) وقال ﴿ **ورحمتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ** ﴾(٣) وعن عمر بن

---

(١) الزمر : (٥٣) . (٢) النساء : (٤٨) . (٣) الأعراف (١٥٦) .

الخطاب رضي الله عنه قال : « قدم على رسول الله ﷺ بسبي فإذا امرأة من السبي تسعى إذ وجدت صبيا في السبي فأخذته فألزقته ببطنها فأرضعته فقال رسول الله ﷺ : أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار قلنا لا والله فقال الله أرحم بعباده من هذه بولدها» متفق عليه . وأهل الجنة يدخلون صفوفا متراصة عددهم مائة وعشرون صفا هذه الأمة عبارة عن ثمانين صفا فلله الحمد والمنة – وفي الحديث « والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله تعالى فيغفر لهم » رواه مسلم . وعن أنس رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تعالى : « يابن آدم إنك مادعوتني ورجوتني غفرت لك على ماكان منك ولا أبالي يا بن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يا بن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة » حسنه الترمذى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الخلق كتب في كتاب فهو عنده فوق العرش أن رحمتي تغلب غضبى » متفق عليه . وعن أنس رضى الله عنه قال جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يارسول الله أصبت حدا فأقمه على فحضرت الصلاة فصلى مع رسول الله ﷺ فلما قضى الصلاة قال يارسول الله إنى أصبت حداً فأقم فيَّ كتاب الله قال : هل حضرت معنا الصلاة ؟ قال : نعم . قال : قد غفر لك رواه البخارى ومسلم وأحمد . فتأمل هذه الروايات رحمك الله لتعرف مدى سعة رحمة الله تعالى فهو لم يخلق الخلق لكى يعذبهم ﴿ مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾[1] فهذه النعمة تستدعى شكرا وإيمانا واستقامة على شرعه سبحانه . والعبد في سفره إلى ربه على أن يستصحب زاد الرغبة والرهبة فبهذا امتدح الله الخُلَّص من عباده فقال ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَباً وَرَهَباً وَكَانُوا لنا خاشعينَ ﴾[2] يرجون رحمته ويخافون عذابه ولكن ينبغى أن يغلب جانب الخوف في حال الصحة فإذا نزل به المرض ودنا من الموت فعليه أن يغلب جانب الرجاء لقول النبى صلى الله عليه وسلم « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله » رواه مسلم لأن الرجاء فى هذه الحالة يقوى قلبه ويحبب إليه ربه قال سليمان التيمى عند الموت لمن حضره حدثنى بالرخص لعلى ألقى

---

(١) النساء (١٤٨) . (٢) الأنبياء : (٩٠) .

الله وأنا أحسن الظن به . وهكذا تسير النفس الى ربها سيرا معتدلا دون إفراط أو تفريط تتطلع لما عند الله تعالى وتعلم أن الآخرة خير وأبقى وأن الدنيا ماهى إلا متاع الغرور وخير زاد تتزوده فى سفرها هو زاد التقوى ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولى الألباب** ﴾ قال تعالى : ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله** ﴾ . روى الترمذى عن ابن عباس قال كنت خلف النبى ﷺ يوما فقال : « ياغلام إنى أعلمك كلمات ـ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشىء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشىء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » قال الترمذى حديث حسن صحيح .

أتقياء أخفياء

إن الله يحب الأتقياء الأبرار الأخفياء الذين إذا غابوا لم يفتقدوا وإذا حضروا لم يرعوا ولم يعرفوا مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة ، فاحرص على طاعة الله فإن ظهر أمرك واشتهر حالك فعش حياة العبودية لربك واصرف هذا الظهور فيما يقربك من مولاك وإلا فكن واحدا من هؤلاء الأفاضل واعلم أن الله سبحانه مطلع ورقيب ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه ﴿ **يَوْمَ يَبْعَثُهم اللهُ جَميعاً فَيُنَبِّئُهم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ واللَّهُ علىَ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾(١) فاتقِ الله حيثما كنت أى في سر أمرك وفى علانيتك وخف من الله على قدر قربه منك وقدرته عليك فلست تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره ولا من ملكه الى ملك غيره ورب العزة جل وعلا لا تضيع عنده مثاقيل الذر والجزاء من جنس العمل فقد روى أبو هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال : « إذا أحب الله العبد قال لجبريل : قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبريل عليه السلام ثم ينادى فى أهل السماء : إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فى الأرض » رواه البخارى ومسلم . وروى أيضا عن رسول الله ﷺ أنه قال « سبعة يظلهم

---

(١) المجادلة : (٦) .

الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم « رجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ماتنفق يمينه » وأيضا « رجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه ، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إنى أخاف الله » فاحرص على طاعة الله فى حلك وترحالك وإقدامك وإحجامك وأقوالك وأفعالك واسأل الله من فضله فلن يهلك على الله إلا هالك .

هل تعرف جليبيبا ؟

لا بد وأن يعترينا الخجل إذا كانت الإجابة بالنفى فى الوقت الذى تعرفنا فيه على دقائق سير المشهورين من الساسة والزعماء ورجال الأدب والفن وأضعنا الأوقات الكثيرة فيما لا فائدة فيه وكان أحرى بنا وأولى أن نتعرف على هؤلاء الأفاضل الأخيار فذكراهم تحيى القلوب وكلنا يحتاج لأسوة وقدوة روى مسلم عن أبى برزة أن النبى ﷺ كان فى مغزىً له فأفاء الله عليه فقال لأصحابه هل تفقدون من أحد قالوا نعم فلاناً وفلانا وفلاناً ثم قال هل تفقدون من أحد ؟ قالوا نعم فلانًا وفلاناً وفلاناً ثم قال هل تفقدون من أحد قالوا لا قال لكنى أفقد جليبيبا . فاطلبوه فطلب فى القتلى فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم ثم قتلوه . فأتى النبى ﷺ فوقف فقال قتل سبعة ثم قتلوه هذا منى وأنا منه هذا منى وأنا منه . قال فوضعه على ساعديه ليس له إلا ساعدا النبى ﷺ .قال فحفر له ووضع في قبره ولم يذكر غسلا . وقول النبى ﷺ عن جليبيب هذا منى وأنا منه معناه المبالغة فى اتحاد طريقتهما واتفاقهما فى طاعة الله تعالى ولكونه مات شهيدا رضى الله عنه لم يُغسل ولم يصل عليه . وهكذا رفع الإسلام جليبيباً بينما وضع أبا جهل وأبا لهب . وفى الحديث حث على التعرف على أمثال الصالحين حتى وإن كانوا مغمورين والسؤال عنهم وإبراز فضلهم والاعتراف بقدرهم ويتأكد هذا بصفة خاصة فى حق من يقود ويتزعم **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر وذكر الله كثيراً﴾** .

وعن أبى برزة الأسلمى أن جليبياً كان امرءا من الأنصار وكان أصحاب النبى ﷺ إذا كان لأحدهم أيم (التى لا زوج لها) لم يزوجها حتى يعلم النبى ﷺ : هل له فيها

حاجة أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار : يافلان زوجنى ابنتك قال : نعم ونعمة عين . قال إنى لست لنفسي أريدها قال : لمن ؟ قال لجليبيب قال : يارسول الله حتى أستأمر (أشاور) أمها . فأتاها فقال : إن رسول الله ﷺ يخطب ابنتك قالت : نعم ونعمة عين زوج رسول الله ﷺ . قال إنه ليس لنفسه يريدها قالت : فلمن ؟ قال لجليبيب قالت حلقى ألجليبيب ؟ لا لعمر الله لا أزوج جليبيباً . فلما قام أبوها ليأتى النبى ﷺ قالت الفتاة من خدرها لأبويها من خطبنى إليكما ؟ قالا : رسول الله ﷺ قال : أفتردون على رسول الله ﷺ أمره ؟ ادفعونى إلى رسول الله ﷺ فإنه لن يضيعنى . فذهب أبوها إلى النبى ﷺ فقال شأنك بها فزوجها جليبيبا . قال إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة لثابت : أتدرى ما دعا لها به النبى ﷺ ؟ قال : وما دعا لها به النبى ﷺ ؟ قال : اللهم صب عليها الخير صباً صباً ولا تجعل عيشها كداً كداً » رواه الإمام أحمد بسند صحيح ، قال ثابت فزوجها إياه ، فما فى الأنصار أيم أنفق منها . قال ابن سعد: وسمعت من يذكر أن جليبيبا كان رجلاً من بنى ثعلبة حليفا فى الأنصار . والمرأة التى زوجها النبى ﷺ إياه من بنى الحارث بن الخزرج رضى الله عنه . ولسائل أن يسأل مالونه ؟ وما اسم أبيه ؟ وما عمره ؟ كل هذا طوى عنا لكونه لا فائدة فيه وبقى جليبيب علما من أعلام الصلاح والتقى ترد سيرته على كل من طلب شهرة زائفة لا خير فيها ولا فائدة معها . ثم احرص على تحقيق معانى الأخوة الإيمانية والا فهى لا تقتصر على هؤلاء البارزين ولا بد من السعى فى مصالح هؤلاء الأخفياء الذين نتوسم فيهم الصلاح والتقى وإذا افتخر الناس يوما بأنهم قابلوا فلانا المشهور وتحدثوا معه أو صافحوه فليكن لك أنت شأن آخر تحرص على تقوى الله وتقترب من أهلها .

وماذا تعرف أيضاً عن ذى البجادين ؟

عن محمد بن سعد قال : كان ذو البجادين يتيماً لا مال له فمات أبوه ولم يورثه شيئاً وكفله عمه حتى أيسر فلما قدم النبى ﷺ المدينة كانت نفسه تتوق إلى الإسلام ولا يقدر عليه من عمه حتى مضت السنون والمشاهد ، فقال لعمه : ياعم إني قد انتظرت إسلامك فلا أراك تريد محمداً فائذن لى فى الإسلام وقال : والله لئن اتبعت محمدا لا أترك بيدك شيئا كنت أعطيتكه إلا نزعته منه حتى ثوبيك قال : فأنا والله متبع محمدا وتارك عبادة

الحجر ، وهذا مابيدى فخذه فأخذ ما أعطاه حتى جرده من إزاره . فأتى أمه فقطعت بجادا لها باثنين فأتزر بواحد وارتدى بالآخر ثم أقبل إلى المدينة وكان بورقان (جبل على يمين المار من المدينة إلى مكة) فاضطجع فى المسجد فى السحر (الوقت من آخر الليل) وكان رسول الله ﷺ يتصفح الناس إذا انصرف من الصبح فنظر إليه فقال : من أنت ؟ فانتسب له وكان اسمه عبد العزى فقال : أنت عبد الله ذو البجادين . ثم قال : انزل منى قريبا . فكان يكون فى أضيافه حتى قرأ قرآنا كثيراً فلما خرج النبى ﷺ إلى تبوك قال : ادع الله لى بالشهادة فربط النبى ﷺ على عضده لحى سمرة (من شجر الطلح) وقال : اللهم إنى أحرم دمه على الكفار فقال : ليس هذا أردت . قال النبى ﷺ :إنك اذا خرجت غازيا فأخذتك الحمى فقتلتك فأنت شهيد أو وقصتك دابتك (كسر العنق) فأنت شهيد . فأقاموا بتبوك أياما ثم توفى . قال بلال بن الحارث : حضرت رسول الله ﷺ ومع بلال المؤذن شعلة من نار عند القبر واقفا بها وإذا رسول الله ﷺ وهو يقول : « أدنيا إلىّ أخاكما فلما هيأه لشقه في اللحد قال : اللهم إنى قد أمسيت عنه راضيا فارض عنه » فقال ابن مسعود ليتني كنت صاحب اللحد . وعن أبى وائل عن عبد الله قال : والله لكأنى أرى رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وهو فى قبر عبد الله ذى البجادين وأبو بكر وعمر يقول أدنيا إلىّ أخاكما وأخذه من قبل القبلة حتى أسكنه فى لحده ثم خرج النبى ﷺ وولياهما العمل فلما فرغ من دفنه استقبل القبلة رافعا يديه يقول : « اللهم إنى أمسيت عنه راضيا فارض عنه » أخرجه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمى وهو متروك وكان ذلك ليلا يقول ابن مسعود فو الله لوددت أنى مكانه ولقد أسلمت قبله بخمس عشر سنة . فرضى الله عن ذى البجادين وعن سائر صحابة النبى ﷺ واعلم أن كل صحابى أفضل من كل من جاء بعده سواء كان مشهورا أو غير مشهور .

حُدير

أورد ابن الجوزي في صفة الصفوة رواية عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث جيشا فيهم رجل يقال له : حدير وكانت تلك السنة قد أصابتهم سنة (شدة) من قلة الطعام فزودهم رسول الله ﷺ ونسى أن يزود حديراً فخرج حُدير

صابراً محتسباً وهو فى آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هو يارب فهو يرددها وهو فى آخر الركب . قال :فجاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال له : إن ربى أرسلنى إليك يخبرك أنك زودت أصحابك ونسيت أن تزود حُديرا وهو فى آخر الركب يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هو يارب . قال فكلامه ذلك له نور يوم القيامة مابين السماء والأرض فابعث إليه بزاد . فدعا النبى ﷺ رجلا فدفع اليه زاد حدير وأمره إذا انتهى إليه حفظ عليه ما يقول وإذا دفع إليه الزاد حفظ عليه مايقول ويقول له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله ويخبرك أنه كان نسي أن يزودك وإن ربى تبارك وتعالى أرسل إلى جبريل يذكرنى بك فذكرهّ جبريل وأعلمه مكانك فانتهى إليه وهو يقول : لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله ويقول : نعم الزاد هذا يارب . قال : فدنا منه ثم قال له : إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام ورحمة الله وقد أرسلنى إليك بزاد معى ويقول :إنى إنما نسيتك فأرسل إليّ جبريل من السماء يذكرنى بك قال : فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبى ﷺ ثم قال : الحمد لله رب العالمين ذكرنى ربى من فوق سبع سماوات ومن فوق عرشه ورحم جوعى وضعفى يارب كما لم تنس حديراً فاجعل حديراً لا ينساك قال فحفظ ما قال ورجع إلى النبى ﷺ فأخبره بما سمع منه حين أتاه وبما قال حين أخبره فقال رسول الله ﷺ : أما إنك لو رفعت رأسك إلى السماء لرأيت لكلامه ذلك نورا ساطعا مابين السماء والأرض .

سعيد بن عامر

أسلم قبل خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ وما بعدها . أرسل إليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : إنا مستعملوك على هؤلاء فسر بهم إلى أرض العدو فتجاهد بهم . فقال : ياعمر لا تفتنى فقال عمر : والله لا أدعكم جعلتموها في عنقي ثم تخليتم مني . ثم استعمله على حمص وقال له ألا تفرض لك رزقا ؟ قال : قد جعل الله تعالى في عطائى مايكفينى دونه أو فضلاً على ما أريد . وعن حسان بن عطية قال : لما عزل عمرُ بن الخطاب معاوية بن أبى سفيان عن الشام بعث سعيد بن عامر بن حزيم

الجمحى . قال : فخرج معه بجارية من قريش نضيرة الوجه قال : فما لبث إلا يسيرا حتى أصابته حاجة شديدة . قال : فبلغ ذلك عمر فبعث إليه بألف دينار . قال : فدخل بها على امرأته فقال : إن عمر بعث إلينا بما ترين . فقالت : لوأنك اشتريت أدماً وطعاما وادخرت سائرها فقال لها : أولا أدلك على أفضل من ذلك ؟ نعطى هذا المال من يتجر لنا فيه فنأكل من ربحها وضمانها عليه قالت : فنعم إذا فاشترى أدماً وطعاماً واشترى غلامين وبعيرين يمتران عليهما حوائجهم وفرقها على المساكين وأهل الحاجة . قال : فما لبث إلا يسيرا حتى قالت له امرأته إنه قد نفذ كذا وكذا فلو أتيت ذلك الرجل فأخذت لنا من الربح فاشتريت لنا مكانه . قال فسكت عنها ثم عاودته فسكت عنها حتى آذته ولم يدخل بيته الا من ليل إلى ليل قال : وكان رجل من أهل بيته ممن يدخل بدخوله . فقال لها : ماتصنعين ؟ إنك قد آذيته إنه قد تصدق بذلك قال : فبكت أسفاً على ذلك المال . قال : ثم إنه دخل عليها يوماً فقال على رسلك، كان لى أصحاب فارقونى منذ قريب ما أحب أنى صددت عنهم وإن لى الدنيا وما فيها ولو أن خيرة من خيرات الجنان اطلعت من السماء لأضاءت لأهل الأرض ولقهر ضوء وجهها الشمس والقمر ولنصيف تكسى خير من الدنيا ومافيها ، فلأنت فى نفسى أحرى أن أدعك لهن من أن أدعهن لك قال : فسمحت ورضيت . وعن خالد بن معدان قال : استعمل عمر بن الخطاب رضى الله عنه بحمص سعيد بن عامر بن حذيم . فلما قدم عمر حمص قال يأهل حمص كيف وجدتم عاملكم ؟ فشكوه إليه وكان يقال لأهل حمص الكويفة الصغرى لشكايتهم العمال . قالوا : نشكوا أربعا : لا يخرج إلينا حتى يتعالى النهار قال أعظم بها قال : وماذا ؟ قالوا : له يوم فى الشهر لايخرج فيه إلينا . قال عظيمة . قال: وماذا ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل . قال وعظيمة . قال : وماذا ؟ قالوا يغنظ الغنظة بين الأيام أى تأخذه موتة . قال : فجمع عمر بينهم وبينه وقال : اللهم لاتفيّل رأى فيه اليوم ماتشتكون منه ؟ قالوا لا يخرج حتى يتعالى النهار قال : والله إن كنت لأكره ذكره إنه ليس لأهلى خادم فأعجن عجينهم ثم أجلس حتى يختمر ثم أخبز خبزى ثم أتوضأ ثم أخرج إليهم فقال : ماتشتكون منه ؟ قالوا : لا يجيب أحدا بليل . قال مايقولون ؟ قال : إن كنت لأكره ذكره . إنى جعلت النهار لهم وجعلت الليل لله عز وجل قال : وما تشكون منه ؟ قالوا :

إن له يوماً فى الشهر لا يخرج إلينا فيه قال : ما يقولون ؟ قال : ليس لى خادم يغسل ثيابى ولا لى ثياب أبدلها فأجلس حتى تجف ثم أدلكها ثم أخرج إليهم من آخر النهار قال : ماتشكون منه ؟ قالوا يغنظ الغنظة (أشد الكرب والجهد) بيْن الأيام قال : مايقولون ؟ قال شهدت مصرع خُبيب الأنصارى بمكة وقد بضعت قريش لحمه ثم حملوه على جذع فقالوا :أتحب أن محمداً مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أنى فى أهلى وولدى وأن محمدا شيك بشوكة . ثم نادى : يامحمد فما ذكرت ذلك اليوم وتركى نصرته فى تلك الحال وأنا مشرك لا أؤمن بالله العظيم إلا ظننت أن الله عز وجل لا يغفر لى بذلك الذنب أبداً فتصيبنى تلك الغنظة فقال عمر : الحمد لله الذى لم يفيل فراستى . فبعث إليه بألف دينار وقال استعن بها على حاجتك ، فقالت امرأته الحمد لله الذى أغنانا عن خدمتك فقال لها : فهل لك فى خير منه ذلك ندفعها إلى من يأتينا بها أحوج مانكون إليها .قالت : نعم فدعا رَجلاً من أهله يثق به فصررها صرراً ثم قال انطلق بهذه إلى أرملة فلان وإلى مسكين آل فلان وإلى مبتلى آل فلان فبقيت منها ذهيبة فقال : أنفقى هذه ثم عاد إلى عمله فقالت : ألا تشترى لنا خادماً مافعل ذلك المال ؟ قال : سيأتيك أحوج ماتكونين ـ وقد مات سعيد بن عامر رضى الله عنه فى سنة عشرين فى خلافة عمر رضى الله عنه . ونسأل الله تعالى أن يمتنا على محبة صحابة النبى ﷺ وأن يحشرنا فى زمرتهم مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .

أويس بن عامر القَرنى

روى مسلم عن أُسير بن جابر أن أهل الكوفة وفدوا إلى عمر وفيهم رجل ممن كان يسخر بأويس فقال عمر هل ههنا أحد من القرنيين فجاء ذلك الرجل فقال عمر إن رسول الله ﷺ قد قال إن رجلا يأتيكم من اليمن يقال له أويس لايدع باليمن غير أم له قد كان به بياض فدعا الله فأذهبه عنه إلا موضع الدينار أو الدرهم فمن لقيه منكم فليستغفر لكم ، قال النووى « قوله وفيهم رجل يسخر بأويس أى يحتقره ويستهزئ به وهذا دليل على أنه يخفى حاله ويكتم السر الذى بينه وبين الله عز وجل ولا يظهر منه شىء يدل لذلك وهذه طريق العارفين وخواص الأولياء رضى الله عنهم » ا . هـ وعن عمر بن الخطاب قال إنى

سمعت رسول الله ﷺ يقول إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة وكان به بياض فمروه فليستغفر لكم وفى رواية أخرى قال لعمر فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل وهذه منقبة ظاهرة لأويس رضى الله عنه وفيه استحباب طلب الدعاء والاستغفار من أهل الصلاح وإن كان الطالب أفضل منهم . وروى مسلم أيضا عن أسير بن جابر قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أويس بن عامر حتى أتى على أويس فقال أنت أويس بن عامر قال نعم قال من مراد ثم من قرن. قال : نعم . قال : فكان بك برص فبرأت منه إلا موضع درهم قال نعم قال لك والدة قال نعم قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها برٌّ لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فاستغفر لى فاستغفر له فقال عمر أين تريد قال الكوفة قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون فى غبراء الناس (أى ضعافهم الذين لا يؤبه لهم وهذا من إيثاركتم حاله وترك الشهرة) أحب إلىَّ قال فلما كان من العام المقبل حج رجل من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أويس قال تركته رث البيت قليل المتاع قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يأتى عليكم أويس بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مراد ثم من قرن كان به برص فبرأ منه إلا موضع درهم له والدة هو بها بر لو أقسم على الله لأبره فإن استطعت أن يستغفر لك فافعل فأتى أويساً فقال استغفر لى قال أنت أحدث عهداً بسفر صالح فاستغفر لى قال استغفر لى قال أنت أحدث عهدا بسفر صالح فاستغفر لى قال لقيت عمر قال نعم فاستغفر له ففطن له الناس فانطلق على وجهه قال أسير وكسوته بردة فكان كلما رآه إنسان قال من أين لأويس هذه البردة » وفى قصة أويس هذه معجزات ظاهرة لرسول الله ﷺ وفيها التصريح بفضل أويس القرنى وأنه خير التابعين قال النووى « وقد يقال قد قال أحمد بن حنبل وغيره أفضل التابعين سعيد بن المسيب والجواب أن مرادهم أن سعيدا أفضل فى العلوم الشرعية كالتفسير والحديث والفقه ونحوها لا فى الخير عند الله تعالى وفى هذه اللفظة معجزة ظاهرة أيضا » ا . هـ ويذكر أن أويسا ارتقى يوماً درج مسجد الكوفة ثم قال يا أهل الكوفة توسدوا الموت إذا نمتم وضعوه نصب أعينكم إذا قمتم وقد سماه الشاطبى سيد العباد بعد الصحابة لما عرف عنه من كثرة العبادة ويصفه

الذهبى بأنه (القدوة سيد التابعين فى زمانه) وكان أحمد بن حنبل يضرب به المثل في الزهد فيقول لا زهد إلا زهد أويس بلغ به العرى حتى قعد فى قوصرة . وكان أويس يقول : بلغني أن لله عبادا سجودا أبدا » وكان يقول « لأعبدن الله في الأرض كما تعبده الملائكة في السماء . وكان يقول أيضا « يا عجبا ممن يعلم أن الجنة تزين فوقه وأن النار تسعر تحته كيف ينام من هو بينهما ينظر إليهما . وكان ينصح هرم بن حيان بلزوم الجماعة يقول له « لا تفارق الجماعة فتفارق دينك » وكان يعتذر إلى ربه ويقول « اللهم إنى أعتذر إليك اليوم من كل كبد جائعة وبدن عارى فإنه ليس فى بيتى من الطعام إلا مافى بطنى وليس شيء من الدنيا إلا ما على ظهرى » ، ولم يكن على ظهره حينئذ إلا خرقة وكان يقول « إن قيام المؤمن بأمر الله لم يبق له صديقا » فرحمه الله رحمة واسعة » .

الخاتمـــة

ونحن نعيش هذه الغربة المستحكمة والمتمثلة في الشرود عن منهج الله وما تبع ذلك من اختلال الموازين وجنى ثمار المذلة والمهانة والنكد فمن المعلوم أن لكل مقدمة نتيجة ولكل عقيدة تأثير ولا سعادة للأفراد والجماعات إلا بالاستقامة على منهج ﴿فمن اتَّبعَ هُدايَ فلاَ يَضِلُ ولاَ يشْقَى﴾(١) وبمقدار الانحراف عن هذا المنهج الرباني بمقدار التعاسة التي تصيب البشرية ﴿وَمَنْ أعْرضَ عَنْ ذِكْرِى فَإنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً﴾(٢) وقد توهم أناس من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا أن التطور والتقدم يحدث عندما نأخذ ماعليه الشرق والغرب من فلسفات وعلوم وفنون أو بأن ننقب عن الحفريات القديمة لنؤكد انتساب المصريين إلى الفراعنة وأن هذه الأمة أمة فرعونية وأن غيرها من المسلمين ينتسب إلى الآشورية أو البابلية أو الفينيقية !! هكذا تمزيقا لأواصر هذه الأمة وإبعاداً لها عن دينها الذي ارتضاه ربها لها ، وقد ظن فريق آخر أن اللعب من ملذات الحياة المادية وأن الانتقال من فيلم إلى أغنية ومن شهوة إلى أخرى سيحقق لها مايصبون إليه من سعادة ويكونون بذلك قد عاشوا حياتهم واستمتعوا بها وكانوا في واقع الحال يعيشون حياة البهائم السائمة ينتقلون من كرب إلى غم وهم في ذلك كله كالمستجير من الرمضاء بالنار بل هذه البهائم قد تفضلهم لأنها تعرف لها ربًا وخالقا تسبحه ﴿وَإنْ مِنْ شيْءٍ إلا يُسَبّحُ بِحمْدِهِ ولَكِن لاّ تفْقَهُونَ تسْبِيحَهُمْ﴾(٣) فالمشاكل تعتصرهم والأعداء من اليهود وغيرهم على أبوابهم.

ثم كانت هذه الصحوة المباركة التي تعرفت على الداء والدواء وعلمت أن داء الأمة والذى انبثقت منه أعراض الأمة المرة إنما يكمن في الإعراض عن منهج الله ، ودوائها عبارة عن الرجوع لكتاب الله ولسنة رسول الله ﷺ جملة وتفصيلاً والاستمساك بحبل الله المتين دون إفراط أو تفريط مع تقديم الأهم على المهم ومراعاة مقتضى الحال . وقام بعض الدعاة ـ جزاهم الله خيرا ـ يردون الأمة رداً جميلا لدينها ويبصرونها بتوحيد الله عز وجل وبأهمية الاتباع لسنة رسول الله ﷺ وأن تزكية الأفراد والجماعات ونيل

---

(١) طه (١٢٣) . (٢) طه (١٢٤) . (٣) الإسراء (٤٤) .

رضوان الله عز وجل لا يمكن أن يحدث دون توحيد واتباع . وتطرق الحديث إلى بيان المستحبات والواجبات كإطلاق اللحية وارتداء المرأة للجلباب الشرعي .... وهنا ثارت ثائرة البعض ممن فهم الإسلام فهما مغلوطا فقال كيف تتحدثون في تحريم الغناء والموسيقى وحلق اللحية ... واليهود على الأبواب والأمة تعاني من مشاكل اقتصادية خانقة وظن هذا الفريق أنه قد ألقم شباب الصحوة حجرا وقد أحسن صنعاً بقوله ذلك ويحسن بنا قبل أن نجيب عن هذه الشبهة أن نورد بعض النصوص الشرعية لتكون فيصلاً في محل النزاع ﴿ فَإِن تَنَازَعتم في شيءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ والرَّسولِ إن كُنتُم تؤمِنونَ باللّه واليومِ الآخرِ ذَلِكَ خيرٌ وأحسَنُ تأويلاً ﴾[1] قال تعالى ﴿ والذين يقولونَ ربَّنا هب لَنا مِن أزواجنا وذرياتنا قُرةَ أعيُنٍ واجعلنا للمتقينَ إماماً ﴾[2] وأصل وأساس التقوى أن يلتزم العبد الواجبات وأن يترك المحرمات وتمامها يكون بالتزام المستحبات وترك المكروهات . وقال تعالى ﴿ وَجَعَلْناهُم أئمةً يهدُونَ بأمرِنا ﴾[3] قال سفيان بن عيينة لما أخذوا برأس الأمر (أي بالصبر واليقين) جعلهم ربنا رؤوساً (أي أئمة) وأمر الله يشمل الواجبات والمستحبات ولا يتصور فيمن أخذ برأس الأمر أن يتهاون في المستحبات . وعن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال : « كنا في صدر النهار عند رسول الله ﷺ فجاء قوم عراة مجتابي النمار – أو العباء – متقلدي السيوف عامتهم بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله ﷺ لما رأى منهم من الفاقة فدخل ثم خرج فأمر بلال فأذن وأقام ثم صلى ثم خطب فقال ﴿ يأيها النَّاسُ اتقُوا ربكُم الذي خلقكُم مِن نَفسٍ واحدةٍ ﴾[4] إلى آخر الآية ﴿ إنَّ اللهَ كانَ عليكُم رَقيباً ﴾[4] والآية الأخرى التي في الحشر ﴿ يأيُّها الذينَ ءامنُوا اتقُوا اللهَ ولتنظُر نفسٌ ما قدمَتْ لغدٍ ﴾[5] تصدق رجل من ديناره من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال ولو بشق تمرة فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها – بل قد عجزت – ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب حتى رأيت وجه رسول الله ﷺ يتهلل كأنه مذهبة فقال رسول الله ﷺ من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من

---

(١) النساء (٥٩) . (٢) الفرقان (٧٤) . (٣) الأنبياء (٧٣) .

(٤) النساء (١) . (٥) الحشر (١٨) .

عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شئ رواه مسلم . والصدقة مشروعة وهذا الصحابى الجليل أبتدأ هذه الشعيرة وتتابع الناس على هذا الفعل المسنون ومعلوم أن السنة هى طريقة النبى ﷺ المحمودة بأن سلكها هو والصحابة من بعده أو هى كل ما ثبت عن رسول الله ﷺ من قول أو فعل أوتقرير أو صفة يقصد بها التشريع للأمة والسنة تشمل الواجبات والمستحبات . وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا » رواه مسلم وعن أبى مسعود عقبة بن عمرو الأنصارى البدرى رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : من دل على خير فله مثل أجر فاعله» رواه مسلم . وفي حديث سهل بن سعد الساعدى قال النبى ﷺ لعلى رضى الله عنه فوالله لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خيرا من حمر النعم » متفق عليه فمن يزهد بعد ذلك في هذا الثواب ومالدى يمنعه من إبلاغ الحق إلى الخلق وبيان المستحبات والواجبات للناس وقد قال سبحانه : ﴿ وادع إلى ربك ﴾ ﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾(١) قال تعالى: ﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ﴾(٢) وكلمة الخير تشمل كل ماندبنا إليه الشرع وحثنا عليه . وعن تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال الدين النصيحة ، قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » رواه مسلم فإن لم تكن النصيحة بالواجبات والمستحبات فبأى شيء تكون وما معنى كلمة الإسلام ، هذا الدين الذى نتشرف جميعا بالانتساب إليه ، ومتى كان الإسلام كلمة هلامية لا معنى لها ولا مضمون ؟ بل وما معنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذي ورد فى مواضع عديدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ مثل قوله تعالى : ﴿ كُنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾(٣) ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾(٤) ﴿ لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه ﴾(٥) وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ

(١) المائدة (٢) . (٢) آل عمران (١٠٤) .
(٣) آل عمران (١١٠) . (٤) التوبة (٧١) . (٥) المائدة (٧٨) .

يقول : من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان » رواه مسلم . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « مامن نبى بعثه الله في أمة قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » رواه مسلم والمعروف يشمل الواجب والمستحب ، والمنكر يشمل المحرم والمكروه ، ولذلك قال النبى ﷺ : نعم الرجل عبد الله لوكان يقوم من الليل ومعلوم أن قيام الليل مستحب ليس بواجب وقال ياعبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم من الليل ثم تركه وقد أنكر ابن عباس رضى الله عنهما على من كفت شعره داخل العمامة فسدله له وبذلك استدل الإمام النووى على جواز الإنكار باليد على من ارتكب مكروها وعن النعمان بن بشير رضى الله عنهما عن النبي ﷺ قال : « مثل القائم في حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا . إنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً » رواه البخارى وفي تفسير قوله تعالى : ﴿ **ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك ومنهم من إن تأمنه بدينار لايؤديه إليك إلا مادمت عليه قائما** ﴾ قال القرطبى من حفظ الكثير وأداه فالقليل أولى ومن خان فى اليسير أو منعه فذلك فى الكثير أكثر » وطاعة الله هي سبب كل خير وسعادة والمعصية هى سبب كل شر وبلاء قال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِّن رَّبِّهِمْ لأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم** ﴾[1] وقد بين ربنا جل وعلا خطورة الربا فقال سبحانه وتعالى ﴿ **يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا ويربى الصدقات** ﴾[2] وفى الحديث « وإياكم وكثرة الحلف فى البيع فإنه ينفق ثم يمحق » رواه مسلم بل وكيف ننتصر على الأعداء ونحقق الرخاء ونحن نعمل بالمعاصى ومعلوم أن المعصية وهن في القلوب وتفرق فى الصفوف ومحق بركة العمل قال تعالى ﴿ **وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ**

(١) المائدة (٦٦) . (٢) البقرة (٢٧٦) .

القيامة﴾(١) وهل أمثال هؤلاء سيكونون مجتمعا صالحا منتجا متآلفا !! وكان سلف الأمة رضوان الله عليهم إذا تأخر عنهم النصر كانوا يبحثون ويفتشون فى أنفسهم لعلهم تخلفوا عن سنة كسنة السواك فتأخر عنهم النصر بسبب ذلك ورب العزة جلا وعلا يقول : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾(٢) فليكن همنا هو تعظيم حرمات وشعائر الله عز وجل وذلك لأن التهاون فى المستحبات يجر إلى التهاون فى الواجبات والإقدام على المكروهات . يجر إلى مواقعة المحرمات والولوغ فيها . وتقديم الأهم على المهم ليس معناه احتقار طاعة من الطاعات وذلك لأن المهم الذى أخرناه لمقتضى الحال لا يزال مهما قال ابن عباس فى تفسير قوله تعالى : ﴿ ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ﴾(٣) قال هم الذين يربون الناس بصغار العلم قبل كباره وخلاصة القول أنه لابد من علم وعمل ودعوة وصبر على هذه المعانى جميعا مع مراعاة شمول الشريعة لجميع جوانب الحياة ومع الحرص على الجمع بين المصالح جميعا والالتزام بجميع الطاعات الواجب منها والمستحب والإقلاع عن المحرمات والمكروهات فإذا لم يكن الجمع قدمنا الواجب على المستحب والتزمنا أعظم المصلحتين والمنفعتين بترك أدناهما وفوتنا أعظم المضرتين والمفسدتين بالتزام أدناهما – وحسبنا أن نكون قد تكلمنا فى بعض المسائل والقضايا التى عمت بها البلوى ووضحنا معنى الشهرة ومجالاتها والآفات التى تصاحبها غالبا وكيف يتم صناعة المشاهير والطريق الذى تتم به سعادة الدارين فإن كنت قد أصبت فذلك بتوفيق الله وفضله وإن كنت قد أخطأت فذلك من نفسى ومن الشيطان والله منه برىء والمصيب هو من وافق الكتاب والسنة فى حكمه على نفسه وعلى الأشياء من حوله سواء فى ذلك أجمل معنى أو بسطه ، والإسلام كان ولا يزال صالحا لكل زمان ومكان ، والمستجدات والتطورات لها حكمها فى كتاب الله وفى سنة رسول الله ﷺ وهذا هو دور علماء الأمة المعتبرين فى تطبيق الحكم الشرعى على واقعه المناسب والمساوى له ولذلك لا يصح القول بإغلاق باب الاجتهاد فهذا الباب سيظل مفتوحا لكل من تأهل وأخذ بأسباب وأدوات الاجتهاد . والله نسأل أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم وألا يجعل لأحد فيه شيئا وأن ينفعنا بما علمنا إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) المائدة (١٤) . (٢) محمد (٧) . (٣) آل عمران (٧٩) .

الفهرس

رقم الصفحة

من مطبوعات دار الإيمان للشيخ/ سعيد عبد العظيم

- هيا بنا نؤمن ساعة
- كيف نحل مشاكلنا
- كيف تحقق غنى النفس وسعة الرزق
- يا صاحب القلب السليم
- التطواف حول معاني الصيف والاصطياف
- الأتقياء الأخفياء
- الإشكالية المعاصرة في تربية الطفل المسلم
- صور من الطغيان المادي
- أخطاء شائعة في البيوع
- يمحق الله الربا
- إرشاد الطالب لتحقيق أهم المطالب
- الضوابط الشرعية للألعاب الرياضية
- الضوابط الشرعية للأخوة الإيمانية
- الإنارة في الحج والعمرة والزيارة
- خطورة التليفزيون
- دروس الزمان في شهر الصيام
- كيف تنال السعادة الحقيقية
- الرقية النافعة للأمراض الشائعة
- التيسير في الخطب والوعظ والتذكير
- أحكام الصيام
- ماذا بعد رمضان
- الديمقراطية في الميزان
- لا تظالموا
- رسالة إلى كل عامل وموظف يؤمن بالله
- الشهرة وعالم الأضواء

صدر حديثاً من مطبوعات دار الإيمان

صناعة الحياة	سلمان العودة
القضايا الكلية للاعتقاد في الكتاب والسنة	عبد الرحمن عبد الخالق
هموم فتاة ملتزمة	سلمان العودة
حتى لا تغرق السفينة	سلمان العودة
الفتور (المظاهر - الأسباب - العلاج)	ناصر بن سليمان العمر
البث المباشر حقائق وأرقام	ناصر بن سليمان العمر
حقيقة الانتصار	ناصر بن سليمان العمر
فقه الواقع	ناصر بن سليمان العمر
امتحان القلوب	ناصر بن سليمان العمر
الحكمة	ناصر بن سليمان العمر
أخطاء شائعة يقع فيها الأزواج	عادل فتحي عبد الله
أخطاء شائعة تقع فيها الزوجات	عادل فتحي عبد الله
كيف تكون أباً ناجحاً	عادل فتحي عبد الله
فقه الخلاف (قضية الخلاف بين حملة الشريعة)	مجدى قاسم
توجيهات ووصايا للمرأة المسلمة	محمد حامد محمد

دار الإيمان
للطبع والنشر والتوزيع
١٧ شارع خليل الخياط - مصطفى كامل - إسكندرية
تليفون وفاكس: ٥٤٥٧٧٦٩ - تليفون: ٥٤٤٦٤٩٦





في هذا الكتاب

- ☆ الشهرة ومشتقاتها.
- ☆ السبق والمنافسة.
- ☆ بعض صور الشهرة
- ☆ فضل العلم ومنزلة العلماء.
- نشهرة بالجمال.
- ☆ الشهرة بالرياضة.
- ☆ فتوى اللجنة الدائمة في كرة القدم.
- ☆ الشهرة بالأدب والفن.
- أهم الأماكن المشهورة
- ☆ زيارة الآثار.
- ☆ لعنة الفراعنة.

- ☆ مخالفة أصحاب الجحيم في أعيادهم
- ☆ أسباب الشهرة وصناعة المشاهير.
- ☆ صلة الرحم سبب بقاء الذكر الجميل.
- ☆ سبب شهرة الأئمة الأربعة.
- سبب في الاقتصار على السبع.
- صناع الشهرة الزائفة.
- مشاهير بلادنا؟.
- ☆ آفات الشهرة.
- ☆ تقديم المفضول على الفاضل
- ☆ حياة العبودية خير ثمرة
- ☆ الإخلاص والاتباع.
- ☆ محبة الله تعالى والخوف منه
- ☆ أتقياء أخفياء.
- ☆ هل نعرف صحابيا
- ☆ وماذا نعرف أيضا عن ذي البجادين

